



New York University
 Bobst Library
 70 Washington Square South
 New York, NY 10012-1091

DUE DATE

DUE DATE

Bobst Library
 JAN 1 1996
 CIRCULATION

SEP 29 REC'D

Bobst Library

APR 01 1999

CIRCULATION

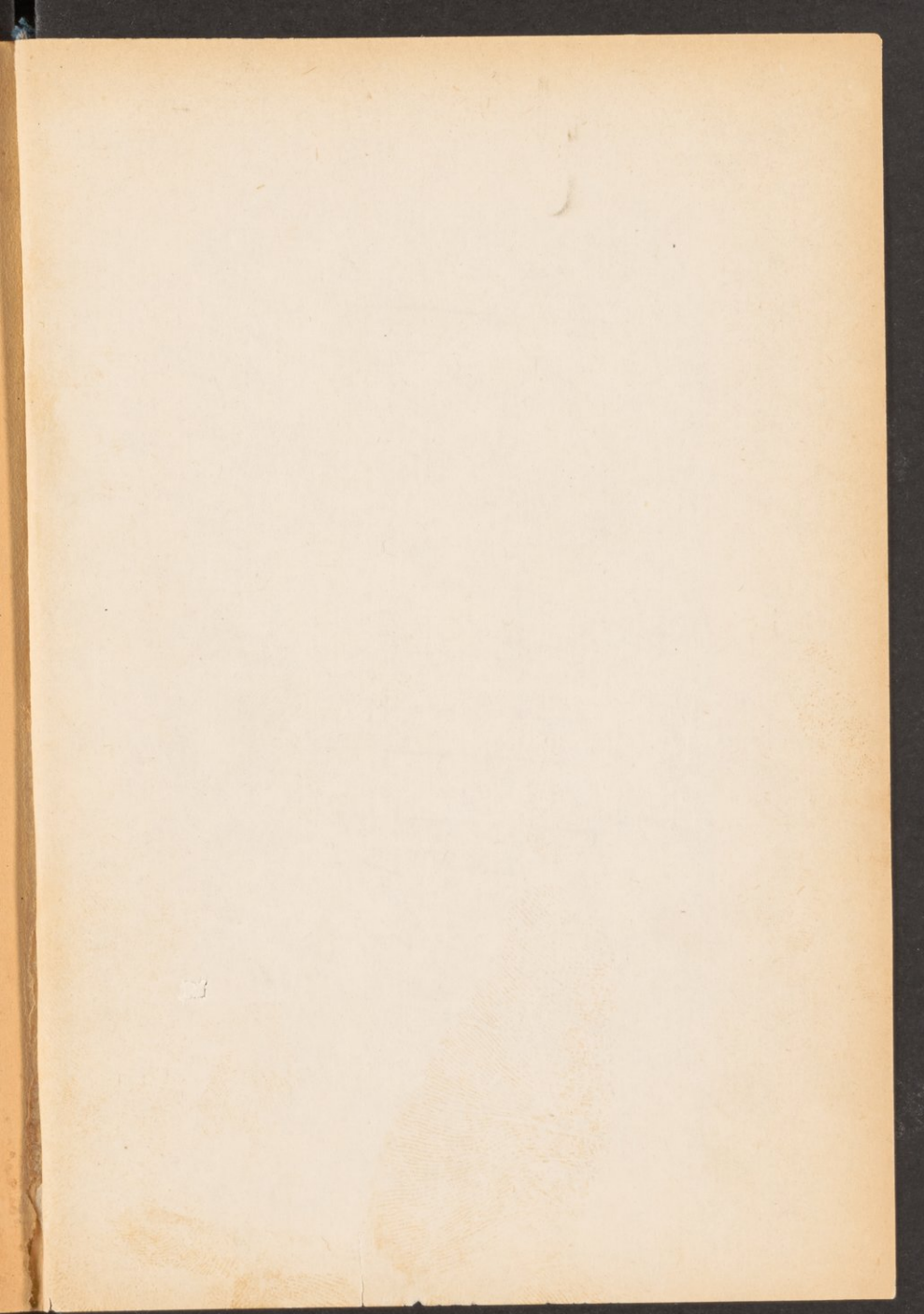
AUG 11 1999

20



NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY



من كتب
الملكيد اميل
قوري

al-Sawdā, Yōsof

Fī sabīl Lubnān.

فِي سَبِيلِ
لُبْنَانَ



يوسف السواد



سنة ١٩١٩

Near East

DS

80

.9

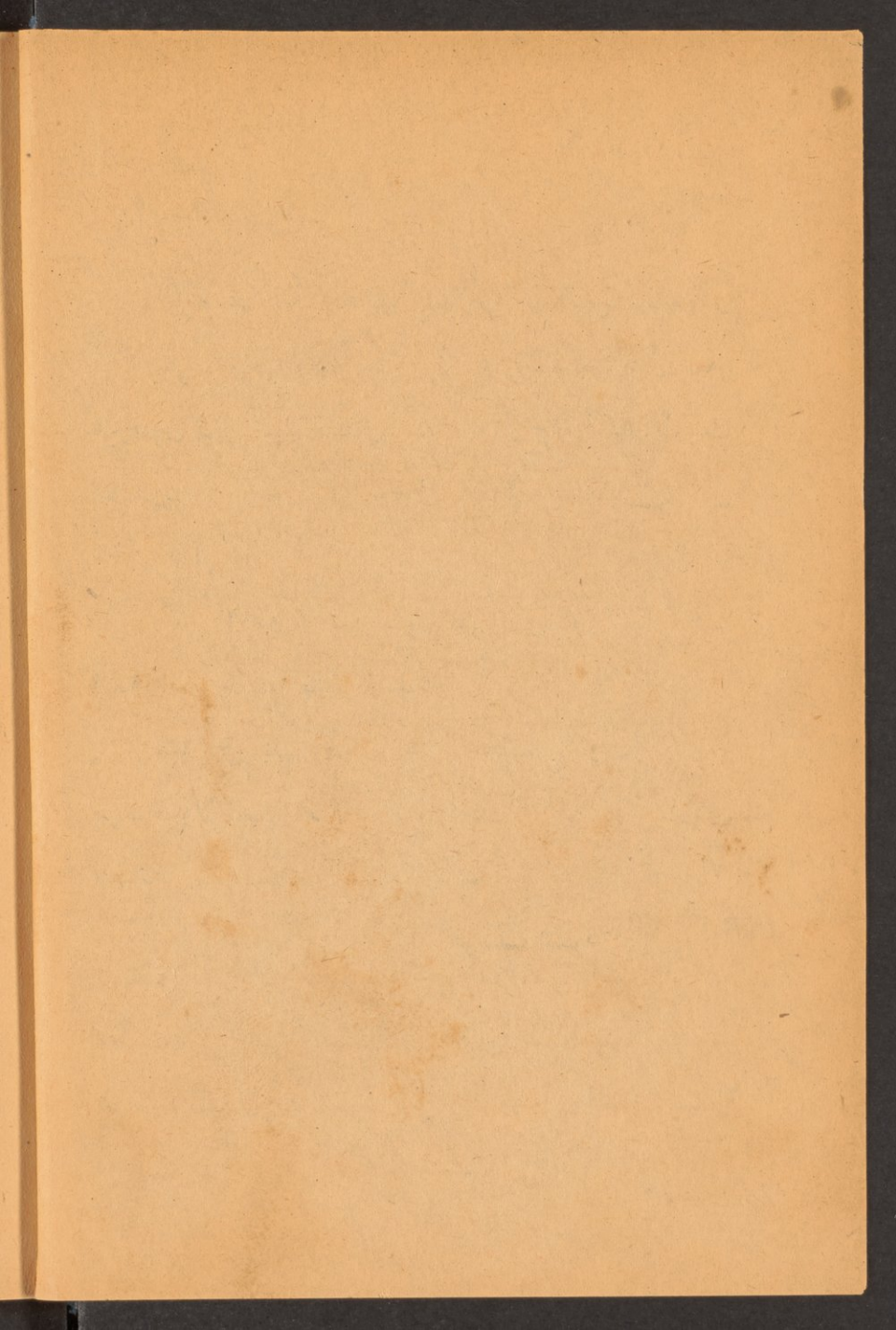
.53

0.1

اقدم هذا الكتاب الى « مواطني اللبنانيين » فيجدون
فيه موجزاً لتاريخهم وبياناً لحقوق بلادهم واثباتاً لغايتها الوطنية.
فيبرهنون للملأ أنهم خليقون بذلك التاريخ ، اكفاءً لاولئك
الجدود ، يذودون عن حقوق بلادهم وينشطون الى
تحقيق غايتها .

ولعل « الغير » اذا تبينوا حقوقنا وعرفوا اننا نعرفها
ونذود عنها حسنوا ظنهم وسددوا رأيهم
وعلى كل فقد وضعتُ هذا الكتاب وانا لا ارجو
مرضاة ولا اتعمد اساءة : انما واجبته رايته عليّ لبلادي
فقضيته

يوسف السودا



توطئه

امام هذا المعترك الفظيع الهائل وقد التهمت نيرانه
القارّات الخمس فهُدّرت دماء الملايين وضاعت الاموال
لا تحصى وعمّ الخراب وضاعت اسباب المعيشة حتى كادت
تفنى الناس جوعاً وفاقهً تقف الشعوب تتسائل: وما نتيجة
تلك الضحايا وحتى متهزّ هذه الحرب أعصاب العالم من
ادناه الى اقصاه . فيجيبها « رسول العدل » بلسان
الملايين من جنود أباسل افناهم الحديد والنار: « لا ترتاح
تلك الرفات في أجدانها الا اذا كان في تضحيتها ضمان
المستقبل للاولاد والاحفاد فلا يروّعوا بمثل هذه الحرب
الطاخنة بل تُقطع اسبابها من جذوعها البعيدة: واساس
هذه الحرب شعلة اضطربت في البلقان حيث شعوب صغيرة
ارغمت على امرها، فاندلع لهيبها الى اوربا ولفح القارة

الافريقية فوسيانيا فاسيا فاميريكيا . انما تهداً نفوس
اولئك الشهداء في مواطنها الابدية اذا طلعت من ظلام
قبورها شمس العدل تبدد ليل الظلم فيسود الحق على القوة
ويتمتع الابناء بالسلام الى اجيالٍ طوال ...

” ”

على الشاطيء الشرقي من البحر المتوسط يمتد
بلدٌ صغيرٌ بعدده كبيرٌ بقومه نخورٌ بمجده ورث عن
الفينيقين حب الحرية وبعد الهمة ومضاء العزيمة وامتنع في
قمم جباله فلم يستعبد لغازٍ ولم يذل لفتح حتى اصبح
مجده مضرب امثال فانشده الكتاب وتغنى به سليمان .
عنيتُ لبنان وهو الجبل الشامخ المدل بهيته
وجلاله على فلسطين وحلب والشام .

لقد تقلب الدهر على لبنان بجدثانه : فعاصر
« لبنان الفينيقي » ممالك اشور والفرس واليونان واتى بعدهم
« الرومان » فرأى لبنان ابناؤه يتبوؤن عرش روما .
واكتسح « العرب » سوريا فرد لبنان تيارهم عنه وظل على

تمنعه حتى «الصليبيين» فالفهم . ولم يوهن عزيمته جلاؤهم
عن سوريا بل ظل بعدهم محتفظاً بامتيازاته في وجه «الأتراك»
مدة حكمهم وعليه امرأوه الوطنيون من «المعنيين» الى
«الشهابيين» الى عهد «القائم مقاميتين» . ثم جاءت
«معاهدة سنة الستين» فاثبتت امتيازاته القديمة واقام عليها
حتى اليوم .

ان غزاة سوريا من عرب وآتراك لم ينظروا يوماً الى
امتيازات لبنان بعين الرضى وكان همهم الاقصى من
قديم الزمان ان يلحقوه بولايات سوريا في حين كان اللبنانيون
متشبهين بحريتهم وامتيازاتهم حتى الموت ، يزيد تعلقهم بها
سعي حكام سوريا الى انتزاعها منهم وادغامهم في الولايات .
فنتجت من ثم على ممر الاجيال ، بين سوريا ولبنان ، مشادة
مستمرة ومنازعة دامية حتى جيل تراب الجبل بدماء ابناءه
مهركة في سبيل الحرية والاستقلال . ولا يزال صدى
حوادث سنة ١٨٦٠ يرن راعاً مؤلماً في الآذان .

وقد اكبرت اوربا تفاني اللبنانيين في سبيل استقلالهم

فقررت التدخل في شؤونه ووضع امتيازاته في ضمانتها
حسماً لتلك المغالبة الدائمة التي بلغت على عهد تركيا ما لم
تبلغه من قبل هولاً وفضاعة . فكانت من ثم معاهدة
سنة ١٨٦١ وهي قد ادخلت لبنان في القانون الدولي العام
وجعلت امتيازاته في حرمة المعاهدات الدولية .

فحسب اللبنانيون منذ ذلك الحين ان استقلالهم بات في
مأمن من عبث العابثين فاستسلموا الى حماية الدول ولم يعدوا
عدتهم ، شأنهم في الماضي من الزمان ، ليوم يضطرون فيه
الى الدفاع بنفسهم عن حريتهم وتراث اجدادهم
لذلك لم يستطيعوا دفع اذى حين باغتهم هذه الحرب
الطاغية وهم في جبالهم آمنون .

فأغتمت تركيا الفرصة السانحة : يزيد جرأتها استضعافها
اللبنانيين وهم قد استسلموا لحماية الدول ، ويُعري صدرها عليهم
ميلهم المعروف الى الخلفاء . فعاملتهم معاملة الاعداء
توصلاً الى افنائهم وهدم صرح استقلالهم فأذاقتهم ويلات
الحرب ولا حرب في بلادهم فبالوا من بلاياها ، جوعاً وبرداً

ومرضاً وفاقه ، قسطاً لا تحسد لهم عليه اشقى الأمم :
فلم يقتل اللبنانيون تحت قساطل الهيجاء بين هزيع
الاناشيد وهزيم المدافع وصهيل الخيول وصلصلة الحراب
وصليل السيوف ، وفي الموت على هذا الشكل ما فيه من
نشوة ونخار ، بل اهلكوا برداً وجوعاً ومرضاً بين ظلام
الفقر الرائع وسكون القبور الهائل . . بادوا وهم يتطلعون الى
البحر يرقبون مغيباً لا يأتي او كسرة ترد رمقهم فلا ينالونها ،
والموت يمشي اليهم هادئاً فظيماً قاسياً لا يرحم . . . وقد مرت
بهم اربع سنوات على هذه الحال حتى لقي نصف سكان
لبنان تلك الميتة الحاملة بلاعز ولا نخر وهو افطع شكل يتصوره
الانسان في ابادة شعب واهلاك امة . فضلا عن ابادوا
من رجاله واكليسوسه وشبانته نفيًا وشنقًا وتعذيباً . . امة بأسرها
ذهبت ضحية نزوعها الى الاستقلال وشهيدة ميولها الى الحلفاء
عموماً والى فرنسا خصوصاً فبات للبنان على تلك الدول
الكريمة حق جديد هي اجل من ان تبترأ منه يوم الحساب
فان أهمل امر لبنان ، وحاشا لدول العدل اهماله ،

ولم تقرّر معاهدة الصالح استقلاله فهو عائده حمياً الى تلك
الرواية المفجعة التي مثل فصولها على ممر الاجيال
ان الشعب الحي الذي اعتاد الاستقلال ودفع للاحتفاظ
به على ممر العصور ممناً من دماء ابناءه غالياً فاحشاً ، قد
يرغم على امره حيناً من الدهر كما ارغمت بولونيا وارمينيا ،
لكنه لا يموت

فلئن غلب لبنان على امره لضعفه اليوم او لغفلته
فقد يأتي زمنه يرجع فيه لبنان الى نفسه وينشط الى
استقلاله فيكون في الشرق ما كانت البلقان في الغرب : وفي
حوادث هذه الحرب واسبابها عبرة للمعتبرين

**

اذا طالب لبنان بحريته واستقلاله فهو يطالب بحق
مقدس لا بحسنة يستجديها او بمنكر يواخذ عليه .
وفوق ذلك فلبنان يستند في ما يطلبه الى تاريخ قديم
مجيد يشهد ان لبنان كان حازماً على استقلاله يوم لم يكن

لاكثر دول اليوم وجوده في عالم الامم المستقلة . بل يستند
الى حق أعلى واسمى ، تموت اليوم في سبيل تأييده
الملايين ، الا وهو حق المعاهدات واحترامها :

فلبنان ذو معاهدة دولية كفلت له استقلاله القديم
تدرجاً الى الاستقلال المطلق : غاية كل حيٍّ ومنتهى آمال
كل شعب .

تلك حقيقة عن تاريخ لبنان ومركزه الدولي يجملها
الكثيرون ويعتقدون أنه لا فرق بين لبنان وبين الولايات
السورية ، وانه مهما نال بعد الحرب من الاصلاح كان
كثيراً عليه بالنسبة لمركزه قبل الحرب لا سيما والاستقلال ،
على ما يدعون ، لا يكون طفرة في الشعوب بل له
نواميس لا يشعدها

ففي هذا البحث بيان موجز عن تاريخ لبنان السياسي
وعن مركزه في قانون الدول العام
قضية عادلة تعرض للعالم التمدن دفاعاً عن حقوق
لبنان يوم تتران حقوق الامم فينال حقه من الاستقلال كما

نال قسطه من المصائب فترتاح نفوس شهدائه اذا شعروا أنهم
ذهبوا ضحيةً غالية في سبيل ذلك الاستقلال الغالي . بل
يطمئنون في مراقدهم الابدية اذا طلعت منها شمس الحرية
تتلاً في ثلوج صنين تُنعش النفوس وتحيي ميت الآمال ،
ويترامى الى بلاد المهجر صدى صوت صارخ من لبنان
يدعو ابناءه اليه فيعود الى ربوعه من هجره من أيدٍ عاملة
وادمغة مفكرة فيجدد نسر الارز شبابه ويكون لبنان منارة
وضاءة ترسل العلوم والمعارف نوراً وهدى في سماء الشرق
الأدنى .

الاسكندرية في ديسمبر سنة ١٩١٧

القسم الاول



تاريخ لبنان السياسي

منذ الفينيقين الى السنة الستين

ابواب القسم الاول

- | | | |
|-----------------------|-----|-------------|
| لبنان الفينيقي | : | الباب الاول |
| لبنان على عهد الرومان | : | » الثاني |
| المردة والعرب | » » | » الثالث |
| الصليبيين | » » | » الرابع |
| المعنيين | » » | » الخامس |
| الشهابيين | » » | » السادس |
| القائم مقاميتين | » » | » السابع |

الباب الاول

لبناه الفينيقي

لكل امةٍ ولعٌ بالرجوع الى اصولها والافتخار بأنسابها
استقاءً لحاضرهما من منهل ماضيها : فايطاليا تعزّز أمها وريثة
رومة العظمى وما فيها من هممة وعلم ومجد .. ويفتخر اليونان
انهم سلافة اولئك الاقطاب من رجال الهلادة وشعرائها
وفلاسفتها امثال بريكليس وصوفوكل وسقراط .. والعالم
المتمدن يُقرُّ ايطاليا واليونان على فخارهم ومحترم في الاحفاد
عظمة الجدود حتى ان اوربا ساعدت ايطاليا واليونان على
نيل الاستقلال استعادةً لذلك المجد واقراراً بذلك الفضل ..
فاذا فاخر شعبٌ باصوله واستمد الفضل من كريم
أنسابه فأحمر بلبنان ان يذكر ويُذكر انه مهده الحضارة في

١ راجع : مسبرو تاريخ شعوب الشرق القديم
الدبس : (سيادة المطران يوسف) تاريخ سوريا ج ١

العالم: وكَدَّتْ في سفوحه واينعت على شواطئه ومنها حملها
« الفينيقيون » الى اقاصي المسكونة

ولئن كان على اوربا واجب لايطاليا واليونان فعليها
أجلٌ منه لبلاد هي معلمة روما وام اليونانية

**

كانت « فينيقيا » القديمة قائمة حيث يمتد اليوم لبنان
بحدوده الطبيعية، على وجه التقريب: من عكا جنوباً الى
ارواد شمالاً

ان فينيقيا هي التي علمت الامم ومدت الشعوب وما
اليونان والرومان الا عيال عليها علماً وادباً

فالفيينيقيون اخترعوا الكتابة والملاحة وكثيراً من
الصناعات الفاخرة ورادوا العالم للتجارة بحراً وبراً .. ولقد
عرف العلم الحديث فضلهم فوفاهم حقهم من الثناء وعرفان
الجميل:

اخترع الفينيقيون الكتابة فوضعوا للغتهم ٢٢ حرفاً هجائياً تمكنوا ان يكتبوا بها ماشاؤوا وعنهم اخذت سائر اللغات حروفها حتى ان العلماء لم يجدوا حتى اليوم حروف هجاء سابقة لحروف الفينيقيين . وكان اختراعهم هذا قبل عصر موسى

وهم اخترعوا الملاحة وذلوا البحر لمقذافهم وفي ذلك يقول مسبرو: « بينا بعض من امراء البحر الفينيقيين يجرون الى اكتشاف البون توكسون Pont-Euxin (البحر الاسود) كان البعض الآخر يسير الى اكريت ويكتشف اراضيها » وقد مدوا تجارتهم في سائر انحاء المعمور شرقاً وغرباً ولهم يعود الفضل باختراع كثير من الصناعات منها البرفير أي الارجوان وكان يستعمله ملوك اشور وآرام وبابل وفارس ومدين في ملابسهم كما جاء في نبؤات حزقيال وارميا ودانيال . ومنها اختراعهم للزجاج الشفاف وفي متاحف اوربا كثير من مصنوعات الفينيقيين الزجاجية وهي تشهد

لهم بطول الباع والمهارة بهذه الصناعة

وكان لهم السبق ايضاً في صنع الآنية الخزفية وكانوا
يشحنون منها الشيء الكثير مثل الجرار والقدر والكوؤس
والصحاف فتوزع في الاقطار حتى على شواطئ الاتلنتيك
وجزر بريطانيا

وكان لهم مهارة خاصة في ما يعمل من المتاع بالنحاس
الاصفر من آنية وزينة وقد ذكرت لهم ذلك التوراة فأرسل
سليمان يطلب من حيرام عملاً منهم لنقش الهيكل قال :
« فالآن أرسل لي رجلاً حاذقاً يعمل الذهب والفضة والنحاس
والحديد والقرمز والسمنجوني ما هراً في النقش مع الحذاق
الذين عندي في يهوذا وفي ارشليم الذين أعددهم داود أبي »
وكان الفينيقيون ذوي همة بعيدة حملتهم الى مختلف
الأمصار وشاسع الاقطار فاستعمروا ماشاؤوا من الارض
شرقاً وغرباً وابقوا في كل بلد نزله آثراً عنهم حتى اليوم

١ سفر اخبار الايام الثاني ف ٢ ع ٧

سفر الملوك الثالث ف ٧ ع ١٣ الى ٤٦

وقد ذكر العلماء اخصهم مسبروشياً كثيراً عن احوال
الفينقيين ومستعمراتهم يُلخص فيما يأتي :

ركب الفينقيون البحر من عرقا وجبيل وارواد ويروت
والخلده وصيدا وصور فقذفت بهم مطامحُ نفس شماء الى بحر
ايجه والارخيل فنزلوا جزر سبوراد وسيكلاد وديلوس « حيث
وَلدت ديانا وابولون » وساموترا « حيث اسرار الهة كبير »^١
ثم جازوا الجزر الى « الالسيون » او مضيق الدردنيل واحتلوا
فيه مدناً حصونها كلبسك ثم ساروا الى البوسفور والبحر
الاسود ومنه الى جبل قاف حيث اخذوا المعادن الثمينة
اخصها الذهب وسيروا سفنهم الغازية على شطوط « الايير »
او البانيا ورادوا ايطاليا وصقلية ولم تعصَ عليهم افريقيا فنزلوا
مصرَ واقاموا فيها لهم مستودعات اخصها ممفيس ثم ساروا الى
تونس حيث بنوا مدينة كماه وحيث بنت اليسار الفينيقية
مدينة قرطاجنة سنة ٨٦٠ ق. م.

ولم يكتفوا بتذليل البحر بل رادوا البرَ فساروا الى بلاد

العرب والكلدان وارمينيا وطرقوا كل طرق التجارة في الشرق الاقصى كاهند وتركستان .

وسار منهم بعض الى اسبانيا فعمروا « قادس » وبنوا « ملاكا » « وسكس » وابدار ومدوا فروعهم الى سفح جبال « اليرينه » . وهكذا ضرب الفينيقيون في مشارق الارض ومغاربها فلم تقف بهم الهمة حتى مدا تجارتهم في كل انحاء العالم المعروف يومئذٍ وقد ابقوا في كل تلك الاصقاع آثاراً عنهم حتى اليوم تروي للخلف عن توقد ذكائهم ومضاء عزيمتهم وكال رقيتهم .

وقد اثبت علماء اليوم ان مهد الحضارة والعلوم والمعارف هو فينيقيا ، لا اليونان ، وان فينيقيا احق بتلك الكرامة الجلى التي لليونانية في العالم غير متنقصين فضل اليونانية في شيء .
فقد كتب المسيو بوجولا في « مراملات الشرق » ماملخصه :

« قد يمكن ان يكون الفينيقيون اخذوا عن الهنود والفرس والبابليين بعض المعارف الاولى وبعض التقليدات النافعة لكن مالم

يخترعوه قد كملوه فقد اخذوا شرارة فصيروا منها شمساً والحق يقال ان هذا الشعب جاد علينا باكثر المنافع . فمصر القديمة جعلت حكمتها وعلومها اسراراً فكانت تحجب بمصباحها لثلاثاً ينبعث نوره لارض سواها واما فينيقية فلم تكن لتألو جهداً في تسطيع انوار معارفها في كل صوب فنتراءى لي مصر في اعصرها الخالية بهيئة كاهن لا ينطق بشيء بل ينحني نوره المقدس في اعتمق خفايا هيكله واما فينيقية فأراها بهيئة اولئك الالهة القدماء الذين كانوا يقولون على رؤوسهم منارة في وسط البحور . وأخص ما يحق لقبنيقية الفخار به اختراع الملاحه واختراع الكتابة .

وللمسيو ليرمان في مثل ذلك قوله :

« ولدت الحضارة في مصر واشور ولكن كان الفينيقيون دُعاهم ورسلمها فلا تجدد بلداً من جزر اليونان حتى بوغاز جبل طارق الا رأيت فيه اثار تعليمهم وما كان لاسفارهم فيه من بث مبادي التمدن . فقد جعل نفوذهم ونشاطهم بلاد اليونان وايطاليا وفرنسا واسبانيا تغادر حالتها الاولى البربرية وتصبح اسبوية الى ان أحرزت بنفسها النجاح الذي رقاها الفينيقيون اول درجاته . »^١

وللمسيو جان يانوسي في كتابه « سوريا القديمة »
ما ترجمته ملخصاً :

« ان الفينيقيين كانوا محور التجارة ومستودع خيرات العالم ومثمناته
من الهند والصين وسياريا الى شواطئ بحر قزوين واسيا الوسطى
وبلاد العربية . ولم تبعد على همة بحارتهم الأبال مجاهل افريقيا
وشواطئ اسبانيا وبلاد الغاله (فرنسا) وايطاليا واليونان .
ولم يكن على سطح البحر المتوسط مزاحم للفينيقيين فبلغوا ما
بلغوا من القوة والعظمة حتى انه لم يكن سبيل للاتصال بين اسيا
واوربا وافريقيا الا بواسطة سفنهم . »^١

وللمسيو جبريال شارم في « رحلته الى سوريا » ما
حكايته

« ان الفضل في ايجاد تلك الثورة الادبية التي غيرت وجه العالم
فاقامت ، على اطلال ذلك التمدن الحثير الذي كان مبنياً في الشرق
على قواعد الانانية ومبادئ الاوتوقراطية والروح العسكرية ، تمدناً
آخر اجلّ واسمى فاتحاً باب الرقي على مصراعيه للتجارة العامة
وللمبادئ الحرة ، انما مرجعه الى فينيقيا . فهي صاحبة الفضل بايجاد

١ جان يانوسي : تاريخ سوريا القديمة ف ٩ ص ١٠٦ ومايلها

هذا التمدن الرحب الذي منه تكون الغرب الحالي.
ذلك هو الفضل الاكبر الذي لفينيقيا على العالم وقد جعل
العالم فضلها رديحاً من الدهر وهو ما يجعل لتلك الامة الكريمة المقام
الاول بين الشعوب التي كان لها تأثير قاطع في تكييف الهیئة الاجتماعية
انها لم تخترع المدهشات مثل غيرها من سابقات الامم انما هي
اوحث لهن مبادئ الاختراع وقواعد الاستنباط: فما لم تعمله هي
عمله غيرها بفضل انوارها وبواسطة تعاليمها وقد لا يكون اضاء
مصباح اليونانية لولا شعلة تلك الانوار والتعاليم.

ان ذلك الشعب الذي ظلّ فضله مجهولاً دهرأ طويلاً ثم ظهر
اخيراً للعلم الحديث فلاً تاريخه على قصره ما كان من الفراغ الغريب
بين الشرق القديم والغرب الحديث، إن هو الا تلك الامة الصغيرة
الفينيقية التي يرجع اليها الفضل وينتهي الشرف في انها كانت همزة
الوصل بين ذينك العالمين.

وينتهي تمدن من الجنوب الى جبل الكرمل ويحفظها من جهة
الغرب البحر المتوسط، كان لبنان من جهة الشرق، يدفع عنها غزوات
الفاثحين الاجانب، تجلج قمه احراج من « الارز » واسعة الاطراف.
وقد ملك الفينيقيون كل السبل التي كانت بين الهند وبلاد
الكلدان والعربية وبلاد القوقاس وبين الغرب.

ولما نزلوا في بلاد اليونان وجدوهم وهم اقرب الى العصابات المتوحشة

منهم الى الشعوب المتمدنة فعلموهم اللغات والصناعة والكتابة والزراعة
وفن الحساب وقد تعرف اليونان على يدهم الى كثير من الاختراعات
التي نشأت في الشرق ثم هذبها وحسنها ذكاء الفينيقيين بل نبوغهم في
وضع الاختراع قيد الاستعمال . وقد اخذ اليونان عن الفينيقيين
كل الكلمات الدالة على تلك الاختراعات والحاجيات .

وخلاصة القول ان اليونان مديونون بحضارتهم للفينيقيين وان ما
لتلك الحضارة والعلوم من فضل على البشرية يرجع اصله الى فينيقيا
لان اليونان ما كانوا الا تلاميذا لهم .^١

وقد كتب المسيو ارنست كورسيوس في تاريخه عن
اليونان فصلاً شائقاً عن تفوق الفينيقيين وعن اخذ اليونان
عنهم جاء فيه

« لا يُنكر على اليونان انهم توصلوا الى اخذ الحضارة عن شعب
أرقى منهم (يريد الفينيقيين) وانهم تمكنوا بذلك ان يسرقوا منه
سراً تفوقه .^٢ »

* *

وقد كانت جبال لبنان في ذلك العهد معقل فينيقيا
الساحلية وحصنها الحصين فقد صان لبنان فينيقيا وحمي

١ جبريال شارم : « رحلة الى سوريا » ص ٦٩ وما يليها
٢ ارنست كورسيوس : « تاريخ اليونان » ج ١ ص ٤٩

استقلالها فكان له فضلٌ كبيرٌ في ما بلغت اليه من
الجاه والعظمة

من اجل ذلك تجسّم عزّ فينقيا وامجادها في لبنان
وكأنّ « العناية » اختارته من قديم الدهر ليكون في الشرق
ملجأً أميناً للنصرانية وموثلاً حصيناً للفازعين اليه فأنشدت
مجده الكتبُ وقدّست أزره اناشيدُ الانبياء حتى باتت للبنان
كرامة القديسات ولارزه حرمة الاسرار يدلك على ما بلغه
من المقام والاجلال ان « الكنيسة » حين شاءت ان
تخصر آيَ المجد في السيدة العذراء لم تجد تعبيراً أوفى من
تخصيصها بالآية « قد اوتيت مجد لبنان »^١

ولئن انحصرت امجادُ فينقيا في لبنان فقد تجسّمت
امجادُ لبنان في ازره الخالد فاطل من شاهق تلك القمم
على الاجيال تتابع والقرون تتخالف فقامت على اقدامه دول
واندثرت دول : فرأى الاشوريين والكلدان والفرس
واليونان والرومان يتطاحنون ويتفانون وهو يشرف على

السُّهْلُ مِنْ عَالِي بَوَاسِقِهِ اشْرَافُ النَّسْرِ مِنْ شَاهِقِ وَكْرِهِ
لَا تَصِلُ إِلَى سَمْعِهِ صَلَافَةُ السُّيُوفِ وَلَا تَمَلُّ مِنْ شِمَاءِ عَزَّتِهِ
شَرَّةُ الْفَاحِشِينَ .

نظرت ملوك التوراة وشعراؤها الى جلال لبنان وجماله
فراعَ جلاله الملوک وهاج جماله الشعراء فقصوا لبنان
وارزّه باياتٍ ساحراتٍ خلدت ذینک الجلالَ والجمالَ دَلَالاً
على الملوک واعجازاً للشعراء

« قال الحكيم في معجزه « نشيد الاناشيد » :

« الملك سليمان صنع لنفسه تختاً من خشب لبنان »

« هلمي معي من لبنان ايتها العروس ، معي من لبنان »

انظري من راس امانة من راس سفير وحرمون من مرابض
الاسود من جبال النمر»

« عين جناتٍ وبئر مياهٍ حيةٍ وانهاره من لبنان »

« عنقك كبرج من العاج وعينك كبركتي حشبون عند

باب بنت الجماعة وأنفك كبرج لبنان الناظر الى دمشق »

« ان كانت سوراً بنينا عليه صرحاً من فضة وان كانت

مصراعاً شددناه بألواحٍ من أرزٍ

وقال الملك داود « في مزاميره »:

« الصديق كالنخل يزهر ومثل ارز لبنان ينمي »

« تروى اشجارُ الرب ارزُ لبنان الذي غرسها »

« هناك تعشش العصافير وللتعلق بيت في السرو »

« سبحي الربَّ من الارض ايتها التانين وجميع الغمار

الجبالُ وجميع التلال . الشجرُ المثمر وجميع الارز »

وقال اشعيا: « قد قرعت الرب على لسان عبيدك

وقلت بكثرة مراكبي صعدتُ الى قمم الجبال واواخر لبنان

قاطعاً ارفع ارزه وخيارَ سروه وبالغا الى علائه الاقصى والى

غابة كرمليه »

وقال هوشع: « واكون لاسرائيل كالندى فيزهري »

١ نشيد الاناشيد ف ٣ عد ٩ وف ٤ عد ٨ و ١٥ وف ٧ عد ٤

وف ٨ عد ٩

مزامير داود: ف ٩١ عد ١٣ وف ١٠٣ عد ١٦ و ١٧ وف ١٤٨

عد ٧ و ٩

نبوءة اشعيا: ف ٣٧ عد ٢٤

سفر هوشع: ف ١٤ عد ٦ و ٧ و ٨

كالسوسن ويمدّ عروقه كلبنان وتنتشر فروعه ويكون بهاؤة
كالزيتون ورائحته كلبنان فيرجع الساكنون في ظله ويحيون
بالخنطة ويزهرون كالكرم ويكون ذكره كخمر لبنان
وقد وصف حزقيال ارض لبنان بما يملأ النفس مهزة
قال: «هوذا اشور ازره بلبنان بهيجة الافنان غيباء الظل
شامخة القوام وقد كانت ناصيتها بارزة بين اغصان ملتفة. المياه
عظمتها والغمر رفعها. انهارها جرت من حول مغرسها
ومجارها ارسلتها الى جميع اشجار الصحراء. فلذلك عند
نشأتها ارتفع قوامها فوق جميع اشجار الصحراء وكثرت
اغصانها وامتدت فروعها من كثرة المياه. في اغصانها
عششت جميع طيور السماء وتحت فروعها ولدت جميع وحوش
الصحراء وفي ظلها سكنت جميع الامم الكثيرة»^١

* *

وقد عظم شأن فينيقيا واتسعت املاكها فكانت عظمتها
واتساعها سبباً في تهقرها وسقوطها: سنة الطبيعة في الممالك

والدول فهكذا تقهرت اليونان وهكذا سقطت روما
ولتلك الاسباب نفسها تضاءلت الدولة العمانية بعد ان
مدت فروعها في اسيا واوربا وافريقيا :

ففي الجيل التاسع ق.م. دخل « الاشوريون » فينيقيا
وافتخرت بجلت فلاصر أنه اخذ من خشب الارز واعتز نمرود
انه « أخذ نواحي جبل لبنان وذهب نحو بحر فينيقيا الكبير
وترم على اعالي الجبال بتسايح الالهة العظام »^١

+

وفي ذلك العهد جلست جماعة من الفينيقيين صحبة
« اليسار » بنت الملك فركبوا البحر الى سواحل تونس حيث نزلوا
حوالي سنة ٨٦٠ ق.م. وبنوا مدينة سمتها اليسار « قرية
حديثا » وهي عند العرب « قرطاجة » تلك التي قدر لها ان
تصبح فيما بعد ضرة لرومه ومزاحمة لها على مجدها فتصلي معها
في حروب مشهورة باسم « الحروب البونية » اي الفينيقية
وفيهما كاد « انيبال القرطاجني الفينيقي الاصل » يظفر باكاليل

النصر ويقيم معالم قرطاجة على اطلال روما لولا أن خانة
الجد في آخر امره^١ على ما هو مشهور في تاريخ روما
وقرطاجة. ^١

*

وبعد ملوك اشور آتى الكلدان والفرس في الجيل السادس
ق. م. فضل اللبنانيون يناصبونهم القتال ذوداً عن حريتهم
كلما وجدوا الى ذلك سبيلاً. ^٢

*

وفي منتصف القرن الرابع سنة ٣٥٦ ق. م. ظهر في
سما مقدونيا نجم ذلك الفاتح الاكبر فبعث انواره الساطعة
في افلاك الممالك شرقاً وغرباً نحسفت لطلعته نيراتها وهوت
تلك الاجرام من ابراجها فنال ذو القرنين من بسطة
السلطان وسطوة الملك مالم ينله فاتح قبله فاستظلت فينيقيا
افياءه فيما أظلت من المدن والبلدان.

—*—

١ بنيت قرطاجة بالقرب من تونس وقد بلغت خشية الرومانيين من شوكتها
وعظمتها ان احدهم « كاتون القديم » جعل لكل خطبة لازمة كان يرددها
دائماً: « واني افكر من جهة اخرى انه لا بد عن سحق قرطاجة »

٢ مسبرو تاريخ شعوب الشرق القديم ص ٢٣٨

الباب الثاني

لبنانه على عهد الرومان

لم تدفع شوكة الاسكندر وبطشه يد الموت عن مهاده
الملكى فتقلص ظله الوارف وقضى تاركاً ذلك الملك الواسع
لخلفاء ناءت مناكبهم تحت اعبائه فلم يبلغ « الفاتح الرومانى »
فينيقيا الا وشوكة اليونان قد خضت فيها فنشر عليها
« بوميلاس » القائد راية روما سنة ٦٤ ق. م. فقدر لها ان
تظل خافقة في سماءها الى غرة القرن السابع
لم ينكر الرومان على فينيقيا فضلها ولم يحكموا في لبنان
حكم الظافر المكتسح بل قدروا ذلك الشعب الاثيل قدره

١ بوشيد : « سوريا على عهد الرومان »
جاستون ماي : مبادئ القانون الرومانى

واحترموا مكانته وقد اثبتوا احترامهم له بمظاهر عديدة وشواهد ناطقة ، منها ان الكثيرين من الامبراطرة الرومانيين احسنوا المجاملة لفينيقيا فسكنوا مدن لبنان واهتموا بتخليد ذكرهم فيه فبنوا المدن الجميلة وغالوا في اتقانها فان الامبراطور « ادريان » زار لبنان في القرن الثاني وسكن مدة في جيبيل . وشاد « اغسطس قيصر » مدينة بيروت واطلق عليها تيمناً اسم ابنته فدعاها « يوليا السعيدة » وخول اهلها حقوق الرومانيين . وقد انجب لبنان الفينيقي كتاباً وعلماء كانوا موضوع اعجاب العالم الروماني واجلاله :

منهم « فيلون الجيبيلي » ولد في جيبيل ، حوالي سنة ٧٠ للمسيح وعاصر الامبراطور ادريان في القرن الثاني ، وله مؤلفات عديدة في مواضيع مختلفة . منها تاريخ الامبراطور ادريان وتاريخ فينيقيا ومجموعة عن المدن الكبرى والرجال العظام الذين خرجوا منها . وما بقي من تلك المؤلفات يشهد لصاحبها بالعلم والبلاغة .

واكبر علماء نجبوا في القانون بين الرومان كانوا من

الفينيقين اخضهم « اوليان » القانوني وهو من ضواحي
صور ولد حوالي سنة ١٧٠ للمسيح وكان استاذاً للحقوق في
كلية بيروت ثم أصبح مستشاراً خاصاً للإمبراطور الكسندر
سافروس

وقد فاق الجميع علماً وادباً « باينيان » القانوني الطائر
الصيت وهو من واضعي القوانين الرومانية التي عنها أخذ
العالم بأسره وقد كان هو ايضاً استاذاً للحقوق في كلية بيروت
ثم مستشاراً خاصاً وصديقاً حميماً للإمبراطور سبتيموس
سافروس . وقد بلغت منزلته بين علماء الرومان ان شرعة
سنة ٤٢٦ قضت بانه اذا تساوت آراء العلماء في معضلة
قانونية يرجع الى رأي « باينيان » فيكون فصل الخطاب

وامثال اولئك الاقطاب كثيرون مثل « برفير الصوري »
و « لوسيانوس السميساطي » و « يوليوس بولس » ممن
كان يشار اليهم بالبنان بين علماء الرومان

وقد بلغ من احترام الرومان لفينيقيا ان ذلك الشعب
الجبار الذي دوخ العالم وساد الشعوب لم يستنكف من ان

يجلس على عرش روما امبراطرة من اصل فينيقي فكان منهم
« سبتيموس سافروس » وقد ملك من سنة ١٩٣ الى سنة ٢١١
« وسبتيموس جيتا » واخوه « كاراكلا » : ملك الاخوان
سويةً من سنة ٢١١ الى سنة ٢١٢ ثم ملك كاراكلا وحده الى
سنة ٢١٧

« واليوجيل » او « اله الجبل نسبة الى جبل لبنان »

وقد ملك من سنة ٢١٨ الى سنة ٢٢٢

« والكسندر سافروس » ملك من سنة ٢٢٢ الى سنة ٢٣٥

ومن المعروف في تاريخ روما ان عصرها الذهبي

وتفوقها الادبي كان على عهد الامبراطورين من آل سافروس :

سبتيموس والكسندر ، فقد اتخذوا لهما مستشارين واخصاء من

مواطنيهم الفينيقين امثال باينيان واولييان ويوليوس بولس

فكانوا كالهالة الوضاء احاطوا بالعرش الروماني فانبعث منه

الى العالم انوار العلوم والمعارف والقوانين الاجتماعية مما لم

يسبق له مثيل في التاريخ . ومن مآثر ذلك العصر الذهبي

وضع الشرائع المدنية وتخفيف الضرائب عن عاتق الاهلين
ومحسين حال الجندي وانشاء المصارف واقامتها على قواعد
تمكنها من تسليف المال بفائدة قليلة

وقد كان الامبراطور الكسندر سافروس على جانب
عظيم من دعة الاخلاق وسمو المبادئ فبذ عادات الفخفخة
في البلاط الامبراطوري وله في ذلك قوله الماثور: « ان
عظمة الامبراطورية تقوم على الاخلاق لا بالفخفخة والابهة
الظاهرة »

وقد أوصل اولئك الامبراطرة الى مقام يحسر دونه
الطرف عزمهم اشم وهممة قعساء وثقة بالنفس لاتيها : فيها
امثلة وعبر للمتأخرين . . .

وان شعباً ينبج امثال اولئك العلماء ويدفع الاقدام
ابناءه الى تبوء عرش القياصرة لحقيق بان يحفظ التاريخ
حرمته ويحترم العالم كرامته على كرور الازمان
وقبيح بالاحفاد وان قدم العهد ان يتطرق القنوط
الى قلوبهم ويستولي اليأس على همهم فيفقدوا ثقتهم بانفسهم

وبأمتهم : فان افطع ما بمنى به شعب فقد الثقة بنفسه ،
وهم لوشاؤوا لنهض بهم الجدد ومشوا الى حيث يعجز عن
المحقاق بهم ابناء الأمم الأخرى

*

ولم تفارق اللبنانيين ، على عهد الدولة الرومانية ، هممة
اجدادهم الفينيقيين بل رادوا الاقطار كما رادها آباؤهم فحمل
اهل بيروت وجبيل وصور الى العالم مصنوعاتهم ومحصولاتهم
كالانسجة الحريرية والفراء والطيوب والبهار وانشأت نزالاتهم
المحلات التجارية في المدن التي نزلتها فكان للصوريين
والبيروتيين محال في اعظم فرض ايطاليا لاسيما « اوستيا »
« وبوزولي » من اعمال نابولي وفي « سالونا » بدماسيا
وفي « اسكولي » على الادرياتيك وفي « ملاكا » من
اعمال اسبانيا وفي جرمانيا وفرنسا لاسيما في « بوردو »
« وليون » « وباريس » « واورليان »

وقد كثرت الجاليات الفينيقية اللبنانية في بعض
تلك المدن حتى اصبح لهم فيها شأن سام مكنهم من

تشديد المقامات الدينية لاقامة شعائرهم فيها ، فقد اثبتت مجموعة
الخطوط اللاتينية ان جالية بيروتية اقامت في « بوزولي » نصباً
للمشترى الاعظم البيروتي .

وروى القديس غريغوريوس اسقف طور^١ انه لما اتى
الملك جوتتران بن كلوتر الاول الى مدينة اورليان خرج
الشعب لملاقاته وكانوا يجأرون بالدعاء له بالعبرانية والسريانية
واللاتينية . واثبتت مجموعة الخطوط اللاتينية من الخطوط
التي عُثر عليها في مقبرة مدينة كونكورديا^٢ في
ايطاليا الشمالية ، ان الاجانب المدفونين هناك جميعهم
سوريون^٢

وقد كانت النصرانية في لبنان على عهد الرومان
تتقلب بين الاعزاز والاضطهاد فطوراً يحميها ملوكهم فيشتد
ازرها وطوراً يناصرونها العداء فيقوى ساعد الوثنية عليها :

١ غريغوريوس اسقف طور ولد سنة ٥٣٨ وتوفي سنة ٥٩٤ وكتب
تاريخ الفرنجة . وجوتتران هو ابن كلوتر بن كلوفيس ولد سنة ٥٢٥ وتوفي
سنة ٥٩٣

فلما جلس « قسطنطين الكبير » على عرش الاستانة
أذاعَ في سنتي ٣١٤ و ٣٢٤ أمرين أباحَ فيهما
للنصارى مباشرة دينهم واقامة شعائرهم على ما يشتهون
فرسخت اذ ذاك قدم المسيحية في لبنان ثم ما لبثت ان
ذلت على عهد « يوليانس الجاحد » ثم عادت فاعتزت على
عهد « تاودوسيوس الكبير »

وما زالت بين ارتفاع واتضاع حتى قُدر لها ، على ما
اثبتته العلماء ، ان تظفر فيه نهائياً على جيوش الاوثان
في القرن السادس « بفضل الشعب الماروني »^١ فأصبح
لبنان منذ ذلك العهد موثلاً للنصرانية في سوريا

* *

يمزج العلماء معظم تاريخ لبنان بتاريخ الموارنة من
الجيل السادس الى الجيل السادس عشر . والذي يهمننا من

١ الاب لامنس : ترميح الابصار فيما يحتوي لبنان من الآثار ج ٢

تاريخ الموارنة في هذا البحث استقراء تاريخ لبنان فاذا جرى ذكر الموارنة فمن حيث انهم لبنانيون فقط :

نشأت المارونية في اوائل الجيل الخامس في شمال سوريا في البلاد الواقعة بين انطاكية وقورش حيث تصدى «القديس مارون» لمحاربة الاوثان فقام يدعو الناس الى الدين المسيحي فذاع صيته فضائله وراسله القديس «يوحنا فم الذهب» واهتدى على يده كثيرون الى النصرانية ولم يقض القديس مارون نحبه الا وله تلاميذ عديدون خلفوه في الدعوة والتبشير فتبعهم جمهور غفير اطلق عليهم لقب «الموارنة» وقد اخذ الموارنة يهاجرون من وادي العاصي الى لبنان فسكنوا اولاً جهاته الشمالية حيث انضم اليهم اللبنانيون المقيمون في تلك النواحي وامتزجوا بهم فاصبحوا جميعاً شعباً واحداً لم يقتصر نموه على جهات الشمال من لبنان بل تعداها الى اواسطه ثم الى جنوبه .

١ الدبس : تاريخ سوريا ج ٥
الدوميني : (البطريرك اسطفان) : تاريخ الطائفة المارونية ص ١٧ ومايليها

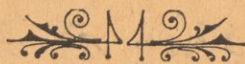
وما زالوا على نموّ وازدياد واستقواء حتى تقلص ظلُّ
الوثنية من لبنان على يدهم فاصبح اللبنانيون والحالة هذه
شعباً مسيحياً واحداً تجمعهم وحدة الدين وتشدُّ أواصرهم
رابطة المصلحة المشتركة

ولم يلبث ان شعر ذلك الشعب في بدء أمره انه قبل
كل شي «عصره مسيحي» امتزجت وطنيته بدينه واندمت
قوميته بمذهبه ، ساعده على سلوك هذه السبيل والاسترسال
فيه التفاف جيرانه من اليعاقبة اولاً والمسلمين بعدهم حول
العنصرية الدينية وانصواؤهم تحت لواء العصية المذهبية فكان
من ثم بين الفريقين مناوءات وعداوات افضت باللبنانيين الى
التحصن في جبالهم والاعتصام بمعاقلهم ذائدين عن دينهم
واستقلالهم منعاً للاجنبي من التدخل في امورهم والقضاء
عليهم

وقد ظلت «العنصرية المسيحية» رائد اللبنانيين في
وطنيتهم دهرأ طويلاً فقامت سدّاً منيعاً في وجه الفاتحين
الذين تقلبوا في سوريا فهي التي سمحت لبنان وصانت حريته

واستقلاله منذ الجيل السابع حتى الفتح التركي في الجيل
السادس عشر وفيه ظهرت تبشير « القومية اللبنانية » التي
حلّت محلّ العنصرية المسيحية

واول مرّة اتيح فيها للبنانيين ان يثبتوا الملاءمة
قوة عنصريتهم وبأس رجالهم كانت يومَ ردّوا تيار الغزاة
من العرب عن جبالهم فضلًا ثابتاً عزيز الجوانب بينما اركان
المملكة الرومانية تنهار حواليه ويولي هرقل الادبار امام
جيوش المسلمين.



الباب الثالث

بناه على عهد المردة والعرب

في مستهل القرن السابع للمسيح أطلق من الحجاز
جواداً عربياً صميم فاجتاح الحجاز والجزيرة ولم يقف به
خالد بن الوليد وعبيدة بن الجراح الا وقد ساقا امامهما
خيل الروم حتى اليرموك وحمص وحماء وقنسرين فدوخا
الاقطار الشامية ولم يلبث ان أنفذ عمر بن الخطاب الى
مصر وفارس غزاته فاتحين.

ولم يكد يستقر الامر لمعاوية في الشام حتى طمح
بابصاره الى القسطنطينية وريثة أمجاد الرومان وعنوان
عظمتهم بعد روما، فسير عليها في سنة ٤٨ هجرية جيشاً

كثيفاً مع سفيان بن عوف ففسى العربُ من فتح الى فتح
حتى بلغوا أبواب القسطنطينية وضربوا عليها حصاراً محكمًا.
وكان في ذلك الجيش خيرةُ قواد العرب كابن عباس وعمر
بن الزبير وابي ايوب الانصاري

وقد اجمع المؤرخون الذين كتبوا حوادث تلك الايام
ان من اكبر العوامل في خيبة معاوية ورجوعه عن فتح
عاصمة الروم ، غاية مجهوداته ومنتهى آماله ، كان خروجُ
البنانيين عليه في سوريا. وبيان ذلك ان العرب دوخوا
الشام فخصعت لهم اقوامها واندغمت فيهم صاغرةً الا ان
لبنان ظل قائماً في وجههم يتشبث اهلوه بعنصرتهم
واستقلالهم ولهم في جبالهم ما يشاؤون من القوة والمنعة
فلم يحسن العربُ السياسة مع لبنان فبدلاً من ان
يحترموا نزعة قومه الى الحرية وتشبثهم بالاستقلال فيستميلوهم
اليهم ويحالفوهم على الاجانب دفعهم حبُّ السلطة والتوسع
الى مناواة اللبنانيين كلما وجدوا الى ذلك سبيلاً . فلم ينم-

البنانيون الالباسل على الأذى ويستسلموا للفاحين بل باتوا
في قم جباهم ممتعين يرقبون الفرص لردّ اطماع الغزاة
عنهم وحملهم على احترام عنصرتهم واستقلالهم . فلما
سمعوا بفتوح جيش معاوية وبأنه اخذ يضرب القسطنطينية
وهي تكاد تسقط في يده راعهم الامرُ ليلهم للروم ، وهم
نصارى موالون ، ولخوفهم من استفحال شوكة العرب
وهم لم يحترموا حقوق البنانيين ولم يراعوا امتيازاتهم . فلما
اشتدت وطأة العرب على الروم ، وعاهلهم يومذاك
قسطنطين اللحياني ، دعا الملك قسطنطين البنانيين لنجدته
فلبسوه سراعاً وهبطوا من معاقلهم واخذوا يصلون معاوية
حرباً دراكاً وقتالاً مضنكاً حتى أفسدوا عليه خططه فلم
يعدّ بامكانه التفرغ لمحاصرة القسطنطينية بل اضطرّ الى
الاهتمام بأمر البنانيين وردّهم عن المدن والاقطار الشامية
وهي مهدقوته وقاعدة ملكه . فأكره على مفاوضة الملك
بأمر الصلح ووقعه له على ما يوافق مصلحة الروم فتبعت
بذلك « بيزنطية » من فتحٍ قُدّر لها وقوعه بعد مضيّ

ثمانية اجيال على يد محمد الثاني سنة ١٤٥٣

واليك الشواهد التاريخية على ما تقدم :

جاء في تاوفانوس المؤرخ اليوناني عن سنة ٦٦٩ :

« ولما سمع معاوية ومستشاروه (بغزوات المردة) خافوا خوفاً شديداً حتى أنهم ارسلوا رسلاً الى قسطنطين الملك في طلب الصلح وفوضوا ان يعرضوا ايضاً الجزية السنوية ٠٠٠ ومن بعد الاخذ والرد في امر الصلح تم الاتفاق كما يلي :

ان يدفع العرب لجزية الروم كل سنة ثلاثة الآف وزنة من الذهب وثمانية الآف مملوك وخمسين فرساً كريماً . »

وجاء فيه عن سنة ٦٧٦ : « وبسبب غزوات المردة في الارحاء التي حول لبنان ٠٠ طلب هو نفسه (ابي عبد الملك) تجديد عهد الصلح التي كانت عقدت على عهد معاوية فأرسل رسلاً الى الملك في ذلك وتعهد بان يقدم ٣٦٥ وزنة من الدنانير الذهبية ومثل هذا العدد من المالميك وقدراً لا يقل عنه من الخيول الكريمة . »^١

وقد دون أيضاً تلك الحوادث المؤرخ اليوناني سدرانوس
حيث جاء ما ترجمته ملخصاً: « وفي السنة الثامنة لقسطنطين
اللياني بلغ المردة من القوة في لبنان أنهم اوقفوا تقدم
العرب وارغموا الخليفة معاوية على طلب الهدنة من الروم
لثلاثين سنة على ان يدفع العرب جزية قدرها ٥٠ فرساً
كريماً ومئة مملوك وعشرة الآف ذهباً »^١
وفي ذلك يقول الشدياق: « لما حاصر معاوية قسطنطين
الملك اللياني في القسطنطينية أرسل الملك قسطنطين
يستنجد بالمردة فأنجدوه وكفوا عنه العرب فاضطر معاوية
ان يعقد الهدنة للملك قسطنطين. »

وقد ذكر الشدياق في تاريخ سنة ٦٩٩: « ان الملك
طياريوس أرسل عساكره لغزو الشام ومحاربة العرب الذين
دخلوها فكتب الى الامير سمعان امير جبل لبنان ان ينجده
بالعسكر فاجابه وارسل الجيوش نحوهم الى ان شارفهم فالتق
حينئذ العسكران وما زالوا بهم الى ان استظفروا على العرب

فلما بلغ طياريوس ذلك داخله السرور وخلع على الامير
سمعان وعظمه^١ »

وقد تبسط في سرد تلك الحوادث المسيو جول دافيد
في تاريخه « سوريا الحديثة » حيث جاء عن مساعدة
البنانيين للروم واضطرارهم معاوية الى تحويل قواته عن
القسطنطينية ما ترجمته ملخصاً: « اما ما اضطر العرب الى
تحويل قواهم عن الروم فقد تم على يد امة جديدة كانوا
يسمونها « الموارنة » . فان ما أبداه رجال تلك الامة من
الجرأة والعناد في القتال وما اظروه من الدربة والهمة في
خطتهم ومن الحكمة في توزيع قواهم كل ذلك استرعى
بال معاوية وما لبث ان راعه الامر حتى اضطر الى
تحويل قواه عن حصار القسطنطينية فلم يتمكن من ارسال
كل جيشه عليها

« فامام هذه الحوادث يتساءل المرء كيف نظم ذلك
الشعب نفسه ؟ بل كيف بلغت منه الهمة والنشاط حدًا

مكّنه من الوقوف في وجه ذلك الغازي المكتسخ يوم كان
القنوط عمّ سائر مسيحي سوريا؟ ..

« تلك امور لا يمكننا تبيانها الا اذا رجعنا شيئاً الى
الزمن الغابر .. وعلى كلّ فن الثابت انه كان في نفس
ذلك الشعب منذ القدم روح كبيرة ونزوع قوي الى الحياة
حتى تمكن على ممر الاجيال من ردّ اطماع المسلمين عنه
فذاق في جهاده المتواصل حلوّ الحوادث ومرّها ولكنه لم
يفقد في كل حال حتى يومنا هذا قوميته ودينه وعاداته .
اما اصل عصبة اولئك الابطال التي صارت شعباً فيما بعد
فقد اختلف فيه المؤرخون : فمن قائل أنهم هم « المردة » الذين
كان لهم كل مميزات سكان الجبال كالشجاعة وحب
الاستقلال .. وعلى كلّ فسواء كان هذا الشعب من المردة
او كان منذ الاعصر الاولى من سكان جبال لبنان او كان
مجموعاً من المسيحيين الذين فرغوا الى لبنان على عهد الفتح
الفارسي او الفتح الاسلامي فالحقيقة التي لا جدال فيها هي
ان ذلك الشعب كان قد أصبح في اواخر الجيل السابع

في سوريا على جانب عظيم من القوة وان معاوية اضطر
ان يحسب له حساباً وانه كان يومئذ على ما اكده المؤرخ
تاوفانوس قد مد رواق ملكه من جبل طوروس في اقصى
شمال سوريا حتى الجليل حوالي اورشليم المدينة المقدسة .»

وبعد ان يذكر المؤلف ما قيل في أصل الموارنة مما
لا دخل له في هذا البحث يأتي على ما فعلوه من الاعمال
الباهرة في سبيل حرّيتهم واستقلال بلادهم قال :

« كان الموارنة شديدي التعلق باستقلالهم حتى التعشق
كثيري التشبث بدينهم عن اعتقاد حي . . . من اجل
ذلك لم تهن لهم عزيمة في ردّ حملات العرب عن بلادهم
حتى أنهم في مزاوله الحروب ومداومتها قد ألفوا فنّ القتال
فلم يلبثوا ان اصبحوا جنوداً محنكين ورماةً مدرّبين وفرساناً
أبأسل لم يكتفوا بردّ الاجني عن بلادهم بل طمحو الى
توسيع سلطانهم فتبسطوا فيه من جبل طوروس شمالاً الى
السكرمل جنوباً .»

« ومن الحصون التي انشاؤها « بسكتنا » في سفح لبنان

الشرقي «والحدث» في وادي النهر الكبير و «بشراي» على
منبسط الجبل وقد اصبحت فيما بعد عاصمة الموارنة «
«ولما غزا العربُ سوريا راعَ فتوحهم الجبلَ في باديءِ
الامر فلجأ الموارنة الى حصونهم يرقبون مرور تلك الزوبعة
حتى اذا تفرقت قوات المسلمين في العالم عاد الموارنة الى
القتال بعنادٍ شديدٍ .

«وبينا المدن السورية نائمة عن قتال العرب كنت ترى
الموارنة يواصلونه بلا انقطاع وقد بلغ منهم البأس مبلغاً
جعلهم يهزأون بأمر امبراطور القسطنطينية حين اشار عليهم
بملازمة السكينة ، فانهم رغم اشارته لم يلقوا السلاح قط .»
ثم يتطرق المؤرخ الى ذكر ما عاناه العرب من
البنانيين ويأتي على بيان ما حاوله معاوية من الاعمال
توصلاً الى خضد شوكتهم وكسر شرهم فلم ينل منهم
منالاً قال :

«عبي معاوية جيشاً لجباً وسيره على لبنان حتى
بسطَ سلطته على سوريا كلها وقد قسم جيشه الى ثلاثة

فيالِق واصدر أمره ان تطبق في وقت واحد على جيبيل
وبسكتتا وبشراي . فردت تلك المدن حملات الهاجمين
ودافعت دفاعاً باسلاً فتمكنت بفرط ما بذلت من جرأة
وثبات من ازغام العرب على رفع الحصار ٠٠ وبعد ما نال
الموازنة ما نالوا من التوفيق والنجاح جمعوا شملهم من كل صوب
حتى الفوا جيشاً ينيف على الثلاثين الفاً واحتلوا بامرة خيرة
قوادهم مواقع حصينة اخذوا يشنون منها الاغارات على
وادي العاصي وسهول دمشق وأكروها ما يناهز الستين الفاً
من العرب على الوقوف امامهم في سوريا ، ولولا قتال هؤلاء
الحلفاء المتواصل وما اظهروه من الشجاعة والحكمة لتفرغت
تلك الجيوش لحرب الروم وتمكنت من الزحف على القسطنطينية ،
وربما كانت تلك القوة كافية كافلة لسقوط العاصمة البيزنطية :
ذلك هو العامل الكبير الذي ذكرناه في بدء كلامنا والذي
كان له الفضل الاكبر في درء الخطر عن عاصمة
الامبراطورية الرومانية »^١

فمساعدة لبنان للروم على العرب تثبت استقلال لبنان
منذ هاتيك الايام واستبسال ذلك العنصر اللبناني في الذود
عن حرته وامتيازات بلاده . ولو لم يكن لبنان يومئذ
ذا مركز خاص لا كره اللبنانيون على القتال مع العرب
اسوة بسائر الاقطار السورية .

وقد ظلَّ اللبنانيون على استقلالهم حتى قدم الصليبيون
الى سوريا فخالف لبنان الصليبية على الدولة الفاطمية لذات
الاسباب التي جعلته في الجيل السابع يحالف الروم على دولة
بني امية .

وقد نالت الصليبية من تلك المحالفة ما ناله الروم
قبلهم من الفوائد فكان اللبنانيين في نجاح الصليبيين وفوزهم
فضل كبير ذكره لهم المؤرخون



الباب الرابع

لبنانه على عهد الصليبيين^١

لم يهتز العالم منذ بدئه لعاطفةٍ او لفكرةٍ اهتزازه لنعرة
الدين سواءً أتاه على يد بوذا او موسى او عيسى او محمد
في نهاية القرن الحادي عشر دَوَى في اوربا صوتُ
داعٍ الى الجهاد رَدَّتْ صدها ممالكها من الشمال الى
الجنوب ، فخرقت النعرةُ الدينية سيلاً عمرماً من الرجال
والنساء والاولاد تدفق من الغرب على الشرق ، ولم يحلْ
دون تياره ما اعترضه من الاهوال والكوارث برداً وجوعاً

١ راجع الكردينال هرجنتر: تاريخ الكنيسة ج ٤

والديس: تاريخ سوريا ج ٦

وابا الفدا: ج ٢

وعطشاً ومرضاً واقتتالاً : تلك هي الحروب الصليبية^١
ولم تصل جيوشُ الصليبية الاولى الى سوريا الا وهي
منهكة القوى ، حتى انها حين شارفت لبنان كان بلغ منها
الاعياء مبلغه فلو تصدّى لها فيه عندئذ جيشٌ معادٍ لظفر
بها ، وقد لا يكون قام للصليبية بعدها في الشام ذلك الملك
الواسع الذي تم لها حوالي المائتي سنة

الا ان الدولة الفاطمية التي كان لها الحكم عهدئذٍ في
سوريا وقعت في نفس الخطأ الذي سبق للامويين ارتكابه
فهي لم تضرب صفحاً عن الفوارق الدينية فتتحالف لبنان

١ حملات الصليبية ثمان : الاولى : ١٠٩٦ — ١٠٩٩ بشر بها بطرس
الناسك (يار لارميت)

الثانية : ١١٤٧ — ١١٤٩ بشر بها القديس برزودوس وسارت باصرة
كونراد الثالث امبراطور المانيا ولويس السابع ملك فرنسا وحاصرت الشام
وعجزت عنها واضطر الملكان الى الرجوع الى اوربا

الثالثة : ١١٨٩ — ١١٩٢ بشر بها غليوم مطران صور وزحفت بقيادة
فردريك بربروس امبراطور المانيا وقليب اوغست ملك فرنسا وريشارد قلب
الاسد ملك انكلترا

الرابعة : ١٢٠٢ — ١٢٠٤ بشر بها فولك دي نولي وقادها بودوين التاسع
كونت دي فلاندر

حتى يكون معها يدًا واحدة في الملمات الطارئة ، فضل
البنانيون والحالة هذه ينظرون الى كل غازٍ مسيحي نظرهم
الى حليفٍ طبيعيٍ تجمعهم وايه رابطةُ الدين وهي اذ ذاك
اقوى الروابط وأمتها

وكما استفاد الرومُ من البنانيين على عهد معاوية هكذا
استفاد الصليبيون من لبنان يوم بلغوا سوريا ، فأنهم استنجدوا
البنانيين فلباهم لبنانُ بخيله ورجله وفيه يومئذٍ من الرجال
الاشداء المدربين على حمل السلاح من يعدُّ بالألوف ،
فانضموا الى الصليبيين وغشوا معاً الاقطار الشامية فقامت
الصليبية على اطلال الدولة الفاطمية وكان في ذلك للبنانيين
يدٌ جلي ذكرها لهم المؤرخون . فقد جاء في « سوريا الحديثة »
لصاحبها جول دافيد عن وصول الصليبيين الى لبنان في

-
- الخامسة : ١٢١٩ - ١٢٢١ بامرّة جان دي بريين ملك اورشليم
واندراوس ملك المجر
السادسة : ١٢٢٨ - ١٢٢٩ قادها فردريك الثاني خليفة جان دي بريين
على مملكة اورشليم
السابعة : ١٢٤٨ - ١٢٥٢ قادها لويس التاسع ملك فرنسا وانكسر في
مصر في واقعة المنصوره
الثامنة : ١٢٧٠ - قادها لويس التاسع نفسه وتوفي امام تونس

طريقهم الى القدس ما ترجمته :

« بعد ان مشى الجيش (جيش الصليبيين) بضعة ايام على سفح لبنان وصل الى حيث لم يكن بدّ من الولوج في الجبل فتغيرت حينئذ الامور على غير ما يريد الصليبيون فان الجبال كانت عالية نوائى تطلُّ على هاويات عميقة اذا زلَّ اليها المرء تهشم في انحداره على نواشزها ، فساروا على دروب منهكة ضيقة ، تملأها حصى زالقة ، وتعلوها صخور هاوية ، ومن الجانبين وديان بعيدة القرار ، فلو تصدّى للجيش بضعة انفار من الاعداء في بعض هاتيك المآزق لصدوه ونالوا منه ، الا ان الجيش لحسن حظهِ ، لم يلق في مسيره شيئاً من ذلك ، بل كان الامر بالعكس فان ضلع اهالي الجبل كان مع الصليبيين . اولئك هم « الموارنة » الذين ساعدوا الصليبيين فكانوا هداة لهم في الطريق وسباقاً للجيوش . وهكذا مر الصليبيون امام بيروت وصيدا وصور مواصلين زحفهم بلا قتال . . . »

وقد نوّه بذكر أعمال اللبنانيين وما بذلوه من
المعونة الفعالة مؤرخو الصليبيين الذين دونوا حوادث تلك
الايام وكانوا عليها شهوداً عيان كغليوم مطران صور وجاك
دي فيتري مطران عكا وغيرهما

من ذلك ما جاء في تاريخ غليوم مطران صور عن

الموارنة اللبنانيين :

« ولم يكن ذلك الشعبُ قليلَ العدد فهم على ما يقال
يربون على الاربعين الفاً وهم يسكنون ارض فينيقية ولبنان .
وكان هؤلاء القوم على جانب عظيم من البسالة والتدرب
على السلاح ولقد ساعدوا قومنا المسيحيين مساعدات جلي
في محاربة اعدائنا ٠٠ »

وفي ذلك يقول الشدياق :

« انه سنة ١٠٩٩ قدمت الافرنج من انطاكية الى
القدس فلما وصلوا الى عرقا وفد اليهم اناس من المردة من
جبل سير وصقع الضنية وجبل تلك التخوم وترحبوا بهم

وسار معهم بعض^١ وهدوهم الطرقات والمسالك حتى بلغوا
القدس وكانوا يجدونهم في الواقع ويمدّونهم بالميرة. «^١
وذكر المسيوراي في تاريخه عن «جاليات الفرنجة في
سوريا في الجيل الثاني عشر والجيل الثالث عشر» من كلام
له عن اللبنانيين انهم في حصار طرابلس قد بذلوا معونة جلي
للكونت سان جيل وساعده على فتحها^٢
وما زال اللبنانيون يجدون الصليبيين بالمال والرجال
حتى اتى سوريا الملك لويس التاسع فلم يكتفِ الموارنة
بتعزيد الصليبيين في سوريا بل تطوع منهم عدد^٣ وافر من
لبنان وقبرس، حيث كان لهم جالية كبيرة، واشتركوا في
حملة الصليبية السابعة التي زحفت على مصر سنة ١٢٤٥ بامر
الملك القديس. وقد نوه المؤرخون ببسالة اولئك الشجعان
ابناء الجبال ووصفهم «بجمالي سلاح الايمان في الداخل

١ الشدياق ص ٢٠٣

٢ ا. راي: جاليات الفرنجة في سوريا في الجيلين الثاني عشر والثالث عشر

وسلاح الحديد في الخارج»^١
وفي ذلك يقول الكردينال «هرجنتر» في كتابه
«تاريخ الكنيسة»:

«كان عدد الموارنة وفيراً في جزيرة قبرس وقد خدموا
القديس لويس ملك فرنسا خدمات تُذكر^٢»

وقد اشتهرت خدمات الموارنة للصليبيين وعلاقاتهم
الطيبة معهم، خصوصاً مع القديس لويس، حتى ان كل من
ذكر ذلك العهد لا يرى بدءاً من الاشارة الى تلك الروابط
فيثني عليها

من ذلك ما جاء في خطاب القاه البابا لاون
الثالث عشر في ٢٣ يونيو سنة ١٨٩٠ اثباتاً لانتخاب البطريرك
يوحنا الحاج، قال ما ترجمته:

«وأعمال هذه الامة (المارونية) جليلة طاهرة الشهرة
ولقد أبدت منتهى الشجاعة يوم حملت السلاح مساعدة

١ لامرتين: رحلته الى الشرق ج ٢ ص ٥٣٥

٢ الكردينال هرجنتر ج ٤ ص ١٨٢ عدد ٢٦٣

للقديس لويس ملك فرنسا في حروبه في الشرق .^١ «
وبعد ان خانَ الجدُّ الملكَ لويس في مصر واكره
على الرجوع الى سوريا لم يتخلَّ اللبنانيون عنه في شدته بل
بادروا الى ملاقاته ونجدته حتى عكا، وكان قد بلغها في
١٤ ايار سنة ١٢٥٠ فكان لعملمهم هذا وقعٌ كبير في قلب
الملك القديس . وفي ذلك يقول المسيو دي لامرتين في
كتابه « رحلة الى الشرق » :

« لما نجا الملكُ القديس من الأسر وعاد الى عكا لاقاه
اليها ٢٥ الفاً من الموارنة الموالين وقد ارسلهم اميرهم بأمره
احد ابنائهم يحملون الميرة والهدايا على انواعها .^٢
وقد ذكر الشدياق ذلك في تاريخه حيث قال :

« انه لما وصل لويس التاسع ملك فرنسا الى عكا ارسل
اليه اميرُ المردة ولدهُ الامير سمعان ومعه خيل بخمسة
وعشرين الف مقاتل نجدة للملك ، فلما اقبل الاميرُ رفعَ شأنه

١ مجموعة البولات البابوية ص ٥٣٣ للاب طويبا العنيسي

٢ لامرتين : رحلة الى الشرق ج ٢ ص ٥٣٦

وتلقاه بالترحاب وكتب الى اميرالموارنة كتاب شكر ومحبة.^١
وقد نشر رسالة الملك هذه البارون دي تستا في
مجموعته ولامرتين في كتاب رحلته وذكرها المسيو رينه بينون
في كتابه «اوربا والدولة العثمانية» وكثيرون غيرهم من
الكتبة والمؤرخين

اما تاريخ تلك الرسالة فهو ٢١ ايار سنة ١٢٥٠ قرب عكا،
ومما جاء فيها قوله:

« ان قلبنا افعم حيوراً لما رأينا ولدكم سمعات في
مقدمة ٢٥ الف رجل موفداً الينا من قبلكم يبلغنا عواطفكم
ويقدم لنا الهدايا والخيول الكريمة .. »^٢

وتمكنت العلاقات بين الملك لويس وبين اللبنانيين
لما اظهوره من سعة الحفاوة وشدة الاخلاص حتى انه لما

١ الشدياق ٢٠٨

٢ الدبس ج ٦ ع ٨٧١ ومايلها وابو الفدا ج ٣ ص ١٨٧ ومايلها
لامرتين : رحلته الى الشرق جزء ٢ ص ٥٣٥ ومايلها

مجموعة البارون دي تستا ج ٣ ص ١٤٠

رينه بينون « اوربا والمملكة العثمانية » ص ٥٤٧

الدويهي (البطريوك اسطفان) : تاريخ الطائفة المارونية ص ١١٠

اضطر الملك الى العودة الى بلاده على اثر وفاة والدته
الملكة « بلانش دي كستيل » أبقى خواص بيته وعسكره
في جبل لبنان واستمرّوا فيه^١

*

وقد لقي اللبنانيون كثيراً من الشدائد في مساعدتهم
للصليبيين فلم يكن ذلك ليوقف بهم عن مواصلة انجادهم كلما
وجدوا الى ذلك سبيلاً غير هيايين ولا حاسيين لا تقام
الاعداء حساباً. من ذلك ما جاء في « الدويهي » عن
مناهضة الملك الظاهر للصليبيين قال :

« في سنة ١٢٦٤ خرج الملك الظاهر بعسكره من
الديار المصرية ففتح القليعات وعركة وهمّ بحصار طرابلس
فانقضت عليه رجال الموارنة من الجبال وهزموا عسكره^٢ »
وقال في تاريخ سنة ١٢٦٦ :

١ الديس : ج ٦ ع ٨٣١ وما يليها

٢ الدويهي ص ٣٧٣

والملك الظاهر هذا هو السادس من دولة المماليك الاولى (سنة ١٢٦٠ الى
سنة ١٢٧٧ عن تاريخ مصر الحديث لجرجي زيدان ج ٢ ص ١٤)

« ثم اغار الملك الظاهر على طرابلس فقطع اشجارها
وغور انهارها وخرّب اربعاً وعشرين من قراها فانسكبت
عليه رجالُ المردة من الجبال ففرّ هارباً »^١

ولم يبق ملوكُ مصر على الأذى بل باتوا يرقبون الفرص
لأخذ طرابلس من يد الفرنجة وللانتقام من اللبنانيين .

ففي سنة ١٢٨٧ سیر الملك المنصور قلاوونُ الالفي حملةً
على طرابلس ففتحها وارسل جيشه يُعيثُ في لبنان فنال منه
البنانيون وهزموه شرّاً هزيمةً على ما جاء في تاريخ بيروت
لصالح بن يحيى حيث قال :

« في شهر شعبان سنة ٦٩١ (١٢٩٢) توجه الاميرُ
بيدرا قائد السلطنة بمصر وقصد جبال كسروان وتوجه
بصحبه من الامراء الاكابر شمس الدين سنقر الاشقر والامير
قرا سنقر المنصوري والامير بدر الدين بكتوت الاتابكي
والامير بدر الدين بكتوت العلائي وغيرهم واتاهم من جهات
الساحل ركن الدين بيبرس طقصوا والامير عزّ الدين

ايك الحموي وغيرهما . والتقوا بالجبل وحضر الى الامير بيدرا
من ثنى عزمه وكسر حدته فصل الفتور في أمرهم حتى
تمكن الكسروانيون من بعض العسكر في تلك الاوعار
ومضايق الجبال فنالوا منهم . وعاد العسكر شبه المكسور المنهزم
وطمع فيهم اهل تلك الجبال حتى اضطر الامير بيدرا ان
يطيب قلوبهم ويحسن اليهم وخلع على جماعة من اكابرهم . .
وحصل للكسروانيين من القتل والنهب والظفر ما لم يكن
في حسابهم .»^١

وكان انتصار البنانيين للصليبيين من اكبر العوامل
في توسيع شقة الخلاف بينهم وبين حكام سوريا حتى اصبحوا
معهم في قتال مستمر زماماً طويلاً نال منها لبنان احوالاً
ومشقات لا محل للتبسط فيها

١. المشرق : تاريخ بيروت مجموعة السنة الاولى ص ٢٢٨ - بيدرا كان
من ممالك الملك المنصور قلاوون استنابه الملك الاشرف في دمشق ثم جعله نائب
السلطنة ولم يلبث ان دس لولي نعمته الدسائس فقتله بمشاركة الامراء المماليك
وعهدت اليه السلطنة بمد الاشرف وتلقب بالملك القاهر الا ان ملكه لم يدم الا
يوماً واحداً فقتل سنة ٦٩٢ (١٢٩٤)

ولم تنس فرنسا فضل لبنان على الصليبية بل ذكرته له
ابان عزها مما حمل لويس الرابع عشر وخلفاءه على مبادلة
البنانيين بالمثل كلما وجدوا الى ذلك سبيلاً كما تثبت
مراسيمهم العديدة الى البنانيين، اخصهم بيت الخازن وبيت
سعد الخوري، واقامة كثيرين منهم قناصل في بيروت لدولة
فرنسا: منهم الشيخ ابو نوفل الخازن من سنة ١٦٦٢
الى وفاته ١٦٧٩ خلفه ابنه الشيخ أبو قانصو الى وفاته سنة
١٦٩٧ خلفه ابنه الشيخ حصن الى وفاته سنة ١٧٠٨ خلفه ابنه
الشيخ نوفل الى سنة ١٧٥٣. ثم تقلدها الشيخ غندور الخوري
سنة ١٧٨٨. وقد كانت لهؤلاء القناصل البنانيين يد
طولى في توسيع نفوذ فرنسا في الشرق كما تثبت ذلك مراسيم
ملوكها لهم كقول الملك لويس الرابع عشر في رسالته الى
الشيخ ابي نوفل :

١ مسعد (البطريك بولس) : « الدر المنظوم » ص ١٨٦ ومايلها

الدبس : تاريخ سوريا ج ٧ ع ١٠١٦ وع ١٠٥٨

الشدياق : ص ٨٧ ومايلها وص ١٠٥

« قد تحققنا كل ما يُبديه السيد ابو نوفل نادر الخازن
من مواصلة العناية والاهتمام لاجل صيانة تاج هذه المملكة
حتى انه يصرف اكثر اوقاته فيما يعود بالشرف والنفع
لسلطتنا اذ يشهد رعايانا الذين يأتون بلاد المشرق
بحسن معاملته لهم وحمایته اياهم ومساعدتهم فيما يصون حياتهم
ويحفظ تجارتهم... »

*
*
*

ولما تقلص ظل الصليبية من سوريا في اواخر الجيل
الثالث عشر كان حكم الاقطاع قد تأصل في لبنان لاختلاط
اهليه بالصليبيين وامتزاجهم بهم فحكم فيه على هذا الشكل
الامراء والمقدمون والمشايخ

وما زال لبنان على هذه الحال من الحكم الاقطاعي
والاستقلال حتى فتح الاتراك سوريا على يد السلطان
سليم سنة ١٥١٦

—*—

الباب الخامس

لبنانه على عهد المعينين

تمهيد

الدولة العثمانية والبلقان ولبنان

الدولة العثمانية

شا دبنو عثمان ملكاً رائعاً نشرت الويته المظفرة في
اسيا واوربا وافريقيا فاخضعوا فيها جنسيات شتى وشعوباً
مختلفة غلبوها على امرها بجدّ السيف وبجدّ السيف عادت

(1) DE LA JONQUIÈRE : *Histoire de l'Empire Ottoman*
RENÉ PINON : *L'Europe et l'Empire Ottoman*
V. BÉRARD : *La Révolution turque*
P. ALBIN : *Les Grands Traités politiques*

تلك الجنسيات والشعوب فحزحت عن مناكبها كلكل ذياك
الجبار الغازي فرجع الى حيث كان او كاد
ولم تل الانسانية من ذلك الصراع الهائل الا المصائب
والويلات واراقة دماء الالوف والملايين من العباد
ان في تاريخ بني عمان لعبراً ناطقة على استظهار الحق
على القوة ، وان طال الزمان واختلفت صروف الحدثان :
وضع « ارطغرل » أسس سلطانه في ظل علاء
الدين السلجوقي (١٢٣١) ولم يلبث ان وسع « عمان »
الكبير رحاب ذلك البنيان ووطد قواعده على اتقاض
الدولة السلجوقية ، ولقب نفسه « بادشاه آل عمان »
(١٢٨١—١٣٢٦) ومات بعد ان اشتد به ساعد الملك وتركه
لابناء اباسل ظلوا يتنافسون في الفتح والتوسع حتى ريعت
لصولتهم البلقان واهتز عرش الروم باربابه ووقفت اوربا
امام ذلك التيار الجارف واجمة لا تعي
فاشرف « اورخان » على القسطنطينية (١٣٥٧)
وسحق « مراد الاول » جيوش البلغار في تيرنوف وشمولا

وقوض اركان الدولة الصرية في سهول قوصوه
(١٣٨٧ و ١٣٨٩)

واكتسح «بايزيد» البلغار فعظمت شوكته حتى
اضطربت اوربا فشررت عليه حرباً صليبية جمعت كبار
امرائها وبسل قوادها فالتقى بايزيد باعدائه في سهول
«نيكروبوليس» ولم يرجع عنهم الاّ وجيوشهم فلول هائلة
تتلقفها سيوف الظافرين (١٣٩٦)

وكان تلك الفترة من الدهر ، وهي ما يناهز المئتي سنة ،
نصراً متواصلاً لاولئك السلاطين . وكانهم أتعبوا الدهر فيها
فتحاً وغزواً فقطب في وجههم ولم يكد بايزيد يتمتع بنصرة
نيكروبوليس حتى بُلي بواقعة «انقره» فظفر به «تيمورلنك»
وأسره ، فاداله من حلق عزّه فهوى بسقوط بايزيد ، الى
حين ، نجم الدولة العمانية (١٤٠٢)

غير انها ما عتمت ان رزقت ذلك الفاتح الكبير
«محمد الثاني» (١٤٥١—١٤٨١) فاستعاد للسلطنة عزها بفتح
القسطنطينية عاصمة الروم (١٤٥٣) وأسلم له «دافيد كومين»

امبراطور طربيزند الرومي مفاتيح المدينة وخضعت له القرم
ودانت له البلقان

ونهب «سليم الاول» (١٥١٢-١٥٢٠) على منوال
أسلافه ففتح كردستان وديار بكر والموصل ودانت له مكة
وصنعا وجزا مصر وسوريا ومد سيادته على لبنان .

وقد قُدِّرَ للسلطان العظيم «سليمان الاول»
(١٥٢٠-١٥٦٦) ان يرقى بالدولة الى اوج المجد فاخضع
لشوكته ما استعصى على آباءه فاخذ بلغراد وفتح رودس
وتساقبت الى بابه ملوك اوربا ، فأغضى عن «شارلكان» ملك
اسبانيا ، غير أنه لم يردّ سؤال «فرنسوا الاول» ملك فرنسا .
وقد قهر الفرس وفتح قسماً من بلاد الكرج وتوفي عن
ملك واسع الاطراف مرهوب الجوانب لم تره الدولة لا قبله
ولا بعده ، رغم فتوحات تالية ابغت «كارا مصطفى» وزير
«محمد الرابع» الى ابواب فينا سنة ١٦٨٣

وما زالت الدولة تتقلب بين انكسار وانتصار ، لا تعرف
رأياً الاّ للسيف ولا تحترم الاّ عهد القوة ، حتى جمعت تحت

لوائها امماً وشعوباً مختلفة الاجناس لا حق لها عليهم الا حق
الفتح والغلبة ، فبدلاً من ان تقوى بهم كانوا سبباً في
ضعفها وآلة لتقطيع اوصالها

أخضع السلاطين ممالك البلقان من صرب وبلغار
ورومان ويونان ، ودوخوا البلاد العربية ومدوا سيادتهم على
لبنان ، فما برحت تلك الشعوب تطال الى استقلالها وتفكك
حلقات القيد واحدة بعد اخرى حتى تمكنت بعد مغالبة
اجيال دامية من استعادة حريتها ، ففرجت عن عنقها كلابة
الغاصبين وأفلتت من اسرها تنفس الصعداء ، ظمى الى
النور ، عطشى الى الاستقلال .

*
**

البلقان

ملخص تاريخ البلقان السياسي هو ان الدولة العثمانية
نشرت رايها على تلك البلدان منذ القرن الرابع عشر
وصيرتها ولايات عثمانية اقامت على كل منها حاكماً تركياً كسائر
ولايات الدولة. وقد ظلت البلقان بجزء سلاسل العبودية زهاء

اربعة قرون حتى قام فيها دعاة الوطنية وسعوا الى تكسير تلك
القيود بعد ان نفخت فرنسا في العالم روح الحرية وعلمته
الانتفاض على الاستبداد.

فعند مغيب القرن الثامن عشر لعلت في فضاء فرنسا
صاعقة الثورة الكبرى فترامى دويها الى سماء البلقان فقدحت
ثم في فجر القرن التاسع عشر ، شرارة في صربيا فعلقت في
هشيم اليونان وامتدت الى رومانيا ومنها الى البلغار فالجبل
الاسود ، فاشتعلت شبه الجزيرة البلقانية بنار الثورة وما زالت
تضطرم فيها حتى التهمت رايات الهلال فتساقطت أعوادها
مزجاة في ذلك الاتون المسجور ولم تنطفئ نيرانه الاّ وعلم
الاستقلال يحقق على اسوار بلغراد واثينا وبوخارست
وصوفيا وستنجه .

ولو تركت امارات البلقان وشأنها ازاء الدولة العثمانية
لما استطاعت واحدة منهم ، على ما يثبت التاريخ ، ان
تخلع عن عنقها نير الفاتحين . غير ان اوربا اخذت بيد تلك
الامارات وأمجدها بالمال والرجال والسياسة ، وما زالت تبذل

لها المعونة حتى تمشت بها من ولايات عثمانية الى الاستقلال
الداخلي ثم الى الاستقلال المطلق فكانت اوربا للبلقان
كالآم الخنون تهدهد المهد لرضيعها وتواصله بعنايتها حتى
يترعرع ويشب ويبلغ اشدّه

وبين تاريخ البلقان السياسي وتاريخ لبنان السياسي
اوجه شبه عديده ولعل لبنان جاهد في سبيل حريته اكثر
مما جاهدت البلقان ، في حين ان اوربا ساعدت البلقان
اكتر مما عضدت لبنان

مدّ السلاطين سيادتهم على لبنان منذ بدء القرن
السادس عشر ، الا انهم لم يخضعوه قط كما اخضعوا البلقان
ولم يتوصلوا الى تولية حاكم تركي عليه كما فعلوا في صربيا
ورومانيا والبلغار والجيل الاسود ، بل ظلّ لبنان محتفظاً
باستقلاله الداخلي وبعائلته المملّكة الوطنية من المعينين الى
الشهابيين الى عهد القائم مقاميتين حتى معاهدة سنة ١٨٦١
ثارت البلقان سعيّاً الى نزع السيادة العثمانية بعد
اربعة قرون قضتها في العبودية ، اما لبنان فلم ينم يوماً على

الأذى بل بدأت فيه الحركة الوطنية على الدولة منذ بدأت سيادتها عليه تقريباً ، وتوالت فيه من نخر الدين الكبير الى الامير بشير الكبير ، تارة تستعر وطوراً تخبو ، وفي اغلب الاوقات تعقد الوية النصر للبنانيين ، حتى تدخلت اوربا في الامر لاول مرة من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٤٥ : وبينما ترتب على تدخلها في البلقان استقلال ممالكه ، كانت نتيجة تدخلها في لبنان تجزئة الامارة اللبنانية القديمة وشطر البلاد الى شطرين . ثم تدخلت فيه ثانية سنة ١٨٦١ فاسفر تدخلها عن نزع الحكم من الوطنيين وعن سلخ اراض حيوية للبنان وعن جعل الطائفة اساس الحكومة اللبنانية . وهي امور اضعفت لبنان سياسياً واقتصادياً وكانت اصل كل البلايا التي نزلت به بعدئذ ، فلم يتم له ما تم للبلقان .

وقد كان سبق لاوربا ان تدخلت بين اليونان والدولة سنة ١٨٢٩ فالزمت الدول تركيا بالاعتراف لليونان بالاستقلال رغم انتصار الاتراك عليهم في اغلب المواقع .

وقد واصلت اوربا تدخلها في شؤون البلقان وعنايتها

بهم حتى انه لم تأت سنة ١٨٧٨ الا ومعاهدة برلين قد جعلت
البلقان امارات وممالك مستقلة ، فيما كان المتصرفون في لبنان
يقتاتون كل يوم على الامتيازات بما خوّلهم اياه النظام من
السلطة الواسعة حتى اتقصوا تلك امتيازات ما استطاعوا
بدلاً من ان تزداد

ومما يستوقف النظر ان هنالك شبيهاً مدهشاً في تطوّر
الثورة في البلدان البلقانية : ففي كل بلادٍ منها كان يقوم
بطلٌ وطني فيلتفّ حوله افرادٌ معدودون ثم يتبعه فريق
من الشعب فيحاربون تركيا فيتداولُ الفريقان النصر
والغلبة حتى اذا اوشكت تركيا ان تسحق العصاة ، برزت
اوربا الكريمة كالملك المنقذ ، فمدّت يدها اليهم فانزعتم من
مخالب المنون ومنحتهم فوق ما كانوا يحملون به
وهنالك ايضاً أمرٌ يستوقف النظر وهو ان كل ممالك
البلقان قاست في اول عهدا هوالاً ومحنناً داخلية تشيب
لفظاعتها الأطفال فلم تكن تلك المصائب لتثني عزمها عن مواصلة
السعي والجهاد في سبيل غايتها ، وما زالت تتقلب بين القلاقل

والثورات حتى استقر لها الملك موطد الاركان
اما لبنان فلم يكن يسعده الحظ ، اثناء حروبه المتواصلة
مع الدولة ، بان يجد من يعينه على تحقيق « غايته الوطنية »
فذهب والحالة هذه هدرًا كل ما أراقه من دم ذكي على ممر
الاجيال في سبيل الاستقلال .

واليك البيان بايجاز عن صربيا واليونان ورومانيا
والبلغار والجبل الاسود ، ثم لبنان : فكم تم من عبر وعظات ..

*

صربيا

نشر راية الثورة في صربيا سنة ١٨٠٤ بظلمها المشهور
« كارا جورج » . وقد كانت عاصفة الاستقلال والوطنية
قد فاقت في صدره كل عاطفه سواها فمضى لا يحسب
للموت حساباً ولا يرى دون غايته حائلاً ، ومما يؤثر عنه
انه لما ثار على الدولة اضطر الى مغادرة البلاد ليبيء معدات
الثورة خارجاً عنها . فامتنع والده عن اللحاق به وحاول ان
يثنيه عن عزمه خوفاً عليه وحذراً من الفشل ، فأخذ

كارا جورج يضرع الى ابيه ان لا يثبط عزيمته وعزائم من
حوله وان يضحى بكل شيء في سبيل الوطن ، وارتقى على
اقدامه يقبلها مستعظفاً . فلم يرجع الوالد عن رايه بل توعد
ابنه بافشاء أمره وامر اصحابه اذا هم لم يخلدوا الى السكنية
ويعودوا الى منازلهم هادئين . ولما طال الامر بين الوالد والولد
ورأى كارا جورج تصميم ابيه ، وانه سيقتل الثورة في بدنها
ويودي به وباصحابه فيشتد نير الاتراك على البلاد ، صعد
الدم الى راسه وتملكته ثائرة الغضب لوطنه فأخذ والده بين
يديه وهزه صائحاً به :

« خير لك ان تموت ايها الشيخ التاعس من ان تموت
البلاد » ، ورماه برصاصة فقتله

ولم تكن البلاد لتقع عن دعوة رجل بلغ منه التذله
في الوطنية مثل هذا المبلغ فقام الشعب لصوته والتف
الصرب برأيه فشهر الحرب على الدولة وظفر وعسكره
بجيوشها في مواقع عديدة على قلة عددهم وكثرة جيوش الدولة .
واخص انتصاراته كانت في موقعي شبتس ووارين ، حيث هزم

بثلاثة الآف مقاتل جيشاً من الاتراك لا يقل عن
الثلاثين الفاً ، كما فعل يوسف بك كرم في لبنان بعدها
بستين سنة حين هزم برجاله الثلاثمئة ، اربعة الاف من
جنود الدولة .

ولم يسعد الجدُّ كارا جورج حتى النهاية ، فتغلب العددُ
على البسالة وانتصرت القوةُ على الحق ، وقد لقي كارا جورج
معارضات من بعض اعضاء الحكومة التي كان هو نفسها
اقامها في صربيا فاضطر الى الالتجاء الى بلاد المجر ووقع
اخيراً بيد الدولة فأودت به كما كانت غدرت بفخر الدين
من قبله .

الآن ان النار التي كان اوقدها لم تنطفي بل ظلت كامنة
خلل الرماد حتى عاد فأضرمها «ميلوش اوبرينوفيتش» ، وعلى
أثر مواقع دامية بينه وبين عساكر الدولة نادى به مجلسُ
نواب الصرب «السكوتشينا» اميراً على البلاد واضطرت
الباب العالي الى الاعتراف به سنة ١٨٣٠

وقد حدثت في صربيا قلاقل داخلية الجأت الامير

ميلوش سنة ١٨٣٩ الى التنازل لابنه «ميلان» فلم يتول الحكم الا بضعة اسابيع ثم تنازل للامير «ميشيل» فلم يجلس طويلاً على سرير الامارة واضطر الى مغادرة البلاد سنة ١٨٤٢ فاتخبت «السكوبتشينا» مكانه الامير «الكسندر كارا جورجفتش» وهو ابن بطلم كارا جورج . وتأميماً للصرب على استقلالها وضعت الدول الامارة

الجديدة تحت ضمانتها، في معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ ولم تسلم البلاد رغم ذلك من الفتن الداخلية فخلعت «السكوبتشينا» الامير الكسندر واسترجعت الامير «ميلوش» في ديسمبر سنة ١٨٥٨ فتوفي بعدها بستين (٢٦ ايلول ١٨٦٠) خلفه الامير «ميشيل» وما عتموا ان قتلوه في ١٠ حزيران سنة ١٨٦٠ خلفه ابن عمه الامير «ميلان» وله من العمر اربع عشرة سنة

وقد وقعت على عهده حرب ثالثة بين الصرب وتركيا سعياً الى الاستقلال المطلق سنة ١٨٧٦ ففشلت فيها صربيا. الا انه رغم ذلك اعترفت معاهدة سان ستافنو لصربيا

باستقلالها التام وأقرتها عليه معاهدة برلين ونودي بها
مملكة سنة ١٨٨٨

وفي سنة ١٨٨٩ تنازل الملك ميلان لابنه «الكسندر»
وعمره ١٢ سنة وهو الذي قُتل مع امرأته الملكة دراجا في ليل
١٠ - ١١ حزيران سنة ١٩٠٩ فجلس بعده على سرير الملك
الأمير «بطرس كارا جورجيتش» ابن الأمير الكسندر
حفيد كارا جورج الكبير، وهو ملك الصرب الحالي
فترى مما تقدم أنه على أثر حركة كارا جورج وميلوش
أوبرونوفيتش، أخذت أوروبا بيد الصرب ورغم ما حدث فيها
من القلاقل الداخلية تمتت بها من الاستقلال الذاتي
إلى الاستقلال المطلق حتى أصبحت مملكة عزيزة الجانب
لها من الحرمة لدى الدول ما حملهن على عمل المعجزات في
سبيل اتقاذها في هذه الحرب الكبرى

اليونان

كان «اسكندر ايسلتي» لليونان ما كان كارا جورج لصربيا فقد نادى بالثورة سنة ١٨٢١ داعياً قومه الى الجهاد في سبيل الاستقلال

وقد كان خيم ظل الهلال على «الاكروبول» دهرآ طويلاً فاسدل ستاراً كثيفاً على أمجادها، وتوطن الظلم بلاد «سقراط» «واخيل» اجيالاً عديدة فقتل فيها النخوة والمهزة، فلما دوى صوت ايسلتي في ليل رقادها العميق أفاق الناس وهم كأنهم يفتقون من سبات اهل الكهف فلم ينهض منهم الا نفر قليل لم يستطع معهم الى النجاح سبيلاً، فدارت الدائرة عليه كما دارت من قبله على كارا جورج ووقع في ايدي الاتراك وتوفي في سجنه قبل ان يرى علم الحرية يخفق على بلاده .

الآن ان صوته لم يمت فملاّت الثورة بلاد «المورة» وامتدت منها الى «جزر الارخيل» واخذ الثائرون «ايننا» من يد الاتراك في ٧ نيسان سنة ١٨٢١ ونادت الجمعية الوطنية

في ١٣ كانون الثاني سنة ١٨٢٢ باستقلال البلاد وشكلت
حكومة جعلت على رأسها « مفروكر داتو » .

واغرق كاناريس في ليل ١٨ - ١٩ تموز سنة ١٨٢٢

عمارة تركيا في مضيق شيو

ولما رأت الدولة استفحال الثورة في اليونان استنجدت

بمحمد علي فأرسل ابنه ابراهيم على جيش كثيف ، فتمكن

القائد المصري من استرجاع البلاد وعاد الاتراك فدخلوا اثينا

بامرة رشيد باشا

فاهتز الرأي العام في اوربا وتألفت فيها الجمعيات

الادبية « صديقة اليونانية » وفيها امثال « دلافين »

« وفيكتور هوغو » « والورد بيرون » فاستنفر الشعراء

والكتاب دولهم على تركيا فلم تلبث ان تعدت تلك الحركة

الفكرية الى المجالس النيابية والحكومات فهبت فرنسا وانكلترا

وروسيا انتصاراً لاثينا ودمرت عماراتهن في « نافارين »

العمارة العثمانية المصرية في ٢٠ ت ١ سنة ١٨٢٧ ، ونزلت

حملة افرنسية الى البر وحاربت مع العسكر اليوناني فأكرهت

الجيش التركية المصرية على الانسحاب واخلاء البلاد .
وفي كانون الثاني سنة ١٨٢٨ أقيمت مقاليد السلطة الى
الكونت « كابوديستريا » ، وفي ٢٢ اذار سنة ١٨٢٩ أعلن
بروتوكول لوندرا اليونان امانةً بالارث مع ضرب جزية
عليها للدولة .

وفي معاهدة ادرنه ، ١٤ ايلول من السنة ذاتها ، تعهدت
تركيا بقبول بروتوكول لوندرا المذكور ، فلم تكتفِ الدول
بذلك بل امضت بروتوكول ثانياً في لوندرا في ٣ شباط
سنة ١٨٣٠ وفيه جعلت اليونان مملكةً مستقلة تمام الاستقلال
وواصلت الدول الثلاث عنايتها بالمملكة الجديدة فاهتمت
بتنصيب ملك عليها ، فاتفق الرأي على الامير اوتون نجل ملك
بافاريا لويس الاول ، فعين ملكاً على اليونان باسم
« اوتون الاول » (معاهدة ٣ ايار سنة ١٨٣٢)

وفي سنة ١٨٦٢ قامت حركة في اليونان لمحاربة تركيا ،
فعارض فيها الملك « اوتون » فاختلف مع المجلس والشعب
فأدى ذلك الى خلعه ، وانتخبت الجمعية الوطنية بدلاً منه

الامير غليوم بن خريستيان التاسع ملك الدنمرك ، ونودي به ملكاً على اليونان باسم الملك « جورج الاول » وهو رأس العائلة المالكة الحالية (معاهدة لوندرا ١٣ تموز سنة ١٨٦٣)

ولم تكتف الدول بان عثقت اليونان من نير تركيا وجعلتها مملكة مستقلة كالمالك الكبرى بل بلغ بها العطف عليها ان تنازلت لها انكلترا عن جزر بحر اليونان وهي كورفو وسيفالوني وكسانتي وسنت مور وايتاك وسريجو وباكسو (معاهدتا لوندرا ١٤ ت ٢ سنة ١٨٦٣ و ٢٩ اذار سنة ١٨٦٤) وهي الجزر التي كانت معاهدة باريس وضعتها تحت حماية انكلترا (٥ تشرين الثاني سنة ١٨١٥) ثم ارغمت الدول تركيا على التنازل لليونان عن مقاطعة تساليا ايضاً

وعلى اثر حرب سنة ١٨٩٧ لم تسمح الدول لتركيا ، رغم انتصارها الحربي التام ، بان تذل اليونان بل الزمتها على قبول صلح حفظ كيان المملكة اليونانية وكرامتها ولا تزال الدول حتى الساعة ساهرة على تلك المملكة

الصغيرة تواصلها بعنايتها ، تدرأ عنها الاخطار وتبذل لها
ما نشاء من المساعدات ذكراً لاجاد « سبرتانا » وحرمة
لعلوم « اثينا »



رومانيا

على اثر الحرب الروسية العثمانية سنة ١٨٢٩ ، احتلت
روسيا ولايتي ملدافيا والفلاخ « البغدان والافلاق » تامينا
لها على اخذ الغرامة الحربية من تركيا
وكان اهل تينك الولايتين من الرومان يتطلعون الى
استقلالهم كسائر الشعوب البلقانية ، فاستبشروا بالروس خيراً
وباتوا يأملون ان تحقق روسيا غايتهم الوطنية وتنبليهم
الاستقلال

اما روسيا فكانت تسعى الى مصلحتها الخاصة وتقيم
فرصة وجودها في رومانيا حتى تتوصل الى امتلاك البلاد .
وتنفيذاً لهذه الخطة باشرت تنظيم الحكومة في الولايتين على

قاعدة دستور سمته « القانون الاساسي » وهو فيما نص عليه من الامور الاساسية يقطع امانى الرومان بالاستقلال قطعاً باتاً، والروس يعتقدون انه يكفي الرومان انعتاقهم من نير الترك، وان بقاءهم تحت الحكم الروسي سعادة لهم

اما الرومان فلم يكونوا في ذلك على راي روسيا، فلم يرضوا عن استقلالهم بديلاً . فلم يلبثوا ان ثاروا على روسيا في الولايتين بوقت واحد (٧ حزيران ١٨٤٨) فقمعت الثورة في ملدا فيا بسهولة اما في الفلاخ فكانت اشد مراساً فان الشعب احاط بسراي الحاكم الروسي جورج بيبسكو ونادوا به رئيساً على الحكومة الثوروية وارغموه على توقيع مشروع دستور يلغي القانون الاساسي الذي وضعته روسيا . وكان من اخص رجال الثورة الياذ وبلسيسكو ودولياك وتل ماغرون وجولسكي وروزتي واخوان براتيانو . فاتفق اذ ذاك القيصر والسلطان على الرومان وزحفت جيوشهما على الفلاخ فأخضعوها وأعادوا عليها الحكم الروسي (١٨٤٩) فاضطر ابطال الثورة ان يلجأوا الى البلاد

الاجنبية حيث واصلوا مساعدتهم لدى الحكومات ومع رجال
السياسة ففازوا بعطف الكثيرين على قضيتهم اخصهم نابوليون
الثالث وهو قد كان يرتاح الى الأخذ بناصر الشعوب
الصغيرة، فانه اهتم بملدافيا والفلاخ في معاهدة باريس ونال
من المؤتمر ان يقرر رفع الحماية الروسية عن الولايتين وان
يعترف لهما بامتيازات واسعة

وقد جعلت المعاهدة تلك الامتيازات في ضمانه الدول
المشتركة حتى لا تستأثر واحدة منهن بشيء فقعيد تمثيل الدور
الذي مثلته روسيا يوم استأثرت بالحماية سنة ١٨٢٩

ولم تلبث الدول أن منعت تركيا من كل تدخل في
أمر انتخاب حكام الولايتين (اتفاق باريس ١٩ آب ١٨٥٨)
فبادر اذ ذاك الاهالي الى انتخاب الامير «الكسندر جان كوزا»
حاكماً عليها فكان انتخابه تمهيداً لاتحاد الامارتين
(١٨٥٩)

وفعلاً ما عم الامير كوزا أن أعلن اتحاد الامارتين
بمنشور تاريخه ٢٠ كانون الاول سنة ١٨٦١ وهو بعد

معاهدة لبنان بستة شهور تقريباً ، وقد جعل لها الامير
مجلساً نيابياً واحداً مركزه « بوخارست » فاضطرت تركيا
الى الاعتراف بذلك

وعلى اثر حوادث داخلية لا محل لذكرها تنازل
الامير كوزا سنة ١٨٦٧ فألقى المجلس مقاليد السلطة الى
« حكومة مؤقتة » قوامها جولسكو وهارالميك ولاسكار كاتارجي
فاهتم هؤلاء بايجاد امير خلفاً للامير كوزا ، ففأتحوا امير فلندر
اخا ملك بلجيكيا فلم يقبل ، وكان نابوليون الثالث لا يزال
يوالي اهتمامه برومانيا فأشار على حكومتها ان تعرض الامارة
على الامير « شارل هوهنزولرن سيجمارينجن » فعملوا بإشارته
وقبل الامير ان يتولى العرش وهو رأس العائلة المالكة اليوم
وقد قرّرت اوربا استقلال الامارة الرومانية في معاهدتي
سان ستيفانو وبرلين واعترفت بها مملكة بالارث سنة ١٨٨١
فترى من ملخص تاريخ رومانيا السيامي ان الامة
كانت تطمع ، لا بخلع نير تركيا فقط ، بل بنيل استقلالها
الوطني المطلق وانه رغم التفاوت العظيم بين قوات روسيا

المائلة وبين عجز رومانيا الضعيفة كانت الغلبة في آخر الامر
للحق على القوة ، وقد كان للسياسة في الحصول على هذه
النتيجة شأن يذكر لا سيما المساعدة التي بذلها نابوليون
الثالث للرومان .

بلغاريا

لم تكن بلغاريا اقل حظاً لدى الدول من صربيا
واليونان ورومانيا: فقد اضطرت فيها نار الثورة سنة ١٨٧٥
فلم تفز من الحرب بطائل حتى سير القيصر جحافلها الجرارة
على تركيا وأرغمها على قبول معاهدة سان ستيفانو، وفيها
تقرر استقلال بلغاريا الداخلي . ولم تضمن معاهدة برلين
وحدة الامارة البلغارية بل شطرتها شطرين ، كما فعلت
اتفاقية سنة ١٨٤٥ في لبنان اذ قسمتة الى قائمقاميتين ، وقد
جعلت معاهدة برلين شمال البلقان امانة ذات استقلال
داخلي تحت سيادة الدولة ، وعليها امير يصير انتخابه بموافقة

الدول . وفعلاً انتخبت الجمعية الوطنية في « تيرنوفو » اميراً
على البلاد فوق الانتخاب على الامير « الكسندر دي باتنبرج »
سنة ١٨٧٩

وقضت المعاهدة بان تكون الجهة الجنوبية ولاية الروملي
وبان يبقى عليها باشا تركي ، مع استقلال نوعي
الآن ان نزعة البلاد الى الاستقلال المطلق حملتهم على
السعي الى توحيد الامارتين كما حصل قبلهما لفلاخيا وملدافيا ،
وكما جرى في لبنان لدى الغاء القائمقاميتين والرجوع الى وحدة
الحكومة ، وما زالت الحركة تحتمر في الروملي حتى انفجرت
الثورة في عاصمتها فيلبوبولي ونادت لجنة ثورية ، على راسها
سترانسكي الباسل ، باتحاد المقاطعتين ، في ايلول سنة ١٨٨٥
ودعت الامير الكسندر اليها فلبى دعوتها وبادر الى فيلبوبولي
حيث اعلن الضم فكانت من ثم الامارة البلغارية
وعليها الامير الكسندر

١ ولد في فيرون سنة ١٨٥٧ وهو النجل الثالث للبرنس الكسندر دي هس
ابن اخت القيصر اسكندر الثاني

ولم يلبث الامير ان اضطر الى التنازل عن العرش
لتغير القيصر اسكندر الثالث عليه فاستغفى في ٧ ايلول
سنة ١٨٨٦ واستلم مقاليد الحكومة الموقته ستمبولوف
وكارافلدوف وفوستكوروف، واجتمعت الجمعية الوطنية في
تيرنوفو فانتخب الامير « ولدمار الدمركي » فلم يقبل
(١١ ت ٢ ١٨٨٦)

فاضطر البلغار الى التفتيش على امير غيره وبعد ان
طافوا عواصم اوربا وقع الاختيار على الامير « فرديندي سكس
كوبور غوطا » فرضي الامير ان يتولى عرش بلغاريا فاجتمعت
الجمعية الوطنية ثانية وانتخبته في ٧ تموز ١٨٨٧

فاستلم الامير زمام الحكم ووزيره الاكبر ستمبولوف.
ولم تسلم بلغاريا من الاضطرابات التي تحدث عادة على اثر
انقلابات كهذه، فصل فيها قلاقل وقتن داخلية ادت الى
ارتكاب كثير من الجنايات السياسية اخصها قتل
ستمبولوف سنة ١٨٩٥

ولم تمنع هذه الاضطرابات بلغاريا من السير في طريقها

الى الرقي والاستقلال المطلق ، فاعترفت الدول بالامير الجديد
سنة ١٨٩٧ وظل الامير فردينند يرقب الفرص وبلغاريا
تتحفز للوثوب الى تاج « المملكة » حتى آتته وآتها الظروف
في خريف سنة ١٩٠٨ ٦ بعد نشر الدستور في تركيا وضم
النمسا للبشناق والهرسك ، فباغت الامير العالم بالمناداة في
تيرنوفو « بالمملكة البلغارية » وباخذ لقب « قيصر البلغاريين »
(٥ ت ١ ١٩٠٨)

فما عمت ان اعترفت اوربا بالمملكة الصغيرة وبالقيصر
الجديد واضطرت تركيا الى الموافقة عليها بمقتضى اتفاق
مُعقد بينها وبين بلغاريا وقعته في ١٩ نيسان ١٩٠٩
وقد دفعت روسيا مهر استقلال بلغاريا فتنازلت
لتركيا عن مبلغ طائل من الغرامة الحربية التي قررتها لها
معاهدة سان ستيفانو ، كما سبق لانكلترا ان دفعت مثل هذا
المهر لليونان يوم تنازلت لها عن جزر بحر اليونان .



الجبل الاسود

ان الدول يوم قررت مصير البلقان في معاهدة برلين،
لم تنس ان تضمن لتلك البقعة الصغيرة الجبلية حقوقها
فاعترفت باستقلال « الجبل الاسود » الذاتي ثم اعترفت به
مملكة ذات استقلال تام في آب ١٩١٠ . والجبل الاسود
لا يوازي نصف لبنان عدداً .

فترى مما تقدم ان اوربا كانت تتسابق الى عون
تلك الممالك البلقانية وتكوينها وتوسيعها كأنها الام الرؤوم
تتعهد ابناءها بالحجة والحنان ، وليس بكثير على شهامتها ان
تسدي الى لبنان مثل اليد التي اسدتها منةً وكرماً الى البلقان

لبنان

ان ملخص تاريخ لبنان السياسي هو ان الحركة الوطنية
سعيًا الى خلع السيادة العثمانية ، بدأت فيه منذ اواخر الجبل

السادس عشر فتأصلت وظهرت في اوائل الجيل السابع عشر
وما زالت تملأ حياة قومه وتريق دماءهم زهاء قرنين ونصف
قرن ، ولبنان لا يزال محروماً من نيل غايته الوطنية

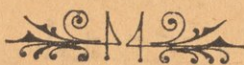
فقد ثار نحر الدين الكبير على الدولة في بدء القرن
السابع عشر وحاربها اكثر من ٣٥ سنة ، واخيراً خانه الحظ
كما خان كارا جورج بعده بنحو مئة وخمسين سنة . ولم ينفك
لبنان بعده عن قتال الدولة حتى حروبه الراضة معها على
عهد الامير بشير الكبير زهاء نصف قرن

ولم يكن حظ هذا الامير الشهابي اسعد من حظ
سلفه الامير المعني .

وقد لاح في منتصف القرن التاسع عشر ان اوربا
تريد ان تعمل للبنان ما عملته للممالك البلقانية فبدأت
بالاعتراف له بالاستقلال الداخلي الا انها ورغم ثورة يوسف
بك كرم اولاً وثانياً ورغم جهاد اللبنانيين المتواصل لم
تقدم الدول خطاها ولم تنتقل بلبنان كما انتقلت بالصرب
واليونان والرومان والبلغار والجبل الاسود من الاستقلال

الداخلي الى الاستقلال المطلق، ولعل السياسة الدولية لم
تساعدنا يوماً على اجراء العدل للبنان كما أجرته للبلقان،
فلا شك أنها تنصفه اليوم وتُعيضه مما فات فتحقق له معاهدة
الصلح الآتية ما قصرت عنه معاهدة سنة ١٨٦١ فيمنح
استقلالاً يرميحه الى الابد اسوةً له بتلك الممالك الصغيرة التي
انشأتها اوربا، انصافاً للشعوب الضعيفة وختاماً لعهد الاستعباد

وفي الفصول الآتية بيان لتاريخ لبنان السياسي منذ
الفتح التركي لسوريا حتى سنة ١٨٦٠



الفصل الاول

الأمير نحر الدين المعني الاول والامير قرقماس

فخر الديبة الاول

يوم فتح السلطان سليم الاول سوريا (١٥١٦) كان
كبيرُ امراء لبنان الامير نحر الدين المعني الاول ، وهو
الرابع عشر من امراء بني معن واولهم الامير معن الايوبي
أتى الى لبنان سنة ١١٢٠ وضرب خيامه في بلاد الشوف وهي
يومئذٍ لاتكاد تكون مأهولة بالسكان « ثم ترك الخيام وبني
المنازل وصار يحث اصحابه وقومه على العمار حتى كثر
السكان . »^١

وتعاقب المعنيون على حكم الشوف^١ بينا الامراء
والمقدمون والمشايخ يحكمون في الغرب او الشمال^٢ حتى
الفتح التركي

وكان نخر الدين رجلاً شجاعاً فصيح اللسان سهل
الخطير. ولما عقد النصر للسلطان سليم^٣ نزل الامير^٤ للسلام
عاليه في دمشق والتقى بين يديه دعاءً شائقاً فأحبه السلطان
لاجل فصاحته وجسارته فقربه اليه وأقره على امارته
« وجعله مقدماً على الجميع »^١ . ولم يألُ نخر الدين جهداً
في تعمير البلاد وتحصينها « فبنى بنايات عظيمة وقلاعاً حصينة
ومد سلطاناه من حدود يافا الى طرابلس »^٢ ولم ينل
بسوء حتى وافته منيته سنة ١٥٤٤ خلفه ابنه الامير قرقماس



١ الشدياق : ص ٢٥١

٢ الامير حيدر احمد الشهابي : الفرر الحسان ص ٦١٢

الامير قرقماس

وكان ان عظم بطشُ السلاطين العثمانيين واشتدت
وطأتهم في سوريا فباتوا ينظرون بعين الكره الى لبنان
وماله من الامتيازات فوطنوا النفس على اغتنام اول فرصة
لدخول الجبل .

وما لبثت ان سنحت تلك الفرصة سنة ١٥٨٤ على اثر
سرقة اموال الدولة الاميرية (الخزينة) في جوت عكار
فالقيت التهمة فيها على اللبنانيين فصدر أمر الباب العالي
بجمع العساكر والزحف على لبنان فجرّد ابراهيم باشا جيشاً
لجياً دهم به الجبل على حين غرة ، فلم يوفق الامير قرقماس
الى ردّ الاعداء عن البلاد فاضطر الى الالتجاء الى مغارة
في بلاد الشوف تحت جزين فاحتق هناك مدة ثم حدث له
مرض ممّ فمات تاركاً ولدين صغيرين : نحر الدين ويونس ،
وامهما الست نسب .

الفصل الثاني

الامير نحر الدين الثاني الكبير

(١٥٨٢—١٦٣٥)



شعر اللبنانيون على اثر تلك الحادثة ان الدولة اخذت
تضييق عليهم الخناق وان لا قبل لهم بصد اطماعها بهم ما
داموا متفرقين غير متضامين فسعى عقلاؤهم الى توحيد الكلمة
في البلاد امام ذلك الخطر الداهم فساعدهم على ادراك غايتهم

١ الدويهي ص ١٨٣ ومايلها

الشدياق ص ٣٥٢ ومايلها

الامير حيدر الشهابي ص ٦١٨ ومايلها

شرشل : جبل لبنان ج ٢ ص ٣٣٨ ومايلها .. الخ

مقامُ المعنين في لبنان وتربية اخدم واعظهم نخر الدين
الكبير في كسروان قلب البلاد المارونية:

كان للمعنين كرامة جلي في لبنان لاسباب عديدة
منها ترفعهم عن التعصب الديني واحلالهم المصلحة اللبنانية
فوق كل اعتبارات اخرى حتى ان مدبر الامير قرقماس
كان الحاج كيوان الديراني الماروني . ومنها اقامة المعنين في
لبنان وتأصلهم فيه من سنة ١١٢٠ حتى اصبحوا وطنيين
صميمين بعد ان مضى عليهم في لبنان ما ينيف على
الاربعمائة سنة

اما تربية نخر الدين في كسروان فحكايتهما : انه لما
هلك الامير قرقماس ، سعى ابراهيم باشا الى الايقاع بولديه
الامينين الصغيرين فخر الدين ويونس ، فلجأت بهما والدتهما
الست نسب الى مدبر زوجها الحاج كيوان وطلبت منه ان
يخبئهما عند أحد الامناء في كسروان ونهض بهما ليلاً ومعهما
والدتهما الى كسروان قاصداً فيه رجلاً من وجهاء الموارنة
المخلصين هو الشيخ ابو صقر ابراهيم الخازن . فبلغوا الى

بلونه مقرّ الشيخ ابي صقر وقصّ عليه الحاج كيوان الامر،
فأكرم ابو صقر وفادتهم وحضن الاميرين ورباهما احسن
تربية ولم يدرِ بهما احد .

وقد ترعرع الاميران في حضن ابي صقر على المبادي
القويمة والاخلاق الكبيرة والوطنية الصحيحة فشبا وفي
صدرهما كره الدولة قاتلة ابيهما والعاملة على اذلال البلاد،
فكانت كل حياتهما سلسلة حروب مع الدولة اخذاً بشار
والدهما من جهة، ودفاعاً عن حقوق الوطن من جهة اخرى.
وقد كانت اقامتهما عند الشيخ ابي صقر، بين الموارنة وفي
صميم البلاد المارونية، اكبر عاملٍ على نزع كل عواطف
التعصب الديني من نفسيهما الكريمة فلم يدركا سن الرشد الا
وهما على جانب عظيم من سمو الاخلاق والوطنية الصحيحة
مما ظهرت نتائجه الطيبة في كل أدوار حياتهما . واول عمل
أتياه، بعد ان بلغا اشدهما وتولى فخر الدين امارة الشوف،
انهما دعوا الشيخ ابا صقر ابراهيم اليهما وبالغا باكرامه والحفاوة
به ذكراً لمعروفه معهما وصدق تربيته لهما . وقد جعله

فخر الدين مدبراً له وأقام اخاه رباحاً الخازن دهقاناً
ولم يلبث ان توفي ابو صقر ابرهيم ، فأقام فخر الدين
مقامه ولده الشيخ ابا نادر مدبراً له وجعل فيما بعد الشيخ
نوفل ابن الشيخ ابي نادر مدبراً لاولاده ، ولم يكشف الامير
بأظهار ميله الى بيت ابي صقر بل تعداه الى غيره من
وجهاء الموارنة فاخذ في خدمته الخاصة الشيخ ابا ضاهر
حيش ، توثيقاً لعرى الاتحاد بينه وبين النصارى

وكان الامير رحب الصدر سامي المدارك فلم يستبد
بالامر في لبنان بل جعل الحكم فيه شورى على نوع ما ،
بمن اقامهم حواليه من اعيان البلاد واقطابها فكانوا مجلس
شوراه ، لم يتخل عنهم ولم يتخلوا عنه حتى آخر ايامه

وقد كانت كل تلك الظروف عاملاً كبيراً في تمكين
الروح الوطنية في صدور اللبنانيين فتوثقت عرى المودة بين
اهل الشمال واهل الجنوب وجمعت بين وجوه البلاد على
اختلاف طوائفهم فكان من اختلاط اللبنانيين ببعضهم
ومن اتفاق مصالحتهم امام الخطر التركي ، انهم باتوا يشعرون

أهم «شعب واحد» تجمعهم «لغة واحدة» «وبلاد واحدة»
«ومصلحة واحدة» ، فأتحدوا وتضافروا ، فتكونت من ثم
«القومية اللبنانية» وحلت محل «العنصرية الطائفية» .

وحدث في البلاد ميل عام الى توحيد الحكم ، فم ذلك
على يد فخر الدين الثاني فهو الذي وحد «الامارة اللبنانية»
فشكل الحكومة على قاعدة القومية والكفاءة لا على اساس
الدين والمحسوية ، وجعل غايته كل مدة حكمه توسيع حدود
البلاد ونزع سيادة الدولة عن لبنان فخارها في سبيل ادراك
تلك الغاية حروباً طويلة وعقد محالفات قوية في اوربا ،
وأورث تلك الغاية لخلفائه حتى أصبحت «الغاية الوطنية»
الكبرى للبنان واللبنانيين

ونظراً لمقام فخر الدين في البلاد ومحبة الجميع له
واحترامهم اياه فضلاً عن اتفاق المصلحة العامة ، لم يلق
الامير صعوبة في توحيد الامارة ، فلم يلبث ان اعترف
الامراء والمقدمون والمشايخ بحكمه ، وهم انما يعترفون لأمير
وطني لبناني ، لا لأجنبي عنهم .

ثم عمد الى العمل على توسيع الامارة وعلى قطع كل علاقة كانت تربطه بحكومة الاستانة فأخذ يعدّ عدته للامر وهو لا يترك في اعماله شيئاً للتقدير ولا يعتمد في اموره على الحظ وحسن الصدف، فوضع لكل عمل خطته مما لا يقل في شيء عن ادق ما وضعه اكبر الفاتحين وامهر السياسيين :

علم ان القوة محور كل عمل فنظم جيشاً لبنانياً يضارع أرقى جيوش ذلك العهد عدّة وعدداً ونظاماً، وادرك ان حياة الجيش والملك انما هي المال فعهد الى الاكفاء من رجاله بتنظيم مالية البلاد فوضعها على احسن القواعد ورتبها على ادق حساب حتى كثرت موارد الخزينة وابتعت ثروة الامة، ولم يفته ان اساس الملك هو العدل فاجراه في البلاد على يد رجالٍ أحسن اختيارهم فكانوا عند ثقته بهم .

ولما استوثق من مناعة جيشه وثبات ماليته ابرز نوابه الى حيز العمل فزحف بجيشه اللبناني على الولايات المجاورة فاكتسحها واستولى على بلاد حوران ومجلبوت

وما زال يتنقل من بلد الى بلد غازياً فاتحاً حتى دقّ اوتاد
خيامه على ابواب دمشق

وما لبث ان تطلعت نفسه الى ابعد من ذلك فطمح الى
الاستانة قاعدة السلطنة كما طمح اليها معاوية من قبله ،
فاخذ يتأهب لتحقيق ذلك الحلم الرائع الذي تقاصر عنه معاوية
وحققه محمد الثاني

ومن الماثور عنه في ذلك قوله : « انما السلطنة ثقل تخم ،
فكلما تملكنا بلاداً تقوى برجالها واموالها وننتقل
الى غيرها. »

*

وكانت الدولة في تلك الاثناء قد اوجست شراً من أمير
لبنان ورأت ان الأمر قد التوى عليها فيه : فبدلاً من
ان تلحق الجبل بالولايات أخذ الجبل يمدّ سلطانه على السهل
ويزداد نفوذ فخر الدين في سوريا ازدياداً هائلاً
فلم تصبر الدولة على ذلك ، وعلى عرش السلطنة

يومئذٍ السلطان أحمد الاول^١ بل عبأت الجيوش وجهزتها
بما تحتاج اليه من الميرة والذخيرة « وارسلت على أمير لبنان
ألفي رجل من انكشارية اسطنبول وخمسين سنجقاً و ١٤
بكبير بكيًا من ديار بكر واناطولية وقرمان والرها وطرابزون
وحلب وطرابلس والشام وغيرها من الاماكن ومعهم خمسون
الف مقاتل وعليهم المحافظ أحمد باشا قائد عام ١٠٠ »^١
فلما وقف الاميرُ على حقيقة الحال لم يشأ ان يقامر
بقواته ويخاطر بامارته فيحارب الدولة وحده^٢ ولها ما لها من
العدّة والعدد^٣ بل ارتأى ان يترك الزوبعة تمرّ فلا يتصدى
لها بل يسافر الى اوربا حيث كان بدأ في مخابرات مع
دولها لايجاد مخالفة على الدولة^٤ حتى اذا تمّ له ما اراد عاد
الى البلاد وحارب الدولة مستنداً الى جيشه اللبناني والى
حلفائه الاوربيين^٥

١ الدويهي : ص ١٩٠

٢ كان في ذلك العهد لدوقية « تسكانة » مقام رفيع بين حكومات ايطاليا
واوربا^٦ بعد حكومة البندقية . وكان على تلك الدوقية اسرة « مدسيس »
المشهوره ودوقها الاكبر سنة ١٦٠٦ « فرديند الاول » . وهو قد بدأ الخبايا

سفر فخر الدين الى ايطاليا سنة ١٦١٢
لما عزم فخر الدين على السفر الى اسر نوآياه الى اخيه
الامير يونس وفوض اليه امر الحكم واوصاه ان يكون
مستعداً للحوادث و اشار عليه بالانتقال من بعقلين الى
دير القمر والاقامة فيها فاتفق الاميران على ما يلزم وودع
الامير يونس اخاه في صيدا وانتقل بمن معه الى دير القمر
عملاً بأوامر اخيه وكان ذلك اول انتقالهم اليها .
وجرياً على عادته من عدم الاستئثار بالرأي طلب
فخر الدين من مدبره الحاج كيوان ان يصحبه في سفرته
وفيها ما فيها من محبات الاقدار فامتثل الحاج كيوان
امره واهتم بتجهيز ما يلزم للسفر من خدم ومال ومراكب .
وفي ١٠ محرم سنة ١٦١٢ أقلع الامير من صيدا على مركب
افرنسي ، تحذو به الآمال الكبيرة وهو اذ ذلك في عنفوان
شبابه غير بالغ الثلاثين ربيعاً . وقد سافر في مركبه خمسون

مع فخر الدين بواسطة الكافير « ليوتشيني » وعقد معه محالفة سنة ١٦٠٨
ثم توفي فرديند الاول فخلفه عليها الدوق « كوسموس الثاني » .

رجلاً من حاشيته ونزل الحاج كيوان مع الجوارى في مركب آخر
وبعد مضي ثلاث وخمسين يوماً وصل الأمير الى ثغر
« ليفورنا » في ايطاليا فلما رسا مركبه سأل اهل البلدة
عن القادم عليهم فأرسل الأمير يقول « انا فخر الدين المغني حاكم
جبل لبنان »^١ فأحسنت الحكومة وفادته وما بلغ
خبر مقدمه دوق توسكانه الكبير « كوسموس الثاني » حتى
ارسل وفداً لاستقباله ودعاه اليه في مدينة « بيزا »^٢ . ولما
وصل الأمير اليها بلغ الدوق في الحفاوة به فأخلى له قصرًا
من قصوره الفخمة وجعله بما فيه من الرياش والخدم تحت
تصرف الأمير فنزل فيه فخر الدين واخذ نبلاء البلاد
يتقاطرون للسلام عليه

وسرى حديث الأمير في ايطاليا فارسل ملك « نابولي »
يدعوه الى زيارته فقبل الأمير الدعوة وسار الى نابولي ، وكان
قد سبقه اليها دوق توسكانه لآكرامه والاحتراف به .

١ شرشل : ج ٢ ص ٣٥٢

٢ ليفورنا ثغر في شمال ايطاليا على البحر المتوسط في مقاطعة توسكانه . ويزا
ثغر ايطالي ايضاً يبعد عن الاول ٤٠ كيلومتر تقريباً

وقد بات فخر الدين في نابولي موضوع اعجاب اشراف
ايطاليا واجلالهم فكانوا يتسابقون الى دعوته واقامة
الحفلات الشائقة له . ولم يغرب عن الخاصة هناك ان لذلك
الامير اللبناني غاية سياسية يسعى الى تحقيقها . وكان اول
من فاضه الامير في امر المحالفة على تركيا الدوق كوسموس
الثاني . وكانت الدولة العثمانية في ذلك العهد قوية الشوكة
مرهوبة الجانب فلم يسع الدوق القبول فوراً وهو لا يعرف
ما لفخر الدين من القوة في لبنان ، فرأى ان يحتاط للامر
فيرسل اولاً بعثة الى الجبل تدرس الحال ثم تعود اليه بتقرير
واف يبني عليه الدوق حكمة

فوافق فخر الدين على راي الدوق ، فأعدت البعثة
وجزها مركب ، وكتب الامير الى اخيه وذويه والى اعيان
البلاد ينبئهم بما تم له في ايطاليا ويطلعهم على غاية البعثة
ويحضهم على حفظ القلاع التي هم فيها ويستحث همهم
ويوصيهم بالتيقظ والاستعداد . وكلف الامير من تابعيه ابن
العيسوق ومحمد بن علي كاور بالسفر مع البعثة لايصال تلك

الرسائل الا اصحابها في البلاد

فسافرت البعثة وفيها كثيرون من المهندسين الفلورنتيين. ولما بلغوا سواحل لبنان نزلوا الى البر قرب صيدا، وصعد القبطان ورجال البعثة وابن العيسوق ومحمد كاور الى دير القمر حيث مقرّ الامير يونس . ولما رآهم الامير يونس فرح فرحاً عظيماً، واعطوه المكاتب التي له ولاعيان البلاد. وقد اكرم الامير يونس ووالدته الست نسب ضيوفهم غاية الاكرام وسهلوا لرجال البعثة اتمام مهمتهم ، فطافوا انحاء لبنان يبحثون وينقبون ليتحققوا بانفسهم ما كان فيه من قوات وحصون واموال ووسائل دفاع من كل نوع

وفي الوقت ذاته أرسل الامير يونس الى اعيان البلاد مكاتيبهم فحضرت الاجوبة من الجميع وفيها بيان وافٍ عن احوال البلاد واخلاص اهله للامير فخر الدين ، الا واحداً منهم لم يجب بل ارسل الى الامير يونس يقول « ان اخاه مغضوبُ الدولة فلا تقدر ان نجيبه » .^١

وبعد ان اتمت البعثة عملها واستلم رسولا فخر الدين تلك الاجوبة ، عاد الجميع الى ايطاليا وسافر معهم اليها للحاق بالامير ، الشيخ خاطر الخازن ' مع جماعة من قومه ، ويزبك بن العفيف من اعيان الشوف . فعلم الامير منهم ومن الاجوبة التي أرسلت له كل ما يهيمه عن احوال البلاد ، وقدمت البعثة الى الدوق تقريراً ضافياً بما رأوا وسمعوا وخبروا فجاء تقريرهم اكبر مؤيد لفخر الدين

فلما وثق كوسموس الثاني ان في لبنان قوة لا يستهان بها وان البلاد كلها يد واحدة مع الامير رضي بمحالفته ووعده بالمساعدة على انشاء محالفة اوربية على تركيا تكون على شكل الصليبية ، يدخل فيها البابا وملك اسبانيا فيليب الثالث فارتاح فخر الدين الى ذلك كل الارتياح ، ولم تغفله بوادر النجاح في ايطاليا عن وجوب مداومة اتصاله بلبنان فارسل اليه وفداً ثانياً برئاسة الشيخ يزبك بن العفيف ومعه كثير من المال والهدايا توقعاً للطوارئ والحوادث ..

وكان في تلك الاثناء قد تعدى صيتُ فخر الدين ايطاليا
فطبقت شهرته آفاق اوربا فخطب ملوكها وده^ه، فارسل اليه
ملك فرنسا «لويس الثالث عشر»^١ وفدأ يدعوهُ الى زيارة
البلاط الملكي في باريس فاعتذر الاميرُ عن تلبية الدعوة
مراعاةً لظروف واعتبارات سياسية، ولعلَّ السبب في امتناعه
ما كان بين ملوك فرنسا وبين سلاطين تركيا من علاقات
المودة القديمة مما لم يكن يتفق مع مقاصد فخر الدين
ثم جاءه وفدٌ آخر من ملك اسبانيا «فيليب الثالث»^٢
يحمل اليه كتاباً ملكياً يلحّ فيه على الامير بزيارته في مدريد.
وقد روى صاحبُ الغرر الحسان ان الامير قبل دعوة
الملك وسافر الى اسبانيا وبصحبه حاكم مسينا، فلما وصل
الامير خرج الوزراء لملاقاته ودخل على الملك هو وحاكم
مسينا فترحب بها واكرم الامير اكراماً زائداً وأخلى له داراً

١. لويس الثالث عشر ابن الملك هنري الرابع والملكة ماري دي مديسيس
ولد سنة ١٦٠١ وملك من سنة ١٦١٠ الى ١٦٤٣
٢. ملك فيليب الثالث من سنة ١٥٩٨ الى ١٦٢١

عظيمة وظلّ الاميرُ في ضيافة الملك مدة غير وجيزة اطلعه
فيها على احواله واخبره بما كان بينه وبين الدولة من العداة ،
فلقي من الملك كل رعاية وانعطاف^١
ولما رأى فخرُ الدين ان اموره جارية على ما يشتهي ،
احبّ ان يرجع مؤقتاً الى لبنان ليقف بنفسه على حقيقة
الحال قبل ان يغادر اوربا نهائياً . فاستأذن من ملك اسبانيا
وركب البحر الى ليفورنا فقصّ على صديقه الغراندوق كلما
حصل له واخبره انه عزم على السفر لتفقد احوال لبنان
بنفسه ثم يعود . فوافق الغراندوق على رايه وركب الامير
البحر ومعه الشيخ خاطر الخازن . وقد جاء في الغرر الحسان
ما روايته ملخصاً « فلما وصلت المراكب الى ما بين صور
وناقورة عكا نزل الشيخ خاطر وتوجه الى دير القمر ليعلم
الامير يونس فيلاقوا الامير الى الدمور . فلما بلغ الامير
يونس خبر وصول اخيه فرح فرحاً عظيماً وصار في جميع
الشوف فرحاً عظيماً . ثم ان جميع اهالي البلاد توجهوا

برفقة الامير يونس الى الدامور^٦ وكان الامير فخر الدين اعطى الشيخ خاطر ثلاثة اسهم وقال له متى حضر اخي الى الدامور ورايت المراكب اقبلت فارم سهما في الجو بعد ما تشعلها. ولما وصلوا الى الدامور واقبلت المراكب رمى الاسهم فتحقق الامير انهم حضروا للالتقاء^٧ فقربت المراكب الى البر^٨ ورمت المراسي وابتدأت القوارب تأتي الى البر^٩ وتأخذ الرجال ليسلموا على الامير ويرجعوا^{١٠} وبقي الامير يونس عند اخيه حتى انتهوا واعلمه بكل ما توقع في غيابه. ثم طلب منه ان ينزل الى البر لكي تراه الناس لان اكثر الاهالي حضروا الى ملتقاه من كسروان الى الشوف فنزل الى البر^{١١} وبقي فيه ثلاث ساعات ونظره الجميع وسلموا عليه. ثم رجع الى المركب ورفعت المراكب من الدامور واقلعت^{١٢} «
ان في تهافت الناس على ملقى الامير فخر الدين رغم عداوته مع الدولة لبرهاناً ساطعاً على ما كان له من

١ الفرر الحسان ص ٦٤٢ (بذكر صاحب الفرر الشيخ خطار والحقيقة خاطر: عن الشدياق ص ٨١ و ٨٣)

الكرامة والاحترام والمحبة في قلوب اللبنانيين ، بل يدل على
تمكن الروح الوطنية من نفوسهم وتقديرهم مسعى اميرهم قدره
في سبيل البلاد

وبعد ان وقف فخر الدين بنفسه على احوال البلاد
واخذ عنها الخبر اليقين وطمان ذويه واعوانه وشدد عزائمهم
واعدهم لاستقبال الحوادث القريبة لدى رجوعه في اقرب
فرصة ، ودعهم ورجع الى ايطاليا. وقد مرت المراكب في
طريقها على مالطه ، وكانت اخبار فخر الدين قد شاعت
وزاعت في سائر الاقطار ، فلما علم اهل الجزيرة بقدوم الامير
خرجوا الى لقائه وفي مقدمتهم حاكم الجزيرة الاستاذ الاكبر
(جرات مايسترو) فاستقبلوه بموكب عظيم وأطلقت
له المدافع

وبعد ثلاثة ايام ودّع الامير الاستاذ الاكبر واهل
مالطه ونزل الى البحر فواصل سيره الى ليفورنا ورجع الى
الفرانديق فقص عليه ما رآه في رحلته وهي قد دامت
سبعة اشهر .

في تلك الاثناء حدثت في الاستانة حوادث كانت على ما
يوافق مصلحة فخر الدين فمات السلطان احمد الاول مُسير
الجملة على الامير سنة ١٦١٢ هـ وحدث بعد وفاته اختلاف
على ولاية العهد فخلف السلطان احمد اخوه السلطان
مصطفى هـ وما لبث أن ثار عليه العسكر فأسقطه واقام مكانه
ابن اخيه عثمان المعروف باسم السلطان عثمان الثاني هـ وهو
فتى في الثامنة عشرة من عمره . وكانت الدولة يومئذ في
مشاكل وحروب مع ممالك بولونيا وروسيا وامارات البلقان
واكبر ظرفٍ موافق لفخر الدين كان عزل الحافظ
احمد باشا عدوه الشخصي هـ فلما تغير الحافظ ارسلت الست
نسب تخبر ولدها الامير فخر الدين بما جرى وتطلب رجوعه

عودة فخر الدين

وكان فخر الدين قد اتم مهمته في اوربا فاستأذن
الغراندوق بالرجوع وودعه وركب البحر من نابولي واقلع
منها في ٢٧ رمضان سنة ١٦١٧ هـ « فبلغ مينا عكا في ٩ شوال
من السنة ذاتها وارسل مملوكه سروراً بكتب الى ولده

الامير علي يعلمهُ بقدومه . وكان في ذلك الوقت عند الامير
علي ، الاميرُ ناصر الدين التنوخي ومقدمو بيت ابي اللمع
واكابرُ الشوف

« فلما قرأ الامير علي كتاب ابيه ما عادت تسعه الدنيا
من الفرح وجمع الجميع واعطاهم كتاب والده بخطه وختمه
وأمر بالافراح فكان يوماً عظيماً . . . وبادر الى ملاقة ابيه .
وبعد ذلك حضر اخوه الامير يونس وهم لا يتماكون من
الفرح والسرور

« وما ذاعت في البلاد اخبار عودة الامير فخر الدين
حتى تقاطرت الناس الى ملاقاته افواجاً وهرع اليه الامراء
والمقدمون والمشايخ من كل انحاء لبنان اخصهم مشايخ
الشوف ومشايخ بلاد صفد وبلاد بشاره وبلاد الشقيف
وبلاد صيدا والامير علي الشهابي وولده الامير محمد والامير قاسم .
وقدم الامير احمد يونس الحرفوش وقدم له خيلاً . وارسل
الامير احمد الشهابي ولده الامير سلمان وقدم له خيلاً .
وارسل الامير أحمد طريه مدبره وقدم له خيلاً . وارسل

الامير احمد قانصو مدبره وقدم له خيلاً . فقبل الامير الخيل
وخلع على مقدميها ثم سار في البلاد سير الفاتح الظافر بين
الهزيج والاناشيد واطلاق البنادق ..»^١

ولما استقر المقامُ بفخر الدين اخذ ينظم الجيش والمالية
وامور البلاد على النمط الذي خبره في اوربا واضعاً نصب
عينه تحقيق الغاية التي من اجلها غادر البلاد وانشأ المحالفات..
ولم يظهر الاميرُ عداؤه للدولة بل فضل ان يرقب الفرص
فيحارب الولاة الواحد بعد الآخر حتى يأمن شرَّ اتفاقهم
وتضافرهم عليه :

وقد بدأ أعماله بحرب آل سيفا لانهم كانوا يومئذٍ
ذوي حولٍ وطول في لبنان واكبر عثرة في سبيل توحيد
الامارة اللبنانية . فعزم على قهر كبيرهم يوسف باشا سيفا . وقد
احتاط للأمر بأن استوثق أولاً من رضى عمر باشا الكتنجي
والي طرابلس ومساعدته ، فكتب اليه يشكو من اعمال

١ ملخصاً عن الديوبى ص ١٩٥ والنزر ٦٥٩ والشدياق ٢٧٨ وشرشل

يوسف باشا سيفاً. فأجابه الوالي اذا شئت ان تحاربه فانا
اكون مساعداً لك

فأخذ فخر الدين يعدّ المعدات ويهيئ الرجال مستنفراً
على ابن سيفاً امراء البلاد ومشايخها حتى يطبقوا عليه من
كل جهة ويسدّوا في وجهه سبل النجاة: فقام من صيدا الى
بيروت وكتب الى الامير علي الشهابي يستنفضه ، وكتب
الى مدبره الشيخ ابي نادر الخازن ان يرسل رجالاً يمسون
جسر نهر ابراهيم على الذاهيين الى الجهة الشمالية لئلا يدري
به يوسف باشا ، واستدعى اليه رجال الشوف والغرب
والجرد والمتن وكسروان ، وكتب الى ولده الامير علي ان
يجمع رجال بلاد صفد وبلاد بشاره والشقيف وصيدا ويذهب
بهم الى غزير ، وكتب الى الامير علي الشهابي ان يوافي
ولده الامير عليا الى غزير ، وكتب الى الامير يونس
الحرفوش ان يضبط ما لآل سيفاً من المواشي والغلال في
القيرائية والهرمل . ثم نهض من بيروت بمن اجتمع عنده
الى نهر ابراهيم ثم الى جبيل ومنها الى اميوت ثم الى قلعة

بجعون في الضنيه وحينئذٍ توجه نفر من عسكره من اهل
دير القمر للكبس ، فصادفوا الامير محمد بن حسين بن يوسف
باشا مع جماعته وهو فتى في الخامسة من عمره . فلما رات جماعة
الامير الصغير ذلك العسكر تخلوا عن اميرهم هارين فقبض
عليه اهل دير القمر واخذوه الى الامير فخر الدين
وكان فخر الدين كبير النفس يشهد تاريخه بنبالة اخلاقه
وسمو عواطفه ، فلما رأى الاسير الفتى رأفَ به وبوالدته
فارسل يخبرها بسلامة ابنها وانه في رعايته لتطمئن اليه
وفي غضون ذلك كان نفذ الامراء أوامر فخر الدين
فقدم الى عزيز ابنه الامير علي بعسكره ومعه الامير
علي الشهابي بعسكره ايضاً

« اما فخر الدين فنهض بعسكره من قلعة بجعون الى
قرية تولا ، ولما بلغ يوسف باشا قدومه أرسل حريمه ومثمناته
الخفيفة قدامه الى قلعة الحصن « حصن الاكراد » في طريق
ونهض برجاله منهزماً الى القلعة ذاتها في طريق اخرى .
فطارده فخر الدين بثلماية فارس من عسكره وبينما هو مجد

في لحاقه أدركه الليل فظهرت من بعيد عشرة مشاعل خارجة
من عكار على طريق الحصن ، فأسرع في أثرهم حاسباً انهم
ابن سيفا ورجاله ، فاذا هم فريق النساء والاحمال ، فأبت عليه
مروءته الا ان يحميهم من كل أذى فاستحلف فرسانه
ألا يمدوا ايديهم الى النساء ويكتفوا بأخذ الاحمال .

اما يوسف باشا فلما سمع الضوضاء ، أطفأ مشاعليه
وأسرع بعسكره الى قلعة الحصن وهو لم يدافع عن حريمه وماله
وكان في تلك الاثناء قد دخل عسكر الامير عكار
وغنم ما فيها ، اما الامير فبلغ قلعة الحصن قبل وصول عسكره
من عكار . فلما أقبل عليها وجد جميع امراء آل سيفا
متهيئين برجالهم للقتال وعندهم بنو الصواف مقدمو المتن
برجالهم . فلم يحجم فخر الدين بل أقدم صائحاً بقومه : القتال ،
وزأراً كالأسد وشن الغارة وانقض هو وفرسانه على القوم فانهمز
يوسف باشا بقومه متسابقين الى تلك القلعة للتحصن فيها .^١

وكان فخر الدين عارفاً بفنون القتال يباشره بنفسه
ويعمد فيه الى اساليب فنية محكمة ، طالما استعملت في
هذه الحرب ، كحفر الخنادق واقامة المتاريس من اكياس
الرمل والتراب .

ولما أيقن ابن سيفا انه مقهور لاجل الحالة ارسل كنته
ومعها نساءً ليشفعن به لدى فخر الدين : « وبينما كان الامير
في خيمته واذا ابنة داخلة اليه ومعها نساءً فالتمست منه العفو
عن آل سيفا »

وقد علمت من اخلاق فخر الدين انه كان كبير النفس
لا يلين لقوي ولا يصلب لضعيف فأحسن استقبال ذلك
الوفد من السيدات وطيب قلب كنة يوسف باشا ووعدھا
باجابة سؤلھا

وبعد ان استظهر فخر الدين على يوسف باشا سيفا
وكسر شوكته ، مال على غيره من الولاة وزعماء العشائر :

١ هي زوجة حسن بن يوسف باشا سيفا وبنت فخر الدين (الشدياق ص ١٦٤
و ٣١٣ ومايلیھا)

فأعلن الحرب على الامير أحمد طريه وظفر به ، ثم حارب
مصطفى باشا وغلبه في واقعة المجدل . وكان اثناء سيره في
البلاد يشيد القلاع في طريقه جاعلاً له فيها قواعد حصينة
يستند اليها في المواقع ، فبعد ان أطاعه في وادي التيم الامير
احمد الشهابي ، وفي حاصيا الامير علي الشهابي ، سار الى
بانياس فرمم قلعتها ، والى صرخد فبنى فيها قلعة ، ثم نهض
الى بعلبك ورمم قلعتها ، ثم الى قبّ الياص وبنى فيها قلعة .
وحدث في ذلك العهد غلاءً في دمشق فارسل اهل
المدينة يشكون حالهم الى الامير ، فارسل اليهم حالاً الذي حمل
جمل قمحاً ، وفي اليوم الثاني الذي حمل ايضاً . ثم جمع جملاً
حوران ودوابها وأمر اصحابها ان ينقلوا القمح الى دمشق وامر
ان يكون رطل الخبز بقطعتين ، ثم أتى الى مرجة دمشق فخرج
اهل المدينة كباراً وصغاراً الى ملاقاته يدعون له بالنصر وطول البقاء
وقد سار الى غرب حماه فقدم اليه اهله طائعين ،
وشرع ببناء قلعتين احدهما شمالي قلعة الشاميس تجاه حلب
والاخرى فوق انطاكيه ، ونهض الى بلاد الثغر وبيلان

فقدم اليه والي حلب وقدم له ثلاثين ذهباً والى الف حمل مؤونة
للعسكر وطلب منه الاحسان للرعايا . . .

وقد كان الفضل الاكبر في انتصارات نحر الدين لانتفاف
البنانيين حوله من كل فجٍ وصوب محارين جميعهم
تحت لوائه على اختلاف مذاهبهم باتحاد تام في سبيل غاية
وطنية واحدة

وقد نتج عن تضافرهم في ميدان القتال وهرق
دمائهم جنباً الى جنب أنهم تأخوا واتحدوا فباتوا في
تلك الصفوف وهم يشعرون انهم شعب واحد تجمعهم حكومة
واحدة بصرف النظر عن الطوائف والمذاهب ، فأقام
فخر الدين عمالاً على البلاد من كل الطوائف على السواء
لم ينظر في تعيينهم الا الى كفاءتهم واقتدارهم : فولى الشيخ
ابا نادر الخازن على بلاد جبيل ، والشيخ ابا صافي اخاه على
بلاد بشرة ، والمقدم يوسف الشاعر على بلاد البترون ،
فكانت من ثم « الامة اللبنانية » و « الامارة اللبنانية »
وهما منفصلتان عما يحيط بهما من العناصر والولايات

وقد بلغ لبنانُ يومئذٍ أوجَ عزّه ومجده وبات اميره
فخر الدين الكبير عزيز الشوكة واسع السطوة، وقد اقرته
الدولة على فتوحاته واطلق عليه السلطان لقب «سلطان البر».
ولقد أصبح لبنان في ذلك العهد مملكة ضخمة قوية واسعة
الاطراف مرهوبة الجوانب يمتد سلطانها من حدود
حلب الى حدود القدس الشريف^١ وكان فخر الدين
يواصل في تلك الاثناء مخبراته مع ملوك اوربا وامرائها
ويفاوض في الوقت ذاته فرسان جزيرة مالطه حتى كاد يوجد
دعوة صليبية جديدة على تركيا:

واول من شرع بتنفيذ المحالفة وبذل المساعدة الفعلية
لللاهير^٢ كان دوق توسكانه «كوسموس الثاني»، فأرسل اليه
سنة ١٦٣٠ الكافيلير «فرازانو» ومعه مراكب عديدة تقل
المهندسين والعملة الاختصاصيين وكثيراً من الميرة والذخيرة^٢

١ الشدياق ص ٣١٦

٢ وقد حفظ امراء توسكانه ذكراً طيباً للبنانيين فلم تنقطع العلاقات بينهم
حتى ان الدوق كوسموس الثالث لما علم بوجود احدهم الخوري بطرس مبارك في
روما حوالي سنة ١٧٠٠ استدعاه اليه في فلورنسا فجعله رئيساً للمطبعة الشرقية التي

وفي الوقت ذاته كان العلامة ابراهيم الحاقلافي^١ يفاوض
«البابا اوربانوس الثامن» للانضمام الى المحالفة
وكانت الامور من هذه الجهة جارية على ما يشتهي
نصر الدين: فالتصر باسم^٢ له واوروبا مهمة بمساعدته وتركيا
تسعى الى مرضاته حتى سكر الامير^٣ بخمرة الفوز ولم يعد
يحسب لاعدائه حساباً فطمح بابصاره الى السلطنة غير مخفي
نواياه ولا متستر في مظاهره وقد بنى في بيروت خاناً
للوحوش تقليداً «للسلطنة» مثيراً هواجس الباب العالي وحذره.

*

ومن نكد الطالع ان حدث في اوربا حوادث في ذلك

كان انشأها الدوق فردينند دي مدسيس^٤ ثم عينه فيما بعد استاذاً للعبانية في كلية ييزا
(عن قاموس اللاهوت الكاثوليكي طبعة باريس سنة ١٩٠٩ ج ١ ص ٩٤٠)

١ ابراهيم الحاقلافي او الحاقلي ولد في حاقل «من بلاد جبيل» في اوائل
الجيل السابع عشر. ومن المعروف ان للموارنة من قديم الزمان دالة خاصة على
الباباوات حتى ان البابا غريغوريوس الثالث انشأ لهم في روما المدرسة المارونية
المشهوره سنة ١٥٨٤ حيث تلقى الحاقلافي علومه. وبالنسبة لتمكن الروح
الوطنية من اللبنانيين في ذلك العهد على اختلاف مذاهبهم ونظراً لمقام الحاقلافي
في الفاتيكان كان ذلك العلامة اشد نصير وأوفى معتمد لفخر الدين لدى البابا
اوربانوس الثامن في سبيل خدمة البلاد. (عن الدويهي ص ١٧٠ والدر المنطوم
ص ١٩٥. والدبس عدد ١٠٢٩. وجو بلان ص ١١٤)

العهد، غيرت مجرى الامور على نخر الدين وكان لها في لبنان صدى شؤم ووبال على الحركة الوطنية: وحكاية ذلك انه تفشى في ايطاليا وباء الطاعون الفظيع فانهمك «كوسموس الثاني» في درالوباء عن بلاده وكان له من امورها الداخلية شغل عن نخر الدين فكف من ارسال الميرة والذخيرة اليه واستدعى من لبنان الكافليير «فرازانوا» مع مهندسيه وعماله

وكان من جهة اخرى ان اشتدت في اوربا وطأة «حرب الثلاثين سنة» وعصفت فيها ريح التباض بين الكاثوليك والبروتستانت فريعت لها البايوية ولم يعد باستطاعة البابا ان يمد فخر الدين بمساعدة ولا ان يدعو اوربا الى حرب صليبية جديدة واوربا يومئذ غارقة في بحار فتنها وحروبها الرائثة^١

وقعت تلك الحوادث في اوبا فاغتتمت الدولة الفرصة

١ «حرب الثلاثين سنة» هي سلسلة معارك وحروب دينية سياسية

شفت اوربا من سنة ١٦١٨ الى سنة ١٦٤٨

الساحة لها على فخر الدين فجزت حملة اشدّ هولاً من
الاولى التي سيرتها عليه في بدء حكمه :
ففي سنة ١٦٣٣ أصدر السلطانُ مراد أمره الى الصدر
الاعظم خليل باشا فعبئت الجيوش وزحفت على لبنان
بامرة احمد باشا الحافظ كجك فوصلت الى الجبل يوم كانت
اتقطعت عن فخر الدين مساعدة حلفائه الاوريين ، مما
حسن في مركز الحافظ الحربي . فانتشب القتال بين
الفريقين وظلّ مدة سجلاً بينهما ، تارة يبسم النصر للبنانيين
وطوراً يعبس في وجوههم حتى اصيبوا بفقد قائدهم العام الامير
علي بن الامير فخر الدين وهو من أمر قواد زمانه ، فكان
فقدُه فاتحة شؤم ووبال على قومه ، ففارق السعدُ ألية
البنانيين وما لبث ان استظهر الحافظ كجك عليهم والتوى
الاميرُ على فخر الدين . وكان للامير في انقلاب الدهر عليه
اسوة بمن سبقه ومن لحقه من قواد عظام وملوك كبار خانهم
القدر في بلوغ مارموا اليه من الغايات الوطنية ١

١ بعد ان استظهرت جيوش الدولة على اللبنانيين أرسل فخر الدين أصغر

اولاده الامير حسين مع مدبره الشيخ نوفل الى قلعة المرقب حيث اضطروا الى التسليم. ولجأ فخر الدين مع سائر اولاده منصور وحيدر وملك يصحبهم مدبره الشيخ ابو نادر الى قلعة شقيف نبرون قرب نجا ثم انتقلوا منها الى مغارة جزين واضطروا هم ايضاً الى التسليم.

وقد اطلق سراح الشيخ ابي نادر وابنه الشيخ نوفل. اما فخر الدين واولاده فسافروا الى الاستانة حيث غدر بهم "الابالامير حسين" في ٢ نيسان سنة ١٦٣٥ وعمر فخر الدين ٥٢ سنة.

اما الامير حسين فابقى السلطان عليه وظل في الاستانة حتى بلغ اشده فادخل في مناصب الدولة وتقدم فيها كثيراً. وفي سنة ١٦٥١ كان مرسلًا من قبل الدولة الى الهند فر على لبنان وزار ابن عمه الامير ملحم في دير القمر فترحب به الامير ملحم وعرض عليه ان يقيم في لبنان فيتنازل له عن الامارة. فاعتذر الامير حسين شاكرًا لابن عمه فضله وصروته. وبعد ان أقام عشرين يوماً في ضيافته واصل طريقه. ثم رجع الى الاستانة ولم يعد بعدها الى لبنان (الشدياق ص ٣٣٦. الفرر ص ٧٢٨)



الفصل الثالث

الامير ملحم (١٦٣٥ — ١٦٥٨)

والامير احمد (١٦٥٨ — ١٦٩٧)



خلف فخر الدين الثاني على الامارة ابن اخيه الامير
ملحم المعني ابن الامير يونس .

ولم يصف الجوين الامير ملحم وبين ولاية سوريا
فكان له معهم مواقع مشهودة أشهرها «موقعة وادي القرن»
سنة ١٦٥٣ حيث وقف اللبنانيون من جهة واصطف رجال
الامير علي علم الدين اليمني وعساكر والي دمشق بشير باشا
من جهة اخرى . وقد دام القتال ثلاث ساعات استبسل
فيها الفريقان ايما استبسال ، ولم يلبث اللبنانيون أن استظهروا
على الاعداء فزقوا صفوفهم وشتتوا شملهم فولى اليمني

ورجاله الادبار والبنانيون يعملون في اقصيتهم السيوف حتى
اوصلوهم الى دمشق فلولاً مقطعة الاوصال.

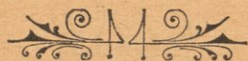
وكان بين المعينين والشهابيين صلات ودّ وصداقة
فأزوج الامير ملحّم ابنته من الامير حسين الشهابي فرزق
منها « الامير بشير » وهو الذي قدر له ان يكون اول
امير شهابي على لبنان

وبعد وفاة الامير ملحّم (١٦٥٨) خلفه ابنه الامير احمد
فكانت على ايامه « وقعة الغلغول » عند برج بيروت
سنة ١٦٦٦ بين القيسيين واليمنيين فظفر الامير باليمنيين
واستقلّ بامارة بلادهم جميعها.

وسنة ١٦٨١ أزوج ابنته للامير موسى الشهابي فرزق
منها ولداً دعاه « حيدراً » وهو الذي انتخبه اللبنانيون
على الامارة بعد الامير بشير.

وقد توفي الامير احمد المعني بلا عقب سنة ١٦٩٧

فاتقرضت به السلالة المعنية في لبنان وحلت محلها فيه
الاسرة الشهابية .



الباب السادس

بناه على عهد الشرايين^١

الفصل الاول

الامير بشير الاول. الامير حيدر. الخلة. الاميران احمد ومنصور.

الامير يوسف.

الامير بشير الاول (١٦٩٧—١٧٠٧)

ان تاريخ لبنان السياسي^٢ لاسيما منذ فخر الدين الكبير^٣ ينحصر في هذه الجملة: ذود اللبنانيين عن استقلالهم الداخلي وسعيهم الى الاستقلال التام بقطع كل علاقة كانت تربطهم بتركيا.

١ راجع الدويهي والديس والشدياق والفرز الحسان وجودت باشا ورحلة لامرئين الى سوريا وتاريخ الدولة العثمانية للفيكونت دي لاجونكيار والكولونل تشرشل الخ.

فزوداً عن استقلالهم الداخلي حالفوا الروم على العرب
والصليبيين على الدولة الفاطمية وحاربوا الدولة العثمانية
حروباً متواصلة

وسعيّاً الى الاستقلال التام التفّ اللبنانيون على
اختلاف مذاهبهم حول فخر الدين الكبير وارقوا دمائهم
الغزيرة في قتال تركيا كما ارقوها على عهد الامير بشير
الكبير ، وفي الفترة المنقضية بين سنة ١٨٤٠ وسنة ١٨٦٠

وقد فهموا وتأكدوا ان تحريرهم لا يتم الا باتفاقهم
واتحادهم شعباً واحداً وحكومة واحدة ، فاتفقوا واتحدوا ، فبات
لبنان من الوجهة السياسية ذا مقام ثابت وطيد الاركان
يعترف الجميع بمركزه الخاص وبامتيازاته الواسعة .

ولم تكن تنكر الدولة العثمانية على لبنان استقلاله الداخلي
وحقه بحكم نفسه بنفسه فلم تدع يوم خلت الامارة من المعنيين
بان لها الحق ان تعين من تشاء من رجالها والياً على لبنان ،
كما كانت تفعل بسائر الولايات السورية بل ، اعترفت للبنانيين
بحق اختيار من يريدون خلفاً للامير احمد فاجتمع وجوه

واعيان البلاد وتشاوروا فيمن يقيمون عليهم اميراً
وقد كان كثيرون منهم يليقون للحكم سواءً بالنسبة
لحسبهم وغناهم او بالنسبة لجاههم وكفاءتهم . غير ان
الحكمة قضت عليهم بان يجدوا حلاً يرضي الجميع وينفي من
نفوس المتقدمين فيهم عواطف الحسد واسباب الخلاف ،
فاتفقوا على ان لا يغيروا نظام الحكم في البلاد بل تبقى
الامارة المعنية قاعدة الحكم فيه لاسيما وقد كانت للمعنيين
كرامة جلي في لبنان لما تم له من الخير والعز والجاه على يدهم .
فقر رأيهم ان يكون الحكم لورثاء المعنيين الاقربين :
فاتخبوا الامير بشير الشهابي ابن الامير حسين ، وهو ابن
اخت الامير احمد المتوفي وابن بنت الامير ملحم . وفي
ذلك يقول الشدياق : « سنة ١٦٩٧ لما توفي الامير احمد المعني
وانقطعت به السلالة المعنية اجتمعت اكابر لبنان ليتخبوا
والياً عليهم فاتفقت آراء الاكابر جميعاً على الامير بشير ابن
الامير حسين الشهابي امير ريشيا ، لانه كان ابن اخت
الامير احمد المتوفي . فتوجهوا الى ريشيا ودعوه للولاية

فأجاب .. وأتى معهم الى دير القمر فاستقبله الناس بعز
عظيم وبايعوه الولاية على جبل لبنان . «^١
وهكذا انتقلت امارة لبنان الى الشهابيين

*

قيل : ان امراء لبنان من معينين وشهابيين استأثروا
بالحكم فيه فاتحين غزاة وهم اجانب عنه
والحقيقة هي ان اللبنانيين من شعب وامراء ومقدمين
ومشايخ^٢ ما اعترفوا بالامر لفخر الدين الثاني الا وهو امير^٣
وطني ولبناني صميم كانت مضى على اسرته المعنية في
لبنان يوم بويج بالامارة^٤ ما ينيف على اربعمائة وسبعين سنة
فاصبح اللبنانيون يعدونه^٥ على حق^٦ واحداً منهم
وفوق ذلك فان الروابط الشخصية التي كانت بين
فخر الدين الثاني وبين اهالي كسروان والشمال كما تقدم
ساعدت الامير على توحيد الحكم في لبنان برضى اللبنانيين
واختيارهم .

وهكذا قل عن دخول الشهابيين الى لبنان، فانهم ما
وطئوا ارض الجبل وجلسوا على سرير امارته الا بناء على
قرار اللبنانيين ودعوتهم لهم .

وقد حصل مثل ذلك في اليونان وفي رومانيا وبلغاريا :
فالاسرة المالكة في اليونان دامت كريمة الاصل اول من تولى
عرش اليونان فيها الملك جورج الدانمركي سنة ١٨٦٣

والاسرة المالكة في رومانيا المانية الجنس ، واول ملك
منها الامير كارلوس ، دعي الى تولي الامارة الرومانية سنة ١٨٦٧
والاسرة المالكة في بلغاريا نمساوية الاصل ، وقد دخلها
فردينند الاول برضى الامة واختيارها سنة ١٨٨٧

فان صح^٢ ان ملوك اليونان والرومان والبلغار دخلوا
تلك البلاد غزاة فاتحين صح^٣ ان الشهابيين دخلوا لبنان
بحق الفتح . .

وقد تولى الشهابيون على لبنان ١٤٥ سنة من الامير
بشير الاول سنة ٢٦٩٧ الى الامير بشير الثالث سنة ١٨٤٢

الامير حيدر (١٧٠٧ - ١٧٣٢)

لم يقتصر اللبنانيون على انتخاب اول امير شهابي بل بقيت عادة الانتخاب متبعة عندهم اثباتاً لكون الاستقلال هو حق للبلاد ولأهلها لا لاسرة حاكمة فيها، والآن زال استقلال لبنان بانقراض المعنيين قديماً وبابعاد الشهابيين حديثاً توفي الامير بشير الاول سنة ١٧٠٧ فاجتمع اكابر البلاد واعيانها وقرّ رأيهم على تولية «الامير حيدر» ابن الامير موسى شهاب خلفاً له، وهو ابن بنت الامير احمد المعني آخر الامراء المعنيين. وقد توجهوا الى حاصبيا فاتوا بالامير حيدر الى دير القمر وعمره ٢١ سنة، وقد اعترفت الدولة به وارسلت له خلعاً الولاية.

الخلع

عملاً بحق السيادة التي كانت للدولة على لبنان كان الامير يدفع جزية عن البلاد ويطلب من الدولة ان تعترف به فكانت تفعل ذلك بواسطة احد ولايتها في سوريا اخضعهم والي عكا او والي صيدا، فكان الوالي يخلع على الامير فتكون

١ الامير حيدر هو جد الامراء الشهابيين في لبنان

الخلعة بمثابة فرمان يثبت ان الدولة اعترفت به واقترته
على الامارة اللبنانية .

وقد زعموا ان الخلعة تُثبت عدم استقلال لبنان وتجعله
في مصاف الولايات العثمانية كولاية دمشق وولاية
حلب وسواهما .

ولعل المرء اذا نظر الى هذه المسئلة بعين مجردة تبين
له ان ما قيل في الخلعة من هذا القبيل هو في غير محله

ليس من يدعي ان لبنان كان حائراً على الاستقلال
المطلق مثل فرنسا وانكلترا مثلاً ، لا تربطه بالدولة العثمانية
علاقة ما ، بل يقرّ اللبنانيون قبل غيرهم ، ان لبنان على عهد
امرائه ما كان حائراً الاً على الاستقلال الذاتي ، بمعنى ان
الامير كان وطنياً من اسرة خاصة ، وكان مدبره ومستشاروه
وطنيين ، وكل المناصب والوظائف في ايدي الوطنيين ،
فكان لبنان والحالة هذه يدير بنفسه شؤونه الداخلية من
مالية وضرائب ومحاكم واحكام وأمن عام وانظمة وقوانين
وكل ما له علاقة بادارة البلاد الداخلية لاشان للدولة في

شيء من ذلك ، وهذا ما يعبر عنه « بالاستقلال الذاتي »
وقد تسلسلت الامارة في المعنيين منذ اوائل الجبل
السادس عشر ، ثم انتقلت منهم الى الشهابيين سنة ١٦٩٧
فتسلسلت فيهم الى سنة ١٨٤٢ ، وبقيت للوطنيين ايضاً في
عهد القائميتين حتى معاهدة سنة ١٨٦١

فاذا رجعت بالامارة الى نحر الدين الاول وجدت
للبنان اماره وطنية تثبت استقلاله الذاتي مدة تهاجر
٣٥٠ سنة كان فيها كل ما في الحكومة اللبنانية وكل من فيها
وطنياً صرفاً: فاللبنانيون يديرون امورهم بانفسهم لا تسري
عليهم الخدمة العسكرية التي كان معمولاً بها في ولايات
الدولة ، ولا دخل للاجنبي في بلادهم في وجه من الوجوه ،
بخلاف ما كان جارياً على ابواب لبنان في الولايات السورية
كدمشق وعكا وحلب ، او في الولايات البلقانية كبلغاريا
ورومانيا وصربيا واليونان والجبل الاسود ، حيث كانت الدولة
تولي من تشاء من رجالها وتعزل من تشاء لا رأي الا
رايها ولا حكم الا حكمها ، فكانت تجند منهم الجيوش وتجي

الضرائب والاعشار وتصرف في البلاد تصرف المالك في ملكه ، في حين انه لم يكن لها شيء من تلك الحقوق في لبنان ومع هذا فلم يكن لبنان حائزاً على الاستقلال التام بل كان للدولة سيادة عليه ورابطة تربطه بها خصوصاً في المسائل الخارجية اذ لم يكن للبنان معتمدون في الخارج ، كذلك في مسألة تولية الامير اذ كان لا بد من اعتراف الدولة به . وكان يُعبر عن تلك السيادة والرابطة بالجزية والخلعة ، ومعناها إقرار الامير بسيادة الدولة واعتراف الدولة بالامارة اللبنانية : هذا ما تعنيه معاملة « الخلعة » وهي لا تعني غير ذلك .

وقد نهج الامير حيدر على منوال جدوده المعنيين فزاد عن امتيازات لبنان جهده وسعى الى توسيعها ما استطاع مهما بتمكين الروح الوطنية في النفوس على قاعدة « القومية اللبنانية » التي لا دخل فيها للدين والمذهب ، وقد تجسمت تلك العصبية القومية في موقعة عين دارا الشهيرة التي حصلت في ايامه سنة ١٧١١

ففي تلك الموقعة التفَّ اللبنانيون القيسيون على اختلاف
طوائفهم بلواء الامير حيدر فتألف منهم جيش لبناني
لا يستهان به جمع بين وجهاء الدروز مثل «المقدم مراد
والمقدم عبد الله المعين ورجلهمما» والشيخ سيد احمد
ابوعذرا» والشيخ سرحال العماد ومعهما رجال الباروك
وما يليهما» و بين اعلام الموارنة «كالشيخ خازن الخازن
الماروني شيخ كسروان ورجاله»

وقد قاتل اولئك اللبنانيون نجباً الى جنب اعداءهم
من حزب «اليمنية» وعليه محمود باشا ابوهرموش يساعده
نصوح باشا والي دمشق وبشير باشا والي صيدا بعساكرهما
الجرارة . فلم يقف اولئك الباشوات وعساكرهم امام
الامير حيدر ورجاله الا باسل وكان يوم «عين دارا» يوماً
مشهوداً ونصراً ميبناً للامير واعوانه فقبضوا على محمود باشا
وفرّ نصوح باشا وبشير باشا منهزمين . فرجع الامير حيدر
الى دير القمر تحفّق فوق راسه اعلام النصر ورايات الفخار

وقد نال لبنانُ على عهده من العزِّ والاستقلال شأواً
بعيداً متمشياً في الطريق التي خطها نجر الدين الكبير. وفي ذلك
يقول جودت باشا الوزير التركي في تاريخه ' وشهادته لا ترد'
لصدورها من رجل اقلّ ما يقال فيه انه غير متعصب للبنان
واستقلاله ' قال: « ان الامير حيدر الشهابي حصل
في حكومة الجبل على الاستقلال التام ومن ضمنها
البقاع وكان امراء الجبل في ادارتهم الداخلية واحكامهم
مستقلين فلا يقدر احد من حكام الدولة ان يتداخل في
امورهم الداخلية. حتى ان اهل الجناية الذين كانوا يلجئون
اليهم لخوفهم من الولاة يأمنون على انفسهم ' وذلك
لانه كان من الاصول المرعية عندهم وجوب صيانة من
يهرب اليهم ويحتمي بهم فكان الولاة لذلك لا يقدرّون على
امترداده »

وسنة ١٧٣٢ توفي الامير حيدر «حزن عليه اهل البلاد
حزناً شديداً، وظلت النساء لابسات عليه الحداد اربعين يوماً

يندبهُ في المساء والصبح . وفي ايامهِ انقطعت السلالة اليمنية
وبطل ذكرها وارتفع شأن القيسية واستظهر امرهم . »

الامير ملحم (١٧٣٢-١٧٥٤)

لم تخلُ منصة الامارة بوفاة الامير حيدر حتى جلس
عليها سيد الراي ثبت الجنان ولدُه الامير ملحم الشهابي ،
فكان خير خلف لخير سلف

ان تاريخ الامير ملحم مفعم بالماثر الناطقة بكبر النفس
وعلو الهمة وشدة البطش والصولة حتى اصبح لبنان علي عهدِه
حمي يحمي به وبات اميره مرجعاً اليه ولاة سوريا
بمهام امورهم وفي الاختلافات التي كانت تقع بينهم :

ومن حوادثه انه نبي اليه ان بني علي الصغير اصحاب
بلاد بشاره اظهروا الشماتة بموت والده الامير حيدر فحضبوا
ذيول خيولهم بالحناء سروراً ، فنهض اليهم برجاله والتقى بهم
في قرية يارون من تلك الديار فظفر بهم وكسرتهم واهلك منهم

خلقاً كثيراً ثم رجع الى لبنان ومعه نصار مقدم بني الصغير
معتقلاً ..

وسنة ١٧٤١ حصل نفورٌ بينه وبين والي دمشق
فجهز الوالي عسكرياً وحضر به الى البقاع قاصداً قتال الامير ،
فلما بلغ الامير ذلك جمع قومه ونهض بهم الى البقاع ايضاً
فلما رأى الباشا ان لا قبيل له بقتاله انهزم بعسكره فتأثره
الامير حتى ابواب دمشق .

وسنة ١٧٤٣ بدا من المتأولة الشيعية اصحاب جبل عامل
ما غير خاطر والي صيدا عليهم فكتب الباشا الى الامير ملحم
يستنهضه عليهم طالباً اليه تأديتهم ، فاجابه الامير الى سؤله
ونهض من دير القمر بجحفل جرّار حتى بلغ جسر الاولي فلما
علم المتأولة بذلك ، وكان للامير في البلاد من الصولة ما كان ،
داخلهم الخوف والرعب ووجهوا رسلاً الى والي صيدا
يلتمسون الصفح ، فقبل الوالي ذلك وكتب الى الامير
يخبره حتى يعود الى بلاده .

وكان الامير على جانب عظيم من عزّة النفس ، اذا

اسدى يدًا فانما يسديها منةً منه وكرمًا لا خوفًا واضطرارًا
فلما بلغه كتابُ الوالي اخذ عليه في نفسه لقبوله الصلح
مع المتأولة بغير علمه ورضاه . فلم يعمل الامير براي الباشا
بل نهض في الحال بجيشه لقتال المتأولة فالتقى بهم في قرية
نصار « فخرجوا اليه بجيش عرمرم فحمل الامير بالرجال وهجم
عليهم كالاسد الرثال فانكسروا وولوا الادبار فاخذ اللبنانيون
اعقابهم وغنموا أسلابهم . ثم رجع الامير بعسكره إلى
دير القمر بعز تام »

وحصل له مثلُ هذا النصر سنة ١٧٤٨ على اسعد باشا
والي دمشق ، على أثر نفورٍ جرى بينهما وقد وقعت المعركة
في صحراء بر الياس حيث « اصطف الفريقان للحرب
والطعان ، وعند الظهيرة هجم الامير عليهم كالاسد فانكسر
الوالي وعسكره . فتبعهم الامير فاتكأ بهم الى ان وصلوا
الى سهل الجديدة فاهلك منهم خلقًا كثيرًا وغنم عسكره بهم
ثم عاد الامير الى بلاده منتصرًا فعلت همته وعظمت
هيئته وسطوته »

ومن مآثره انه عاد فضم بيروت الى لبنان وظلت
هكذا الى عهد الجزائر.

وسار الامير ملحم في السياسة الوطنية على آرائيه
تكملة لعمل الامراء المعنيين من توحيد الحكومة على اساس
« القومية اللبنانية » التي لا علاقة لها بالطوائف

فكنت تراه يعهد بمهام اموره الى هذا او ذلك من
اللبنانيين بصرف النظر عن الدين والمذهب. ففي سنة ١٧٥٠
تطاول بنو متكر الشيعيون على بعض اقليم جزين، فعظم ذلك
على الامير فدهمهم في جباع الخلاوة فظفر بهم واهلك منهم
ثلثمائة رجل وفر الباقون فارسا في اعقابهم كتيبة من
جيشه بامرة الامير مراد المعني الدرزي والشيخ ميلان
الحازن الماروني.

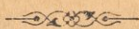
وأبلغ من ذلك انه لما مرض الامير ملحم سنة ١٧٦١
عهد بالوصاية على اولاده الى الشيخ سعد الحوري صالح الماروني
غير ناظر في تقليده تلك المهمة الا الى كفاءته واخلاصه^١

وفي أيامه حلَّ محل القيسية واليمنية «الحزب الجنبلاطي»
«والحزب اليزبكي» وأساسهما السياسة والعصية القومية
لا الدين والمذهب .

الامير احمد والامير منصور (١٧٥٤—١٧٧٠)

خلف الامير ملحم اخواه الامير احمد والامير منصور
ثم استقل الامير منصور بالأمر الى سنة ١٧٧٠ وشعر من
نفسه ضعفاً فأراد ان يعتزل الحكم ويتنازل عنه لابن اخيه
الامير يوسف ، فلم يفعل عما لاهل البلاد من ابداء الراي
في مثل هذه الظروف احتفاظاً بامتيازاتهم ومراعاة لتقاليدهم .
فجمعهم وأخذ رأيهم وموافقتهم . وفي ذلك يقول الشدياق :
« ان الامير منصور جمع امراء البلاد واكابرها واعيانها في
نوع الباروك وخاطبهم قائلاً : «يا معشر آل لبنان من امراء
واعيان . . اني لما مضى عليّ من الزمان قد ضعف جسمي
وضجرت نفسي ولم يبق لي اقتدار على حمل اعباء الولاية
فها انا قد خلعت نفسي عنها وسلمت مقاليدها طوعاً الى

ابن اخي الامير يوسف فكونوا له مطيعين واعلموا انه هو
الوالي عليكم اجمعين ٠٠»^١ فرضي اهل البلاد بالامير يوسف
وباعوه الولاية سنة ١٧٧٠ وبلغوا الدولة ذلك فاعترفت به .



الامير يوسف (١٧٧٠—١٧٨٨)

جلس الامير يوسف ابن الامير ملحم على منصة الامارة
البنانية واستقل له الامر فيها « من ظاهر طرابلس الى
ظاهر صيدا. »^٢ وكان مدبره الشيخ سعد الحوري الذي
كان وصياً عليه وعلى اخوته . وقد حدث في عهده قلاقل
واضطرابات في ولايات سوريا على يد الشيخ ظاهر العمر
كان لها تأثير سيء في لبنان ٠٠

وانحس ما مني به لبنان في تلك الايام كان احمد الجزار
الذي أحسن الامير يوسف اليه فجحد الفضل وكفر بالنعمة .
فقد هرب الجزار من علي بك والي مصر واتى الى

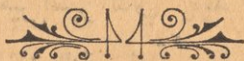
١ الشدياق ص ٣٨٦

٢ الشدياق ص ٣٨٧

امير لبنان يحمي به فقبله الامير واكمه وأبقاه عنده في
دير القمر اياماً ثم بعثه الى بيروت ورتب له نفقة من جمرها.
وكان الجزار يظهر للامير الامتان العميم ويعترف له بالفضل
الجزيل حتى وثق به الامير واختار ان يجعله مسلماً من
قبله في بيروت فلم يستحسن مدبره الشيخ سعد الخوري
ذلك الرأي لقلّة ثقته بالجزار ولخوفه من مكايده وكان
قد آانس منه المكر والخديعة فحذر الامير من عاقبة ترقية
الجزار فلم يشاطر الامير مدبره تلك المخاوف وعين
الجزار مسلماً على بيروت فلم تطل المدة حتى تم ما
تنبأ به الشيخ سعد وظهر من الجزار الخروج على الامير فوضع
يده على بيروت ومازال يدس الدسائس ويدبر المكائد حتى
توصل الى مقام الولاية ورتبة الباشوية وانقلب على ربه
نعمته الامير يوسف ايما انقلاب

ولم يخدم الحظ الامير يوسف على الجزار فرأى ان
يتنحى عن الامارة بعد ان حصل عليها منازعات بينه
ووين أخويه الامير سيد احمد والامير افندي وعملاً بتقاليد

البلاد فعل ما فعله عمه الأمير منصور من أخذ راي الامة
فيمن يخلفه على الامارة فجمع هو ايضاً اكابر البلاد
سنة ١٧٨٨ وذكر لهم متاعبه وقال لهم ان يختاروا لهم
حاكماً غيره من الامراء الشهابيين اللبنانيين فاختاروا الامير
بشير ابن الامير قاسم عمر وهو الملقب بالكبير ١٠٠



الفصل الثاني

الامير بشير الثاني الكبير (١٧٨٨—١٨٤٠) ١

حملة بونابرت على سوريا . جلاء الافرنسيين .

محمد علي والامير . الحملة المصرية على سوريا

ان تاريخ الامير بشير الثاني يُعيد الى الذهن ذكر
تاريخ الامير نحر الدين الثاني لما تم من وجوه الشبه بين
الحوادث التي جرت للاميرين الكبيرين . نحر الدين عزز
مقام الامارة اللبنانية في سوريا حتى هابت سطوته حكامها
وولاتها والامير بشير نال من الجاه والسطوة ما كاد يعيد
الى لبنان مقامه على عهد نحر الدين

١ هو الامير بشير بن قاسم بن عمر بن حيدر الشهابي ولد في غزير
سنة ١٧٦٧

وطد الامير المعني الكبير دعائم الاستقلال الداخلي في لبنان حتى كاد يستقل به تماماً ووسع حدوده توسيعاً جعل له ملكاً يمتد رواقه من القدس جنوباً الى حلب شمالاً . ولم يقصر الامير بشير عن سلفه فيما خص الاستقلال الداخلي ، كما انه لم يقعد عن الاهتمام بحدود لبنان فاعاد اليه بيروت والبقاع وضم بعلبك ووادي التيم^١ سعى فخر الدين الى قطع كل صلة كانت تربطه بتركيا فسافر الى ايطاليا لعقد محادثات فيها على الدولة ، وطمح الامير بشير الى الغاية نفسها فركب البحر الى القطر المصري حيث وجد في العزيز «محمد علي» مساعداً قوياً وحليفاً جسوراً . وقد سهل اتفاقهما سعي كل منهما الى الانعتاق التام من ربة الدولة العثمانية

وكان لبنان على عهد الاميرين يتمتع بالراحة التامة والامن الوافر حتى أصبح لبنان مضرب الامثال من هذا القبيل . وتوحيد الحكومة الذي تم على يد فخر الدين قد

وطد الامير بشير دعائه وعزز اركانه حتى لم يبق في البلاد
أمره لحاكم سواه

هذا والروح الوطنية المجردة قائمة في البلاد على اساس
« القومية اللبنانية » بصرف النظر عن الاديان والمذاهب
حتى ان اللبنانيين على اختلاف مذاهبهم حاربوا جميعهم
جنباً الى جنب على عهد الاميرين غير ناظرين الا الى
المصلحة القومية .

ولم يعرف لبنان احوال الحروب الداخلية والفتن الاهلية
حتى لعبت به ايدي الدسائس فبتوا في صدور اهليه روح
التعصب للدين والمذهب ، ومن ثم فقد لبنان عزه وقوته
ولولا ان تداركته العناية لضاع القليل مما أبقى عليه تلك
الحن الطائفة من الاستقلال الداخلي :

ان في تلك العبر التاريخية لأمثلة حية لعقلاء
اللبنانيين تهيب بهم الى الرجوع بالبلاد الى عهد الاجداد
نابذين الفوارق الدينية ، لتعود الى لبنان وحدة حكومته
قائمة على دعامة « القومية اللبنانية » لا على اساس العصبية

الطائفية^٦ وهي بدعة ضعفت قواعد الاستقلال في لبنان

*

حكم الأمير بشير الثاني في لبنان زهاء نصف قرن نال فيه من العز شأواً بعيداً. الا انه تخلل تلك المدة^٦ حتى سنة ١٨٢٣^٦ كثير من المنازعات المشؤومة بينه وبين ذويه من الامراء الشهابيين : الامير يوسف^٦ ثم الاميرين حيدر وقعدان^٦ ثم اولاد الامير يوسف وهم حسين وسعد الدين وسليم^٦ ثم الامير عباس اسعد^٦ ثم الامير سلمان سيد احمد^٦ ثم الاميرين حسن علي وسلمان سيد احمد^٦ فتداولوا الحكم في البلاد مدة حتى استقر^٦ أخيراً للامير بشير. وقد كان للسياسة التركية المعهودة ولدسائس عمالها يد^٦ كبيرة في ذلك^٢

١ حيدر بن ملحم بن حيدر . قعدان بن محمد بن ملحم بن حيدر . عباس بن اسعد بن يونس بن حيدر . سلمان بن سيد احمد بن ملحم بن حيدر . حسن بن علي بن حيدر .

٢ ان منازعات الامراء في ذلك العهد اشبه شيء بالحروب التي وقعت في كثير من البلدان بين الملك والمطالبين بالعرش من ذوي قرابه : فقد حصل مثل ذلك في أنكلترا في الجيل السابع عشر وفي اسبانيا سنة ١٨٧٥ . وكانت اشد

وقد بلغ من سطوة الامير في سوريا انه أصبح صاحب الكلمة النافذة بين ولايتها والمرجع الذي يرجعون اليه في ملهاتهم. وكان اذا حدثت مشاكل وثورات في البلاد وطلب منه تفريجها ومعهها أغنت هيته وسطوة جيشه اللبناني عن الحرب والقتال :

من ذلك ان الامير عبد الله بن مسعود الوهابي التميمي قدم سنة ١٨١٠ من الحجاز الى حوران غازياً فتصدى له يوسف باشا والي دمشق وكتب في الامر الى سليمان باشا والي عكا وقد استكبر الالان قوة الوهابي فاستنجد والي عكا بالامير

فلبى الاميرُ طلبه وقام من دير القمر بخمسة عشر الف من رجال البلاد ونزل الى جزين ومنها الى مرج عيون

القلقل من هذا القبيل في فرنسا بين المطالبين بالامبراطورية والمطالبين بالملكية مما حمل حكومة الجمهورية على سن شرعة النقي في ١١ حزيران سنة ١٨٨٦ وهي تتناول جميع الامراء المطالبين بالعرش سواء كانوا من الامبراطورين او من الملكين حتى ان الحكومة الافرنسية اضطرت في اوائل هذه الحرب الى منع الدوق دورليان المطالب بالملكية من التطوع في الجيش الافرنسي .

فلاقته عساكر الوالي الى خان المنى ضارين قدامه بالطبول
والزومور ومطلقين البارود حتى وصل الى جانب طبريا ونزل
في الخيام التي ضربت له وكانت نحو اربعمائة خيمة. واذ علم
الوهايون بذلك رجعوا عن تلك الديار خاسرين ' ..
وعلى اتر ذلك اسر سليمان باشا المذكور الى الامير انه اتاه
فرمان الولاية علي دمشق ويخاف ان واليها يوسف باشا
لا يسلمها طوعاً وهو كثير المال والرجال ، فان رضي
الامير ان ينجده علي والي دمشق سار اليها ، والا رد الفرمان
الى الدولة . فوعده الامير بالمساعدة وفعلاً ساروا الى دمشق
حتى اذا بلغوها حضر اليهما وفد من اعيانها ، فقال لهم
الامير : « خير لكم ان تسلموا لسليمان باشا ، والا فسأجلب
عليكم عساكر مثل قطع الغمام ولا احوول حتى اسلمه المدينة
ولو خراباً ، فان قبلتم نصيحتي فاطردوا يوسف باشا من عندهم
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » . ولما رأى الدماشقة توارد
عساكر لبنان اضطربوا وطلبوا المهلة ثلاثة ايام . وعلى اترها

أبي والي دمشق التسليم فخار بهُ الامير وسليمان باشا فكسراه
ودخل الامير وسليمان باشا دمشق ظافرين فالتقاهما الدماشقة
بالتعظيم والاجلال.^١

وسنة ١٨٣٠ طلب الوزير عبد الله باشا والي عكا
معونة الامير لفتح قلعة سانور تاديباً للنابلسين وكانوا قد
شقوا عصا الطاعة، وكان عبد الله باشا صديقاً للامير. فأحبَّ
الاميرُ ان يساعده فعياً جيشاً لبنانياً ونهض بهم من
الاولي الى عكا وأبقى ولده الامير امين في لبنان. فالتقاء الوزير
بالموسيقى والعساكر اجلالاً وتعظيماً ثم سار الامير بجيشه
وضرب الحصارَ على القلعة فوق العُرب في قلوب
النابلسين وبدأوا يسلمون له فئةً فئةً

اما الوزير فاشتدَّ ساعدهُ بالبنانيين فاستدعى مشايخ
نابلس الذين كانوا عنده في عكا وأخذ يتهددهم قائلاً لهم:
« اما تعاونون ان رجال الامير اللبنانيين مشهورون بالشجاعة
والبطش، واميهم هذا ماسار في مهمة الأيـده الله فيها

ونصره على الاعداء .. اما سمعتم في قرية عرطوز كيف
شنت عساكر يوسف باشا الكردي والي دمشق ، وكيف ظفر
بعساكر درويش باشا في ريشيا وهزمهم الى دمشق ، وكيف
ظفر في واقعة المزة ، وكيف شنت شمل عساكر المختارة . فلما
سمع المشايخ كلامه ارتعدوا وجعلوا يعتذرون اليه قائلين :
ان ما فعله اصحابنا في نابلس لم يكن بعلمنا اصلاً .. »

ثم عادوا الى المدينة وتخابروا بامر الصلح ولم يلبثوا
ان سلموا القلعة .. فكتب الوزير الى الامير امين يبشره بفتح
القلعة وهدمها « ويخبره ان ذلك من همة الامير بشير والده »
الى غير ذلك مما يطول شرحه ويثبت ما كان للبنان من
الاستقلال في سوريا ومن السطوة بين حكامها

ومما يروى عن ابياء الامير ونحوته انه اجتمع يوماً
بشريف باشا احد وزراء الدولة فسأله الباشا متهمكاً : من اين
إمارتك ؟ فاجابه الامير : إمارتي من سيفي هذا . فاغتاظ

شريف باشا ولم يجب^١

ولم يكتفِ الامير بما ناله من الاستقلال الداخلي بل
بات يعلل النفس بتحقيق الغاية الوطنية الكبرى من نزع
السيادة العثمانية عن البلاد. ولم تخفَ نوايا الامير ومطامحه
على من جعلت لهم الظروف علاقةً ببلنات^٢ منهم قائد
عصره ومعجزة زمانه بونابرت

صحة بونابرت على سوريا^٢

خرج ذلك القائد من احشاء الثورة الكبرى صغيراً ثم
طغى عليها تيارُ بطشه فأغرقها في بحر قوته ومجده وكاد
يتملك العالم لولا ان الطبيعة والكوائن غالبته فغلبته
سير على مصر حملته المشهورة فظفر بجيشها وممالكها
« فأطلت من الاهرام اربعون جيلاً تعجب به وبابطاله ». .
وبعد تدوين مصر زحف على سوريا فتساقطت امامه

١ الشدياق ص ٥٧٧

٢ Mémoires de Napoléon T. II p. 175 & s.

قلاعها الواحدة تلو الأخرى حتى وصل الى اسوار عكا
فعانده فيها القدر فلم يُتَح له ان يفتحها « فيغير وجه العالم »
لم يكن بونابرت يجمل ما كان بين فرنسا ولبنان من
الصلات وما في قلوب اللبنانيين من المنزلة والمحبة للفرنسيين^١
كما انه كان يعلم ما كان عليه لبنان من القوة والمنعة^٢
ولم يفت بونابرت من جهة اخرى، ان الامير بشير
وقومه كانوا يسعون الى توسيع حدودهم ويطمحون الى نزع
سيادة الدولة عنهم، وان بين الامير والجزار ضغائن لا ينساها
الامير خصوصاً بعد اغتصاب الجزائر مدينة بيروت غدرًا ولؤمًا.
فلما وصل بونابرت الى ابواب عكا بادر الى
مخاطبة الامير بشير كما تخبر البلاد المستقلة، فأنفذ اليه مع
« الكولونل سبستيانى »^٢ كتاباً ودياً بتاريخ ٢٠ مارس
سنة ١٧٩٩ يخبره فيه بقدمه ويبلغه اعتماده على مساعدته

١ ورد في تاريخ الدولة العثمانية للفيكونت دي لاجونكيار ج ١ ص ٣٢٣
ان لبنان كان بإمكانه يومئذ تجريد اربعين الف مقاتل
٢. مذكرات عن سوريا: لشاهد عيان ص ٩٤

واعداً اياه بانالته مبتغاه من توسيع حدود لبنان وردّ بيروت
اليه مع مدنٍ اخرى تلزم لتجارته . وختم بونابرت كتابه
بقوله : « واودّ انك في اسرع ما يمكن تأتي انت او
ترسل من قبلك من تعتمد عليه ليقابلني هنا امام عكا حتى
تتخذ الاحتياطات اللازمة للقضاء على العدو المشترك »^١
ولولم يسمع الامير الا داعي ميوله ولولم يُصغ الا
الى صوت قومه ونزعة عواطفهم لبادر الى معسكر بونابرت
وتألب اليه ابطالُ اللبنانيين نجدةً للجيش الافرنسي كما
فعل اجدادهم من قبلهم يوم هبطوا من جبالهم ينيفون
على ٢٥ الف مقاتل بامرة الامير سمعان نجدةً للملك
لويس التاسع واتوه في ذلك المكان نفسه تحت اسوار عكا.^٢
الا ان الامير رأى نفسه مضطراً الى عدم الاندفاع
والتسرع لعلمه ان قلعة عكا حصن منيع قد يتعذر على
القائد الفتى فتحةً رغم مقدرته وبسالة جيشه .

١ البارون دي تستا : مجموعة الماهدات الدولية ج ٢

٢ راجع ص ٦٠

ولعله أخذ على بونابرت انه لم يعده بالاستقلال التام فلم ير ان يقامر بمركزه ، وغاية ما قد يناله في حالة الانتصار على الدولة ، هو ان يبدل سيادتها بسيادة فرنسا عليه ، فيسد اذ ذلك في وجهه باب الامل بالوصول يوماً الى الاستقلال المطلق وفرنسا على ما هي عليه من القوة ، في حين ان باب الرجاء يظل مفتوحاً امامه على مصراعيه اذا بقي الامر بينه وبين تركيا وعلامات الهرم والانحلال باقية عليها لكل ذي بصيرة .

ورأى من جهة اخرى ان المراكب الانكليزية تملأ البحر وهي تمد القلعة بالميرة والذخيرة وتضرب بمدافعها الجيش الافرنسي المرابط امام عكا ، وأن للاميرال الانكليزي سميت سلطاناً على البحر لا ينازعه فيه منازع

فأيقن الامير والحالة هذه انه لو أنجد بونابرت ولم يبسم له النصر فالجيش الافرنسي يعود من حيث أتى وتدور الدائرة على لبنان واستقلاله . وهذا ما حصل فعلاً للامير بشير نفسه بعد اربعين سنة من ذلك التاريخ حين خاطر بقوته وبامارته

متحدداً مع محمد علي وفرنسا على الدولة. فقد أرغم يومئذٍ
محمد علي على ترك سوريا فتركها، وأوهمل الأمير كما أهملته
فرنسا، فكانت النتيجة ان فرنسا لم تُتل بضر ولم تُصب
بمكروه، وظلّ لمحمد علي سرير مصر، إلا ان الدائرة دارت
على الأمير بشير وحده نفلح عن الامارة وانهار بعده صرح
الاستقلال في لبنان

وقد ادرك بونابرت حرج موقف الأمير فاكتفى منه
بملازمة الحياد وبعدم الميل عليه مع الجزائر، واثباتاً لعذره
له في حياته اهدى اليه بندقية ثمينة عربون المودة والصداقة
وكان الجزائر في الوقت نفسه يرسل الأمير ويستحثه
على النهوض بجيشه لانجاده، محاولاً اقناعه تارة بالوعد وطوراً
بالوعيد، فلم يغتر الأمير بوعدده ولم يعبا بوعيده، فأبى مساعدته
باي نوع كان. فوجد عليه الجزائر طول حياته، فلتقي
لبنان من جراء ذلك ويلات ومحناً شديدة لا محل
لذكرها

وقد ظلّ الأمير يرقب مجرى الامور عاطفاً كل العطف

على جيش بونابرت وباذلاً له ما استطاع من المساعدات.
ومما يؤثر عن اللبنانيين في هذا الصدد ان قافلة كانت
سائرة على طريق عكا تحمل من بكفيا خمراً الى الجيش
الافرنسي فقطعت رجالُ الجزار عليها الطريق وبلغ الخبر
اللبنانيين فهبطوا الى السهل مبادرين ونكوا برجال الجزار
وحرقوا قراهم^١

بعد جهلاء الفرنسيين عمه سوريا

كانت الثورة الافرنسية قد نشرت مبادئها الحرة في
العالم فزعزعت العروش وهاجت في الامم عاطفة الاستقلال
واوجدت نزوعاً الى تفكيك قيود الظلم وتكسير اغلال
العبودية . وقد ساعد على نشر تلك المبادي في تركيا ضعف
الدولة وانحطاط قوتها ، فأخذ عقدُ ذلك الملك الشاسع
ينفرط حبة حبة : فانتزع محمد علي مصر من يد السلطان

سليم الثالث (١٨٠٥) وثار الوهايون في العربية ثورتهم
المشهوره سنة ١٨١٣^٦ وكانت نيران الثورة تشتعل في صربيا^٦
بينما دعاة الاستقلال في بلاد اليونان امثال « ايسيلتي »
و « كاناريس » و « كوندوريوتيس » يستنفرون قومهم على
غزاتهم الاتراك سعياً الى الانعتاق من ربة الفاتحين^١.

تلك كانت احوال الشعوب في تركيا من توتر في
الأعصاب وغيلان في الصدور في الوقت الذي تلا جلاء
الحملة الافرنسية عن عكا وسوريا

وكان الامير بشير في تلك الاثناء^٦ يواصل مساعيه
الوطنية رغم مناوءات الجزار له. وقد آتته الظروف فتمكن
بدهائه وحسن سياسته من حمل الدولة على الاعتراف له
بسلطانٍ يمتد رواقه على جبل لبنان ووادي التيم وبلاد
بعلبك وبلاد البقاع وبلاد المتاوله^٠ وقد نال من وزير
الدولة يوسف ضياء باشا وعداً صريحاً بان تلك البلاد تبقى
دائماً ضمن امارته ولا يكون للوزراء تسلط عليه^٠

وقد قضى الامير كل مدة حكمه وهو لا يعرف للتعصب
الديني معنى فكان مدبروه واعوانه واخصاؤه وحاشيته من
كل الطوائف على السواء تكفيه منهم الكفاءة واللياقة . كما
كان الامرُ على عهد نحر الدين الكبير .

ومما يذكر له في هذه الصدقات دروز الجبل الأعلى
قرب حلب استعاثوا به سنة ١٨١١ فاحضر منهم عائلات
كثيرة الى لبنان وأسكنهم فيه وأغدق عليهم . وفي ذلك
يقول سيادة الدبس : « سنة ١٨١١ أرسل دروز الجبل الأعلى
يستجدون الامير بشير على اعدائهم فارسل اليهم فارس
الشدياق بجماعة ، وارسل الشيخ بشير جنلاط رجلاً من
الدروز اسمه حسون بدر ، فحضر معهم الى لبنان اربعمائة
عائلة من الدروز وانعم الامير عليهم بمئة الف قرش واسكنهم
بين الدروز في لبنان »

وكان له ميلٌ الى الادب وعطفٌ خاص على
الادباء فجعل في خدمته المعلم بطرس كرامه الذي يصح

ان يدعى « شاعر الامير »

ومن مآثره انه بنى جسر نهر الكلب وكان قد تهدم
وبنى جسراً على نهر الصفا وجسراً على نهر الدامور.

ومما خلد ذكره سراي بيت الدين وماؤها: فقد شيد
السراي ايةً في الفخامة والاتقان ، فعدت على حقٍ معجزةً
ذلك الزمان . وقد أفاض في وصفها المسيودي لامرتين في
رحلته الى الشرق والكولونل تشرشل في كتابه عن
جبل لبنان .^١

وقد شهرت السراي باسم الامير كما عرفت فرسايل
باسم لويس الرابع عشر . وقد كانت السراي بما فيها من
خيرٍ وسعةٍ ضيافةٍ وبمن فيها من جنديٍ واعوانٍ وكتبةٍ وخدم
وعبيدٍ ، تحاكي قصور الملوك ابهةً وجلالاً ، حتى اذا تمثلتها
وقد جلس الامير في قاعتها تحفّ به اعيان البلاد وشاعره
ينشد بين يديه القصائد ، لدى كل مأثرة او موقعة ، مرّ في

١ لامرتين : رحلته الى الشرق ج ١ ص ١٨٧

تشرشل : ج ٣ ص ٢٦٣

خاطرك ذكر عهد الخلفاء العباسيين في بغداد .

ولم يكن في بيت الدين ماءً كافٍ ، فلم يصعب على
همة الامير ان يجلبه من مسافة شاسعة بعد عناء دام ثلاث
سنوات ، لبعده المسافة ووعورة المسالك ووقوف الشغل في فصل
الشتاء ، فعد عمله في ذلك العهد « فتحة عظيمة » . وفي ذلك
يقول صاحب الغرر : « انه كان في دار الامير من الاعوان
المقيمين ببابه نحو ٣٠٠٠ رجل ، عدا الخيل والبغال ونظائرهما .
فلم يكن الماء يكفي هؤلاء الشارين فضلا عن غيرهم من
زائر وطارق وذوي حاجة . فكلف الامير رجلاً اسمه خليل
عطيه ان ينظر اذا كان جرّ المياه ممكناً . فوجد خليل عطيه
الماء على مسافة ثلاث ساعات ، في عين زحلتا من ينبوع يقال
له ينبوع القاع بجانب نهر الصفا ، فعرض للأمر فأمر الامير
بجرّ المياه وبوشر العمل حالاً . وكان جميع اهالي البلاد
تخصر كل سنة يومين تعمل في هذه القناة بغير اجرة اكراماً
للامير . وظل الشغل فيها ٢٢ شهراً تماماً حتى وصلت المياه
الى السراي . وكان ذلك فتوحاً عظيماً لم يقدر عليه احد من

أسلافه لبعده المسافة وعسر المكان . وقد انفق على ذلك ما ينيف على المائتي الف درهم . »

وقد اثار نجاح الامير وعلو مكاتته حقد ولاية سوريا وحسد هم ، فباتوا يناوئونه ويقتمون كل فرصة لاثارة الفتن في لبنان وتأييد الاحزاب وبذر بذور التفريق والشقاق ، فنجحوا في مهمتهم فكان ما كان من المنازعات والقتال والقتال بين الامير بشير وذويه من الامراء المطالبين بالحكم ، وبينه وبين الشيخ بشير جنبلاط ، مما أدى الى مظالم واضطهادات لا تخلو منها امثال هذه الحوادث ، فكان ذلك سبباً في تأخر البلاد واضعافها ، وهو غاية ما كانت تسعى اليه تركيا وولاتها في سوريا

ولم يكتفوا بايجاد القلاقل في لبنان بل اخذوا يسعون بالامير بشير الى الدولة متخذين ما بلغه من الجاه وبسطة الملك سبباً في اثاره هواجسها حتى تمكنوا من بلوغ غايتهم فأضمرت الدولة الشر للامير كما كانت أضمرته

لفخر الدين من قبله يوم شعرت بازدياد قوته وتعاضم شأنه .
فلم يخف على الامير انقلاب الدولة عليه ورغبتها في الايقاع به
فراى من الحكمة ان يسعى كما سعى فخر الدين قبله الى
ايجاد حليف يعضده فلم يلتق اقرب اليه من محمد علي عزيز
مصر . فسافر الامير الى القطر المصري سنة ١٨٢٢ ومعه
ولداه الاميران خليل وامين و٩٤ رجلاً من خواصه وحاشيته

محمد علي والامير

رجلان ملاً اسمهما في مصر وسوريا تاريخ النصف
الاول من القرن التاسع عشر : ذلك الباني الاصل عصامي
طمح الى المجد فانتزع مصر من يد صاحبها وأقام فيها سريراً
ملكه على أنقاض عرش سلطانها . ساعدته « القوة » فاعترف
له بالملك وبحق الارث لابنائته .

وهذا لبناني كريم وامير جليل يرجع مجد أحسابه الى
قبل الاسلام . لم يوجد الامارة اللبنانية من العدم ولم ينتزعها
من يد أحد ، بل تابع بجلوسه على منصبها سلسلة امراء

كرام و طردوا دعائمها و وحدوا حكومتها . الا ان « القوة » لم
تساعد الامير كما ساعدت « محمد علي » فكان ذلك سبباً
كافياً لخلعه و امتهانه ، لم تشفع به امارته و حسبته و جلال
شيخوخته و مقام بلاده .

ولعلّ في المبادي الشريفة التي أنتجتها هذه الحرب
ضماناً لسيادة الحق ، لانه حق ، بصرف النظر عما يكون
في خدمته من قوة تؤيده . . . اذ ذاك يُطلق لبنان من قيوده
و يُعترف للبنانيين بكيانهم و حقوقهم

كانت شهرة الامير قد سبقته الى بلاد العزيز فلما بلغ
القطر المصري أحسن محمد علي استقباله و أكرم وفادته و قال
له : « انه لم يدخل على مصر اعزّ منك » ' و قد وضع في
خدمته ما شاء له الكرم من المال و الرجال و الخيل و الجياد
اجلالاً لمقام ضيفه الكريم

و قد كان لمحمد علي مطامع بسوريا و رغبة بضمها الى
مصر فكان يهيمه كثيراً ان يحالف رجلاً في سوريا له ما

للامير من القوة والسطوة

وقد كان لهما محادثات طويلة في هذا الشأن أدت
بهما الى الاتفاق على ان ينجد الامير الجيش المصري في
حملته ، ويُقرَّ محمد علي الامير على امارته في لبنان
وقد ذكر صاحب الفرر شيئاً من ذلك قال :

« بعد بضعة ايام حضر العزيز من شبرا الى القلعة
فاستدعى اليه جميع العلماء وقواد الجند وأمر باحضار الامير
فحضر واستقبله العزيز بكل ترحاب وأمر له بالجلوس وشرب
القهوة واخذ يلاطفه بالحديث ، ثم صرف الحاضرين وأمر ببقاء
الامير وأسرَّ اليه جميع ما يرغبه منه من الخدمة في جبل
لبنان عند الحاجة لانه كان عازماً على تملك بلاد الشام
بالسيف . »^١

وكان لا بد للعزيز قبل اتمام عزمه من اصلاح ذات
البين بين الدولة والامير من جهة ، وبينها وبين عبدالله باشا
والي عكا صديق الامير من جهة اخرى ، حتى اذا تم ذلك

عاد الامير الى لبنان لا ينازعه في الامارة منازع . فاهتم
محمد علي بالامر لدى الباب العالي حتى تم له ما أراد
فلما بلغ الخبر الامير استأذن بالسفر فاجابه العزيز اني
اريد بقاءك مدة عندي لانك بمنزلة ابني ابراهيم وكل ما
فعلته نحو عبد الله باشا من الجميل فهو لاجل خاطرک . فشكر
له الامير تلافيه وودعه وسافر بالغز والاقبال ، وقد مرّ في
طريقه على عكا ، فاستقبله عبد الله باشا كما تستقبل الملوك
فخرج الى لقائه باكابر دولته والمدينة برهج عظيم واطلقت
له المدافع . «

وبعد بضعة ايام قضاها الامير في ضيافة عبد الله باشا
عاد الى لبنان واستلم الحكم فيه على اشد ما كان عليه من
الغز والسطوة .

الحملة المصرية على سوريا

سنة ١٨٣١ اغتتم محمد علي اول فرصة عرضت له^٦

فقتسبت بها لإتمام نواياه فجهز جيشاً ضخماً وأرسله لفتح سوريا
بأمرة ولده إبراهيم باشا

وبناءً على الاتفاق الذي عُقد بين محمد علي والامير
أنجد الامير الجيش المصري برجاله فحارب اللبنانيون
عساكر الدولة حرب الأبطال وقد كان لهم يدٌ جلي في كثير
من انتصارات إبراهيم باشا كما شهد بذلك قنصل الروسية
فيما بعد .^١

وقد ظلّ الامير في ذلك العهد كما كان قبله عزيز
السلطان واسع السطوة كما يتبين ذلك مما كتبه عنه المسيو
دي لامرتين في كتاب رحلته الى الشرق^٢

١ انظر كلامه فيما يلي ص ١٨١

٢ زار لامرتين الامير في سراياه سنة ١٨٣٢ وقص ذلك في كتاب
رحلته المذكور حيث جاء ما ترجمة بعضه ملخصاً :

قصدنا دير القمر (بيت الدين) حيث سراي الامير بشير حاكم جبل لبنان
بعد ان اتهمنا من الغداء ارسل الامير الينا يقول انه بانتظارنا. فدخلنا باحة
فسيحة تزينها فسقيات وسرنا في رواق قامت على جانبه اعمدة عالية مزكزة
الى الارض تحمل سقف السراي .

وكان يملا نصف القاعة كتبة يلبسون « الغنايز » انطوية وفي زنار كل
منهم دواة مذهبة يشكونها فيه مثل الخنجر وبعض من ابناء البلاد لابسون

ولم يقتصر حكم الامير في عهد المصريين على لبنان
والبقاع بل تعداه الى ايالة صيدا^٦ فقد جاء في الفرر الحسان
ص ١٠٢٢ عن حوادث سنة ١٨٣١ ما حكايته: « وفي اثناء
ذلك كتب العزيز الى ولده ابراهيم باشا ان يفوض الى
الامير معاونة احكام ايالة صيدا وان يكون تعيين جمع
المسلمين واصحاب المقاطعات. »

الآن ابراهيم باشا^٦ بعد ان استتب له الامر في
سوريا^٦ لم يحسن معاملة اللبنانيين كما كانوا يأملون^٦ ولعله
خفي عليه صحة موقفهم من انهم شعب^٦ حي ما حاربوا معه
جيوش الدولة على سبيل الطاعة لعمية^٦ للامير بشير^٦ بل
سعيًا الى غاية^٦ وضعوها نصب اعينهم^٦ ألا وهي نيل
الحرية المطلقة

نياباً فاخرة وحاملين اسلحة صقيلة^٦ وكان نفر من العبيد يرقبون اوامر سيدهم
وهنا وهناك بعض من الضباط المصريين . وكان النصف الثاني من القاعة أعلى
قليلا من القسم الاول وعلى دائره ديوان من الخمل الاحمر الفاخر^٦ وكان الامير
متربعا في زاوية الديوان

وهو شيخ جميل الطلعة ذو عين براءة^٦ تلوح عليه سماء الراحة والنشاط^٦
ذو لحية وخطها الشيب مسترسلة على صدره^٦ وكان مرتدياً « غنبازا » ايض

ولما رأى اللبنانيون ان آمالهم بالدولة المصرية لم تتحقق ،
وانهم ما خرجوا من سيادة الاتراك الا ليقعوا تحت سيادة
اخرى ، هاجت في صدورهم حمية الآباء والجدود فهبوا غاضبين
لحريتهم ، ثأرين لشهداءهم الذين قتلوا عبثاً في نجدتهم لعاكر
المصريين

ومما زاد في نفورهم ان ابراهيم باشا اراد ان ينزع
السلاح منهم ، وهو امر مخالف لتقاليد البلاد وعادات

يشده زوار من الكشمير وهو يحمل فيه خنجراً كبيراً ظهر مقبضه بين ثنايا
الغباز ، يزينه قبضة مرصعة بالحجارة الكريمة وهي بحجم البرتقالة
فابتدرناه السلام على الطريقة المتبعة في البلاد بأن رفعنا يدا الى جبهتنا ثم
وضعناها على جهة القلب . فرد علينا السلام بأدب وابتسامة و اشار علينا ان
نقترب ونجلس بجانبه على الديوان . وكان ثمة مترجم رآكع بيننا وبينه .
فابتدأت الحديث مظهراً ارتياحي الى زيارة تلك البلاد التي كان يحكمها بحزم
وكفاءة عظيمين . ومما قلته له ان وجودي هنالك هو أبلغ مدح لحسن
ادارته ، فان ما يجده المسافر من أمن في الطريق وغنى في الزراعة ونظام وسلام
في المدن ، لا أكبر وشاهد على قدرة الامير وحكته ، فشكرني واخذ يطرح علي
اسئلة شتى فيما يخص احوال اوربا ، خصوصاً ما كان له علاقة منها بسياسة اوربا
في حرب الدولة ومصر ، مما أثبت لي اهتمام الامير الزائد بتلك المسئلة ودلني
على معارفه وفهمه للامور ، مما قد لا نجد مثله بين امراء الشرق .
ثم قدموا لنا القهوة والغليون مراراً وطال بنا الحديث ساعة من الزمن ،
ولقد راعني ما وجدته في ذلك الشيخ من الحكمة والفهم والهيبة والجلال .

اهلها، فأبوا الامتثال للأمر، فتمكن ابراهيم باشا من
نزع سلاح السوريين « لكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين »^١
فكان ذلك من العوامل التي وسعت شقة الخلاف بين
المصريين واللبنانيين

وفي تلك الاثناء كان المستر « ريشارد وود » مندوب
الحكومة الانكليزية في سوريا. فشعر بغليان الافكار وعرف
ما يريد اللبنانيون فوعدهم باسم حكومته ان اوربا تعترف
لهم رسمياً بامتيازات لبنان وتقرهم عليها كلها اذا هم ساعدوا
على طرد المصريين. وقد ذكر ذلك الفيكونت دي لاجونكيار
في تاريخه عن الدولة العثمانية وأثبتته مطولاً المسيو
« دي ملفيل » في خطابه في مجلس النواب في جلسة
١٥ حزيران سنة ١٨٤٦. ^٢ وقرّبه المستر « وود » نفسه في
كتاب أرسله الى نجيب باشا في ٣٠ تشرين الاول

١ جرجي زيدان: تاريخ مصر الحديث ج ٢ ص ٢٤٣

٢ دي لاجونكيار: تاريخ الدولة العثمانية ج ١ ص ٤٣١

مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان. تعريب

فيليب وفريد الحازن ج ١ عد ١٢٩

سنة ١٨٤١ حيث جاء « انه وعدم بدوام تمتعهم التام بحريتهم الشخصية وبحقوقهم وامتيازاتهم القديمة مكافأة لهم على خدماتهم العسكرية »^١

فلم يحجم اللبنانيون والحالة هذه عن القبول بمساعدة تركيا فاجتمع الدروز والنصارى واضرخوا نار الثورة في البلاد واقسموا انهم يحاربون المصريين كما حاربوا الاتراك في سبيل حرية بلادهم وكيان أمتهم . وقد اعلنوا انهم يقومون كما قام رجال الثورة الافرنسية الكبرى ، ولا يرجعون حتى ينالوا ما ناله اليونان حديثاً من تكسير القيود وبلوغ الاستقلال.^٢

واليك شيئاً من المستندات الرسمية التي تثبت ما تقدم :

في ٨ حزيران سنة ١٨٤٠ اجتمع اللبنانيون من دروز ونصارى في انطلياس ووقعوا اتفاقية جاء فيها : « انه في يوم تاريخه قد حضرنا الى ماري الياس انطلياس نحن المذكورة اسمائنا به بوجه العموم من دروز ونصارى ومتاولة واسلام

١ مجموعة المحررات ج ١ ص ٧٢

٢ راجع ص ٨١

المعروفين بجبل لبنان من كافة القرى ، وقسمنا يمين على مذب
القديس المرقوم باننا لا نخون ولا نطابق بضرّ احد منا
كائناً من يكون . القول واحد والرأي واحد ونحن جمهور
الدروز اذا حدث منا ادنى خلل نكون بارين من دياتنا
ومقطوعين من شركة الدروز والحظوظ الخمسة وتكون نساؤنا
طالقات من السبعة مذاهب ومحرمّة علينا من كافة الوجوه .
وايضاً يشهد علينا ماري الياس ويكون خصمنا . وقد أمّنا
علينا شيخاً جناب الشيخ فرنسيس ابن جناب الشيخ حنا هيكل
الخازن من غوسطا . ونحن جمهور النصارى الذي يخون
منا يكون ماري الياس خصمه ولا يكون له موة على
دين المسيح . . . »

وفي اليوم عينه نشر « الثوار » اللبنانيون على اخوانهم
نشرة سردوا فيها دواعي نهضتهم وثورتهم على الحكومة المصرية
واستفروهم الى القتال في سبيل استعادة حريتهم واستقلالهم .
ومما جاء فيها قولهم : « ان سكان لبنان رغم ما هم فيه من الالفّة
وروح الاستقلال احتملوا بصبرٍ مظالم السلطة الجائرة مراعاةً

لخاطر الامير بشير الشهابي على امل ان يضمن لهم صبرهم
هذا حفظاً شرفهم وحريتهم وكيانهم ...

«فلترقد بسلام رفات اخواننا الذين ماتوا في سبيل الحرية
فانهم ضاهوا بشجاعتهم الفرنسيين الذين عندما هددوا
بالاستئصال اذا لم يستسلموا فضلوا الموت نخاضوا غمار الوغى
وقتلوا ١٥٠ الف رجل ... وبما ان الموت ينزل بالذين
ينتظرونه جيناً في بيوتهم كما ينزل بالذين يقومون لرفع نير
الظلم عنهم، فلا تترددوا بل فلتتحد اتحاداً وثيقاً ولننهض بغير
خوف فان الاستبداد الذي يهددنا هو على وشك ان
يهدم وطننا .. ولكن على يقين تام ان الندامة المتأخرة لا
تتقدنا اذا لا سمح الله افترقنا او ترددنا لحظة طرف عن
توحيد قوانا لاستعادة حريتنا، ولكي نسلك بحزم وفقاً لما
تقتضيه ظروف كهذه مطبقين عملنا على الحكمة والرزانة
الجديرتين بشعب حر مثلنا، يجب ان نعقد اجتماعاً من الرجال
المعروفين بعلو المنزلة وسمو المدارك، ويكون قوام هذه
الجمعية خمسة رؤساء يُنتخبون باكثرية الاصوات في كل

اقتطاعة فيعقدون كلهم او بعضهم مجلساً في مكان مناسب
للاتفاق على وضع ادارة منظمة وُينتقى عشرة الآف من
رجالنا البواسل لمقاومة كل الدسائس والحركات العدائية
المسددة نحو حريتنا ولتخصص الضرائب - التي كان في نية
الحكومة استيفاؤها من الذين كانت تريد تجنيدهم لولم نهض
عليها - لشراء المؤن اللازمة للعشرة الآف مقاتل الذين
سيقتدون ببسالة المكابيين وقد كان كل فرد منهم يحارب
عشرة . فمن كان الحق بجانبه لا يُقهر . ويقتضي ان تكون
روابط اعضاء هذا المجلس مع بعضهم متواصلة ليتسنى لنا
اتخاذ التدابير العاجلة لحماية مواطنينا المحدق بهم الخطر وانقاذاً
لانفسنا من العبودية والظلم وقد سبق لليونان ان كانوا
احسن قدوة لنا فخلصوا على حريتهم وكان الله معينهم .
وان اهالي دير القمر هم في مقدمة من تسلم للدفاع عن دعوانا
المقدسة والعادلة ، فليسمع نداؤهم الوطني في كل الانحاء . .
اما نحن فان عزيمتنا وطيدة لا تنزعزع : فقد أقسمنا على

استعادة استقلالنا او نموت في هذا السبيل ٠٠٠»^١
وقد راعت تلك الحركة الوطنية فواصل الدول فلم
يتمالكوا من الاعجاب بنهضة اللبنانيين وبنبالة اخلاقهم
وشهامتهم في الحرب :

قال المسيو باذيلي قنصل الروسية في بيروت في تقرير له
الى المسيو بوتينيف مندوب الروسية في الاستانة بتاريخ ١١
حزيران سنة ١٨٤٠ : « ان هذه الثورة لخطيرة لان
اللبنانيين قد تجنبوا الاستسلام للسلب^٦ اقتصاراً منهم على
مناهضة الحكومة دون ان يلحقوا اقل ضرر بالسكان . ولقد
رفع الثوار منذ ايام نشرة الى فواصل الدول مجاهرين باحترامهم
الاوربيين واعدين باجازه مرور المؤن اذا كانت مرفقة
بتذكرة من القنصلية ٠٠ »

« وقد اعاد الثوار لقنصلية انكلترا اكياس المال المرسله
من دمشق وقد كانت نهبت غلطاً مع اكياس الحكومة .
ورأيت اثناء تجولي في ضواحي المدينة عدة مئات من هؤلاء

الثوار تعلق وجوههم سياء العزم والسكون في حين كانت مدافع
المدينة تطلق قنابلها على رفاقهم المحتشدين في اماكن اخرى. ^١
وقد شهد القنصل المذكور ان الفضل باخضاع سوريا
سنة ١٨٣٢ كان مرجعه الى اللبنانيين وان خروجهم على
ابراهيم باشا سيؤول الى طرد المصريين من كل انحاء سوريا،
قال حضرته:

«وكما ان انضمام اللبنانيين الى جيش ابراهيم باشا في
سنة ١٨٣٢ قد جر معه خضوع كل سوريا فلا يبعد ان
ثورتهم اليوم ستؤول الى طرد المصريين نهائياً من هذه
البلاد...» ^٢

ولم يخف على محمد علي مافي تلك الثورة من الخطورة
وما يترتب عليها من العواقب الوخيمة على جيشه في سوريا،
فتملكه من جرائها غضب لا مزيد عليه حتى زين له اليأس
ان يحاول ابادة الثائرين على بكرة ايهم قبل مغادرة البلاد

١ مجموعة المحررات ج ١ عدد ٤

٢ مجموعة المحررات ج ١ عدد ٤ ص ٧

انتقاماً منهم . فلم فصل النمسا بنواياه فأقنعه بان لا يقدم
على شيء منها فيفقد عطف اوربا عليه .

وقد تبسط في سرد تلك الحوادث كتبة ذلك العهد
منهم المسيو هنري هان في رسائله الى جريدة اجسبورج
سنة ١٨٤٠^١

وقد تم ما تنبأ به المسيو بازيلى وتوقعه محمد علي ، فغلب
ابراهيم باشا واكره ، على امر تلك الثورة وبعد نكبات متوالية
نكبت بها جيوشه ، على التخلي عن سوريا كلها

اما الامير بشير فبات امام تلك الحوادث في مركز
دقيق حرج لهوده مع محمد علي من جهة ولاعتقاده من جهة
اخرى ان فرنسا لا تتخلي عنهما ولا تسمح بضياع استقلال
لبنان بعد ان جرى ماجرى بمعرفتها وموافقها . لذلك لم يصغ
الى ما عرض عليه من المواعيد الطيبة له وللبلاد فراح
ضحية وفائه واعتماده على حلفائه .

ويان ذلك انه في ١٤ اغسطس سنة ١٨٤٠ رست

العمارة الانكليزية النمساوية العثمانية في بيروت بامرة
الكومدور السر شارل نايبير لتأييد الجيش العثماني على
ابراهيم باشا وحليفه الامير بشير. وثاني يوم وصول العمارة
ارسل السر ريشار وود كتاباً سرياً الى الامير بشير يعده
فيه بالمحافظة على استقلاله اذا هو تخلى عن محمد علي.^١
وفي تلك الأثناء كتب ايضاً السر عسكري العثماني
سليم باشا الى الامير بشير يخاطبه بالتسليم وارسل له فرماناً
مع مندوب يقول له: « ان سلمت للدولة قبل مرور ثمانية
ايام تبقى والياً كما كنت بل تكون الولاية لك ولذريتك
من بعدك. »^٢ فلم تسمح للامير نخوته اللبنانية بالتخلي
عن حليفه ساعة الشدة، لاسيا وفرنسا تؤيده، وعهد فرنسا
مقدس في لبنان. ففضل الامير ان يحفظ عهده حتى
التضحية وهكذا كان فقد اضطرت فرنسا يومئذ لاسباب
لا محل لذكرها، الى التخلي عن محمد علي وأسقط الملك

« لويس فيليب » حكومة المسيو تيارس الذي كان يريد ان يؤيد بالقوة محمد علي وحليفه الامير بشير ، فخلفته حكومة على رأسها المارشال «سولت» ووزير خارجيتها المسيو «جيزو» وهما من طالبي السلم ومريديه على أي حال .
وبعد مخبرات ومراسلات طويلة تم الاتفاق بين الدول على حفظ مركز محمد علي في مصر . . ولم تدُر الدائرة الا على لبنان وعلى اميره الشيخ رغم كل تلك الضحايا التي تحملها اللبنانيون سواء في مساعدة المصريين على فتح سوريا او مساعدة الدولة على طرد المصريين . . واضطر الامير الكبير الى التخلي عن الامارة



١ على اثر ذلك نزل الامير بشير الى بيروت فخيره عزت باشا السر عسكر ان يختار داراً لاقامته ، فيما عدا بلاد فرنسا وسوريا ومصر ، فاختار جزيرة مالطه وسافر اليها
وفي سنة ١٨٤١ أرسل السلطان عبد المجيد فرماناً الى الامير بشير وخيره في الاقامة في مملكته ما عدا سوريا فقام الامير في اواخر ايلول من تلك السنة وسافر بمن معه الى اسلامبول حيث توفي سنة ١٨٥٠ وعمره ٨٤ سنة .

الفصل الثالث

الامير بشير الثالث (١٨٤٠—١٨٤٢)

الحركة الاولى سنة ١٨٤١ . مصطفى باشا نوري في لبنان .

على أثر تلك الحوادث وما حصل في لبنان من اضطرابات
وحروب أدت الى إضعافه ، ظنت الدولة ان الوقت مناسب
لإلغاء امتيازات لبنان ، فبدلاً من ان تفي بوعدھا وتقرّر
اللبنانيين على استقلالهم عزمت على إلحاق لبنان بالولايات
واقامة والٍ تركي عليه

فلما شعر اللبنانيون بمقاصد الدولة نسوا ما بينهم من

وكان للامير هيبه نادرة بقيت في البلاد مضرب مثل ، يدلك عليها الحادث
الآتي :

في اليوم الثالث من قدوم الامير الى الاستانة ، أرسل رؤوف باشا الصدر
الاعظم بدعوه الى الباب العالي وارسل له خيولا مزينة لركوبه مع اولاده .

الاختلافات واتحدوا جميعاً على الذود عن حقوق بلادهم
وقد بلغ منهم الهياج مبلغاً حمل مندوبي الدول على
تقديم النصح لتركيا بالعدول عن فكرتها، خصوصاً مندوب
الحكومة الانكليزية السر ريشارد وود . فاضطرت الدولة الى
اتباع النصح وابقاء الامارة اللبنانية على ما كانت عليه من
الاستقلال وعليها امير شهابي . فاتفقت مع الدول على تعيين
الامير بشير قاسم ملحم الشهابي^١ خلفاً للامير بشير الكبير
وأصدرت له فرماناً تاريخه ٣ ايلول سنة ١٨٤٠^٢
غير ان رضى الدولة بالمحافظة على امتيازات لبنان
وبابقاء الامارة للشهابيين لم يكن عن طيبة خاطر، فباتت

وسأل ارباب الديوان الصدر : هل تقوم للامير في السلام، فأجابهم لا
تقوم له . فلما دخل الامير نهض الصدر الاعظم اجلالاً ونهض الجميع، فحياه
الصدر وأجلسه مجلس العظماء فتمنيه الجميع متمجين مما كان . ثم استأذن
الامير وانصرف ، فقال بعض كبراء الديوان للصدر الاعظم : لماذا نهضتم للامير
بعد أمركم بعدم القيام، فاجاب الصدر : ان في هذا الرجل قوة انهضتني ضد
ارادتي فاني لم أر في حياتي هيبة في رجل مثل هذا فان كل ما قيل عنه في ذلك
صدق . (الشدياق ص ٦١١ و ٦٢١ والفرر الحسان ص ١٠٥١)

١ هو الامير بشير بن قاسم بن ملحم بن حيدر

٢ مجموعة المحررات ج ١ عد ١٥

تتحين الفرص وتجرب كل الوسائل للقضاء عليها فملاّت اعمالها
هذه كلّ تاريخ لبنان منذ سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦٠
فكانت من ثمّ فتنة سنة ١٨٤١ ومحاولة تركيا على
أرهاب تعيين علي باشا حاكماً على لبنان ، ثم بعثة السر عسكر
مصطفى نوري باشا الى لبنان واحتياله على خلع الامير
بشير الثالث وتعيين عمر باشا النمساوي مما أدى الى ثورة
البلاد واحتجاج الدول .

ثم بدعة القائميتين ، ثم فتنة سنة ١٨٤٥ وبعثة شكيب
افندي ، ثم الحوادث المشؤومة المعروفة « بحركة سنة الستين »

*

الحركة الاولى (سنة ١٨٤١)

رأت الدولة انه ما دام اللبنانيون متحدين رغم اختلاف
طوائفهم فلا سبيل الى إلحاقهم بالولايات فعمدت الى اثاره
عواطف التعصب بين الدرروز والنصارى وما زالت بهم حتى
وقعت حوادث سنة ١٨٤١ وهي اول مرة عرف فيها
اللبنانيون المنازعات الدينية والحروب الطائفية بعد ان عاش

الدروز والنصارى في لبنان اخوان صفاء اجيالاً طوالاً ،
وقد أثبتت المكاتبات الرسمية مسؤولية تركيا في حوادث
لبنان ، وفي ايراد شيء منها كفاية

من ذلك مذكرة المستر وود الى نجيب باشا في
٣٠ ت ١ سنة ١٨٤١ حيث جاء : « من المحقق ان
السوريين عامةً اصبحوا يعتقدون ان هذه الاعمال هي من
الحكومة العثمانية ذاتها . » ثم استطرد الى ذكر سبب اعتقادهم
هذا فقال : « أرى ان نزع السلاح من اهالي حاصيا
وراشيا وزحله في لبنان واتيلبنان هو تعدٍ على حريتهم
وامتيازاتهم ومغائر تمام المغائرة للوعود الصريحة التي ابلقتم
اياها باسم الحضرة الشاهانية . » الى ان قال : « ان نزع السلاح
من يد السوريين عامةً امرٌ مرغوب فيه . . . بيد انا
رأينا هذه الوسيلة مقصورة على مسيحي لبنان واتيلبنان في
حين انه سمح لسائر أتباع الباب العالي بحفظ اسلحتهم . »
وجاء في نطقة اجماعية أنفذها كل من قنصل فرنسا

وبريطانيا العظمى والروسية في بيروت الى سليم باشا في
ت ٢ سنة ١٨٤١ « انه من الثابت ان الدروز امدوا بذخائر
وافرة مرسلة من دمشق رغماً من تنبيه القناصل المقيمين
في هذه المدينة صاحب الدولة نجيب باشا تكراراً الى وجوب
منعها . »

الى آخر ما هنالك من الادلة والبراهين . . . وقصد تركيا
من هذه الفتن ان تثبت صحة دعواها من ان الامراء
البنانيين عاجزون عن حكم البلاد فيتحتم فصلهم عن الامارة
وابداهم بوال تركي وادغام لبنان بالولايات

وبناءً عليه قرّرت تعيين علي باشا والياً تركياً على الجبل .
وقد كان السر ريشارد وود مسموع الكلمة لدى ولاية
سوريا ، فلما شعر بما تنويه الدولة علم ان تلك السياسة وخيمة
العواقب لوقوفه على حقيقة اخلاق البنانيين وعلمه اهم مهمما
اختلفوا في مسائلهم الداخلية فهم لا يسمحون لأحد بمس

امتيازاتهم ، فكتب الى سليم باشا والي صيدا في ٢٨ ت ١
سنة ١٨٤١ كتاباً يحذّره فيه سوء العاقبة جاء فيه ما ترجمته :
« يجب ان تعتقد دولتكم جيداً ان الجبلين عموماً لا
يسمحون ابدأ ان يحكم لبنان باشا تركي لان ذلك يُنافي
امتيازاتهم القديمة التي اعترف بها الباب العالي وأيدها
مؤخراً . ومن المحتمل كثيراً ان يمانع اللبنانيون بتنصيب
علي باشا فاذا حاربوه او طردوه من الجبل سقطت هيبة
الباب العالي »^١

مصطفى باشا نوري في لبنانه

رات الدولة ان تلك الطريقة لم تنجح فعمدت الى
سواها ، فأرسلت الى لبنان مصطفى باشا نوري السر عسكر
بدعوى تهدئة الحال واشارت عليه وعلى الولاية ان يلبسوا
ثياب الحملان ويظهروا بمظهر الاشفاق على اللبنانيين ولبنان .

فوصل مصطفى باشا الى لبنان وارسل رسلاً في البلاد
لاغواء اللبنانيين بقبول ولاية الدولة عليهم ميينين لهم من
جهة ان ذلك هو الدواء الوحيد لما في الصدور من حزازات
وفي الطوائف من منازعات ، ومفوضين من جهة اخرى
بشرح الفوائد التي يجنيها لبنان من اندغامه في دولة كبيرة
عزيزة الجانب يكون لابنائهم فيها متسع لاظهار كفاءتهم
واقترارهم بدلاً من انزواتهم في جبالهم وصخورهم الجرداء ..
فلم تكن بهرجة البيان لتغر اولئك اللبنانيين الصميمين
ذوي النفوس الشماء والوطنية الصحيحة فلم يتخلوا قيد
شعرة عن امتيازاتهم ولم يفرطوا بشيء من حقوق بلادهم ،
مفضلين حفظ كيانهم القومي في وطنهم اللبناني ، على كل
مناصب الدول وخيرات العالم ، عالمين ان حياتهم القومية
موقوفة على الاحتفاظ بمركز لبنان الخاص وبالوحدة اللبنانية
التاريخية ' ١

١ وقد دعي اللبنانيون الى مثل ذلك على اثر اعلان الدستور العثماني فكان
موقفهم سنة ١٩٠٩ كموقف ابائهم وجدودهم سنة ١٨٤١ ...

وقد ذكر الشدياق وهو شاهد عيان لتلك الحوادث
وكان له فيها شأن: « ان اللبنانيون قدّموا في احتجاجهم
هذا معروضات الى الدولة والى وكلاء الملوك الاربعة في
اسلامبول ٠٠ وان مصطفى باشا اخذ يتملقهم ليرتضوا بولاية
الدولة فأبوا ٠٠ »

وكانت حوادث سنة ١٨٤١ قد زعزعت ثقة الاهالي
بالامير بشير قاسم ملحم الشهابي فاغتم مصطفى باشا المذكور
هذه الفرصة فاستدعى الامير اليه وكلفه السفر الى الاستانة
بدعوى التقرير عن حوادث تلك السنة المشؤومة. فسافر
الامير، واللبنانيون غافلون عما يُراد بهم، ومصطفى باشا
يطمانهم ويطيب خاطرهم نفيًا للريب والشكوك حتى انه
استدعى فريقًا منهم وطلب منهم ان يتفقوا على رجل يُولى
عليهم برضاهم

ولما آنس من الناس سكونًا واطمئنانًا خلع عن جسمه

ثوب الحمل وفاجأ اللبنانيين باقامة «عمر باشا» النمساوي
العثماني حاكماً على الجبل بمقتضى فرمان تاريخه ١٥ ك ٢
سنة ١٨٤٢ ٦ وارسله بعسكر الى بيت الدين



الفصل الرابع

عمر باشا في لبنان (١٥ ك ٢ سنة ١٨٤٢ — ايلول سنة ١٨٤٢) ^١

لم يكد يستلم عمر باشا حكومة الجبل حتى افاق
البنانيون من غفلتهم وفهموا ان الضربة لم تكن للامير بشير
قاسم شخصياً بل بالاحرى لاستقلال البلاد. فهاجت خواطرهم
وقدموا « المعارض » الى قناصل الدول محتجين على تولية حاكم
أجنبي عليهم خلافاً للمعتاد من قديم الزمان . وسرت من
ثم في البلاد روح الثورة فبادر القناصل الى اطلاع سفرائهم
في الاستانة على واقع الحال فخبر السفراء الباب العالي تلافياً
للامر قبل استفحاله :

١ عمر باشا نساوي الاصل من كراوتيا . ولد سنة ١٨٠٦ من
والدين ارثوذكسين ثم لجأ الى البشناق حيث اعتنق الدين الاسلامي ثم دخل
في الجندية العثمانية فبلغ فيها مرتبة سامية .

من ذلك ما جاء في تعليمات الميسو ستراتفورد كائين
سفير انكلترا في الاستانة الى الميسو بيناني ترجمان السفارة
الاول بتاريخ ٩ شباط سنة ١٨٤٢ :

« اتصل بنا ان الامير بشير قاسم عزل فجأة بامر
استبدادي ٠٠٠ وان السر عسكر مصطفى باشا عين باشا
مسلياً مكان الامراء عاهداً اليه بالسلطة المختصة بهم ، وهو
اليوم في دير القمر بصفة وال على لبنان مما لم يسبق له مثيل ،
وذلك مناقض للوعود المسجلة وخارق للامتيازات المقررة
منذ عدة قرون ٠٠ واذا نار اهالي الجبل واضطر السر عسكر
الى استعمال القوة يزيد في غضبهم ، ويرجع ان حراجه
موقفه تجعله ينشب في قتال تكون الارحجية فيه الى خصومه
فيعرض شرف سلطانه لعار الانكسار ... »

فاضطر صارم افندي ناظر الخارجية امام هذه
الاحتجاجات ان يهدى بال السفراء فابلغهم في ١٧ اذار
سنة ١٨٤٢ « ان الباب العالي لا يتشبت بابقاء عمر باشا والياً

على لبنان وانما كان تعيينه من قبل السر عسكر مراعاة
لظروف الحال وان الباب العالي قرر ان يرسل الى لبنان
سليم بك عاهداً اليه بالوقوف على حقيقة الحال وتقديم تقرير
بذلك »^١

وكان يقصد صارم افندي من ارسال سليم بك الى
الجبيل ذر الرماد في العيون وتسكين الخواطر^٢ لتغيير سياسة
الباب العالي فعلاً . فلما وصل سليم بك الى لبنان اتفق
مع مصطفى باشا على افساد الحقيقة واثبات ما يخالف الواقع
فحصلاً بالوعد والوعيد والترغيب والتهديد على عرائض ووقعا
بعض الاهالي يطلبون فيها تعيين والٍ تركي عليهم والتنازل
عن امتيازاتهم وقد بلغ الامرُ بمصطفى باشا وسليم بك
المذكورين انهما زورا اختاماً عديدة ليوهما ان الاغلبية في
لبنان تطلب الانضمام الى الولايات وقد ارسلت هذه
العرائض الى الباب العالي فعرف بها السفراء بطريقة غير
رسمية فاستغربوا تنازل البنانيين عن استقلالهم وهم قد

دافعوا عنه أبداً الدهر ، كما ان صوت احتجاجهم على تعيين
عمر باشا لم يكدي يخفت بعد ، فلا يُعقل ان ينقلب رأيهم بين
عشيةٍ وضحاها ويصبحوا وهم يطلبون تولية من احتجوا عليه
بالامس .

لذلك طلب السفراء من قناصلهم في بيروت ان يوافوهم
بالاخبار الصحيحة عن احوال لبنان جلاءً لتلك المناقضات .
فبادر القناصل وارسل كل منهم تقريراً الى سفيره ، على غير
سابق اتفاق بينهم ، واذا بالتقارير كلها مجمعة على ان الحقيقة
هي ان اللبنانيين لا يرضون ابداً بالتنازل عن امتيازاتهم
واستقلالهم وان العرائض التي ارسلت الى الباب العالي
أخذ بعضها بالوعد والوعيد وزور منها البعض الآخر

على اثر ذلك اجتمع سفراء انكلترا وفرنسا وروسيا
وبروسيا والنمسا في ٢٧ ايار سنة ١٨٤٢ عند صارم افندي
ناظر العدلية ومعه ظاهر باشا ناظر البحرية ، ولم يكن يعلم صارم
افندي بما سبق للسفراء اتخاذه من الاحتياطات للوقوف
على الحقيقة فأراد ان يسرد الحوادث على هواه ويفاجئهم

بالعرائض تأييداً لسياسة الباب العالي ومنعاً لتدخل الدول في
شؤون لبنان :

قال صارم افندي : « انه لما كانت قد حدثت
اضطرابات في جبل لبنان رأى الباب العالي من الموافق
ارسال السر عسكر مصطفى باشا الى ذلك الصوب منذ نحو
سنة اشهر ووكل اليه الاشراف على حالة الشؤن واتخاذ
التدابير والتحوطات المناسبة فخلع السر عسكر الامير بشير
قاسم من منصبه وارسله الى الاستانة وولى مكانه عمر باشا
وان ممثلي الدول الخمس احتجوا على عدم موافقة العمل
وطلبوا ان يحسب هذا التعيين وقتياً وألحوا ايضاً بوجوب
حفظ طريقة الاحكام القديمة ونصحوا الباب العالي ان
يعيد الحكم الى الاسرة الشهاية ، وانه على اثر هذه المساعي
أبلغ هو الممثلين المشار اليهم اعتماده على ارسال مندوب
الى سوريا مفوض بالتحري عن مجرى الامور حتى بعد
عودته تتخذ طريقة الحكم الواجب وضعها في لبنان . وان
سليم بك قام بالهمة الموكولة اليه ورفع للباب العالي بياناً

عن تبيجتها مشفوعاً بربع عرائض موقعة من المشايخ الموارنة
وغيرهم من اهالي جبل لبنان .

فلم تُحدث تصريحات صارم افندي التأثير الذي
كان ينتظره منها على السفراء بل ردّ عليه سفيراً انكثراً
مفدداً زعمه ومبطلاً حجته ، قال السفير :

« ان البيانات التي انفذت اليه من سوريا مخالفة للتي
تلقتها الحكومة العثمانية . وزاد ان تلك البيانات التي عنده
تثبت ان العرائض التي أرسلها مصطفى باشا استحصلت
بالوعد والوعيد وان لديه ما يدعوه الى الاعتقاد ان رصفاءه
تلقوا من قناصل دولهم رسائل مماثلة لهذه ، فصدق سائر
السفراء على قوله . »

« فاجاب ناظر الخارجية ان العرائض التي تليت في
الجلسة تثبت صدق تقارير السر عسكر باشا . . . فردّ ممثلو
الدول الخمس اقوال ناظر الخارجية باجماع القناصل على رواية
واحدة ، ووضحوا للنظار العثمانيين ان العرائض التي تليت
عليهم مقصورة على توابع قليلة وانه من المشهور انها اخذت

بوسائل الارهاب والوعود ٠٠٠ تم قريء كتاب مسهب
يشتمل على تفاصيل وسائل التمليق والعنف التي التجي اليها
لحمل بعض زعماء لبنان على توقيع العرائض المذكورة وabanوا
لناظر الخارجية انه بدون الوسائل المار بيانها يتعذر التصديق
ان اهالي جبل لبنان بدلوا رايهم بهذه السرعة وتناسوا عوائد
قديمة وامتيازات هم شديدو التمسك بها حتى انه من برهة
وجيزة طلبوا باجمعهم غير مرة بلهجة حازمة وباللحاح شديد
حفظها .

ثم قرأ وكيل سفارة النمسا ملخص رسالة سمو البرنس
دي مترنيخ بتاريخ ١٧ ايار سنة ١٨٤٢ فاذا بها ترمي ايضاً
الى وجوب العودة الى طريقة الحكم القديم

ثم استأنف السفراء والنظار الكلام عن امتيازات
اللبنانيين من قديم الزمان فاورد ممثلو الدول عدة ادلة
معززة بشواهد تاريخية « ان السلاطين الاكثر بطشاً وشوكة
قد طالما راعوا في ابان عزهم جانب اللبنانيين وامتيازاتهم . »

فلم يُصخَّ البابُ العالى الى نصح السفراء بل أبقى
عمر باشا والياً في لبنان فبات هيجان الخواطر يزداد يوماً
بعد يوم حتى أصبح الجبل كأنه المهشم اليابس فلم تكذ تقدح
فيه شرارة صغيرة حتى اشتعلت جوانبه واندلع لهيبها في كل
انحاءه .

وقد كان ظهورها في كسران حيث اتهم مشايخ بيت
الدحداح بايقادها فحسبت الدولة بادئ ذي بدء ان الأمر
مقتصر على افراد معدودين يمكنها كبح جماحهم بالقوة واطفاء
النار بسهولة ، فارسلت في الحال عسكرياً للقبض على الدحادحة
فقاموا من وجهه الى الشمال فطاردهم العسكر حتى جبه
بشراي ، وكان حديثهم قد سرى في البلاد وعرف اللبنانيون
سبب فرارهم ولحاق الجند بهم ، فهبَّ اهالي الشمال وفي
مقدمتهم اهل اهدن وبشري هبة الابطال غضاباً لقومهم
وحرثتهم فتصدوا للعسكر وانتشبت بينهم الحرب فظفروا

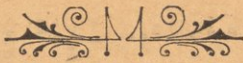
بالعسكر وكسروه فولى الادبار منهزماً الى طرابلس وغتم
اهالي الشمال خيلهم واسلحتهم وامتعتهم .

ومما يثبت ان ذلك الشعور الوطني لم يقتصر على
فريق من اللبنانيين دون فريق وعلى جهة دون اخرى
هو ان الثورة لم تنحصر في كسروان والشمال بل تعدتها
الى سائر انحاء الجبل : فما كاد يبلغ الدرروز ما فعله اهالي
جبة بشراي واهدن حتى هاجوا هم ايضاً طالين حرب
عمر باشا

فلما رأت الدولة ان الجبل كله في هياج وان الدرروز
والنصارى متحدون على خلع الحاكم التركي ، فهمت ان الامر
خطير والموقف حرج فحشيت سوء العاقبة فتلافتها بأن فصلت
عمر باشا عن لبنان في ايلول سنة ١٨٤٢ .

ولم تقتصر على ذلك بل زادت في التودد الى اللبنانيين
وفي مجاملتهم فعادت واعلنت ، تسكيناً للخواطر ، انها
تعترف بحقوق اللبنانيين بانتخاب من يشاؤون والياً عليهم
وقد ارسلت الى لبنان وكيلين من قبلها يكتبان اسما

الذين يرشحهم اهل لبنان للامارة .^١
وهكذا انتهت ولاية عمر باشا على لبنان ، وهي وان لم
تستمر الا بضعة أشهر غير انها كانت في الواقع فاتحة عهد
جديد في حياة لبنان السياسية : فقد الجبل منذ ذلك
الحين « وحدة إمارته » ونالت تركيا بعض غايتها فلم تبق
في لبنان « أسرة مالكة » . وكان ذلك آخر عهد الشهابيين
بالحكم في لبنان^٢



١ الشدياق ص ٦٤٢

٢ وفي ذلك تقول العامة : « اولها بشير واخرها بشير » اشارة الى ان
اول امير شهابي وملي على لبنان كان الامير بشير الاول واخرهم الامير بشير الثالث

الباب السابع

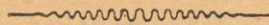
لبنان على عهد القائميتين

٧ ك ١ سنة ١٨٤٢ الى ٩ حزيران سنة ١٨٦١



بدعة القائميتين . حوادث سنة ١٨٤٥

ثورة الاهالي في كسروان . حركة ١٨٦٠ . تدخل اوربا في لبنان



ذكرى وعبرة

اذا وقعت في بلدٍ حوادث خطيرة من فتنٍ داخلية
وحروب «اهلية» تُبلبلُ حياة الامة ، فقد يتعذر على العامة
من معاصري تلك الحوادث ومشاهديها مشاهدة عيان ان
يتبينوا اسبابها ويحكموا على مقدماتها ونتائجها حكماً صحيحاً ،
فيكونون في الغالب عرضة للوثرات المحيطة بهم ، لا يرون

من الحوادث الا حاضرها ضارين صفحاً عن مسبباتها
وعاجزين عن الوصول الى نتائجها في حين ان لكل حادثٍ
مقدمات يترتب عليها وقوعه فنتج عن وقوعه نتائج تجهلها
العامة وقد لا تخفى على الخاصة . ومتى حصل ذلك تشبث
الشعب بالعرض ونسي الجوهر فيضيع عن محجة الهدى
ويعمى عن الحقيقة ، فينال في حياته القومية ضرر قد لا
تكفي الاجيال لازالته

وهذا ما حصل في لبنان في الفترة المنقضية بين

سنة ١٨٤٠ و سنة ١٨٦٠ .

لم ترَ العامةُ يومئذٍ في تلك الحوادث الا ما وقع تحت
اعينها ، ولم يقع تحت اعينها الا اقتتال بين الدرروز والنصارى
وسلسلة ملاحم سالت فيها الدماء انهاراً ، فاستنتجت العامة
ان الدرروز والمسيحيين هم بحكم الطبع اعداء لا يتفقون ،
وسهي عن بالها أنهم قبل ذلك العهد قد عاشوا الاجيال
الطوال على اتمّ وفاق واصفى اخاء .

فاذا قرأ اليوم عقلاء اللبنانيين صفحة تلك الحوادث

المشؤومة ، ومرّت امام اعينهم في لمحة بصرٍ مدةً تلك
السنين العشرين ، وهم بعيدون عن مؤثراتها ، خالون من
تبعها ، واعتهم فظاعة ذلك الشرك الذي نصبته الدسائسُ
في لبنان ووقع فيه آباؤهم وجدودهم

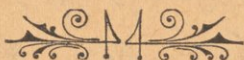
واذا تبينوا اسباب تلك الحوادث وقفوا مقدماتها
ونظروا الى نتائجها ، وجدوا ان عليهم واجباً مقدساً لوطنهم :
ان يصونوا يومهم عن امثالها ويدروا عن مستقبلهم شرّاً
الوقوع في فظائعها ، وليس من دواءٍ لذلك الداء الا في قطع
دابر الدسائس والتفريق .

والحكيم من اتعظ بألمه ليومه ويومه لغده ، فيعلم
البنانيون قاطبة انهم ، وهم متضامنون في قوميتهم ، اصلب
قناة على الغامزين . وانهم ، وهم متفقون في بلادهم ، ابر
بعضهم من سواهم بهم . وانهم على كل حال اسلم عاقبة
لوطنهم وأبقى .

فليطلع اللبنانيون على تلك الحوادث لا من حيث انها
تعيد الى الذهن ذكرى مؤلمة ، بل من حيث هي امثلة رشيدة

في عقبي التفريق المذهبي ونتيجة التحزب الديني ، فيقابلوا
بين ضعف لبنان وهوانه بعد سنة ١٨٤٠ ، وبين عزّه
وسلطانه قبل ذلك التاريخ . ويعلموا من جهة اخرى ان
تدخل اوربا في لبنان من سنة ١٨٤٠ الى سنة ١٨٦٠ لم
يفنهم عن التضامن شيئاً ، وان الداء اذا كان في النفوس
فلا تفعل فيه المسكنات الخارجية .

تلك هي العبرة الكبرى التي تستخلص من سلسلة هذه
الموادث عظةً وهدى للوطنيين المخلصين ! ..



الفصل الاول

اتفاق ٧ ك ١ سنة ١٨٤٢ . الحركة الثانية سنة ١٨٤٥

شكيب افندي في لبنان

اتفاق ٧ ك ١ سنة ١٨٤٢

رأت الدولة بعد حادثة عمر باشا انه لايسهل عليها ان
تقيم فوراً والياً تركياً على لبنان فارجأت ذلك الى وقتٍ
انسب ، غير انها وضعت نصب عينها غايةً باتت محور
سياستها في لبنان الا وهي نزع الحكم من الشهابيين .
وقصدها من هذا العمل ان لا يُتبق في الجبل « اسرة مالكة »
تكون عنوان استقلال البلاد .

وكان ان رجعت فرنسا الى نفسها فرأت انها لم تؤيد
الامارة اللبنانية حق التأييد في ازمة الامير بشير الكبير

وهو لم يسقط إلا لاحتفاظه بعهد محمد علي مدفوعاً الى ذلك
بسياسة فرنسا^١ . فرأت ان تعوض مما فات فارسلت الى
سفيرها في الاستانة « البارون دي بوركي » ان يؤيد
طلب اللبنانيين فيتشبت باعادة الامارة اللبنانية الى ما كانت
عليه من الوحدة والاستقلال . فذُعرت الدولة من طلبه
بعد ان عملت ما لا يعمل حتى تهدم صرح تلك الامارة.
فاستنجدت سفراء الدول على سفير فرنسا وما زالت بهم
حتى استمالت فريقاً منهم اليها . ولما طال الامر بالسفراء ولم
يقرروا على رأي^٢ اقتراح احدهم^٣ ، حلاً للمشكلة^٤ ، ان يقسم لبنان
الى قائمتين : نصرانية وعليها امير مسيحي من غير
الشهابيين^٥ ودرزية وعليها امير درزي

فرضت الدولة بذلك الاقتراح^٦ شرطاً ان لا يُحيوا لها
شبح الامارة اللبنانية القديمة

وقدمت شرط الجبل على هذا الشكل بموجب اتفاق
تاريخه ٧ ك ١ سنة ١٨٤٢^٧ من مقتضاه ان باشا صيدا يعين

١ لامتريين : خطابه في مجلس النواب . المحررات ج ١ ص ٢٦٧

القائمقامين من اهل لبنان ويكون لهما السلطة الكافية
في ادارة الامور الداخلية

وقد وُلِّيَ فعلاً الامير حيدر اسماعيل اللمعي قائمقامية
النصارى^١ والامير احمد ارسلان قائمقامية الدرزيين^٢. فكانت
هذه البدعة الجديدة في شكل الحكومة اللبنانية اكبر صدمة
لاستقلال لبنان. وقد اضطرت الحكومة الفرنسية يومئذ
الى القبول بها مكرهه^٣ اما البرلمان الفرنسي فاشعر بما في
شكل الحكم الجديد من الخيف على لبنان فأبى التصديق
عليه^٤ وصرح «بوجوب الرجوع الى ادارة حكم تكون
مطابقة لاماني اهل لبنان»^٥

وعلى كل فخل^٦ المسئلة على هذا الشكل لم يرض احدًا
من الفريقين:

فهو من جهة لم يرض الدولة لان غرضها نزع الحكم
من اللبنانيين وتعيين القائمقامين من الاتراك^٧ او على الاقل

١ المحررات ج ١ عد ٦١

٢ » » ١ » ١٣٨

٣ » » ١ » ٦١

تضييق سلطتهما بحيث يصبحان آلة في يد والي صيدا
وهو من جهة اخرى لم يرض اللبنانيين ومؤيديهم
فرنسا لتشبثهم باعادة الامارة الشهابية على الجبل.
فاعتبر الفريقان تلك الطريقة وقتية وباتا يرقبان
الفرص لتفضها، كل على هواه

وقد استتج اللبنانيون يومئذ ان تدخل الدول الاوربية
في لبنان اضعف حقوقهم بدلا من ان يزيدوها. من ذلك
ما جاء في احتجاج رُفع باسمهم الى الدول في ٢٩ ك ١ سنة
١٨٤٣، على اثر سلخ بلاد جبيل عن ادارة الامير حيدر
والحاقها بحكومة طرابلس وجعلها تحت سلطة باشا تركي، فقد
جاء فيه: « اذا سكتت الدول عن هذا الاغتصاب الجديد
لا يبقى لمسيحي لبنان الا ان يختاروا بين امرين: إما الاقدام
على حماية مهد امتهم المقدس مستميتين في هذا السبيل
عاقدين رايات الحرب على حكومة الباب العالي، إما هجر
وطنهم العزيز الذي صدوا عنه هجمات الاعداء في الزمان
السابق. بيدان هذا الشعب لا يسعه الافتراض ان تدخل

الدول المسيحية العظمى في سوريا يؤول الى جعله في هذا
الموقف الحرج او تكون النتيجة فوز الاتراك في لبنان ١٠٠
فلم تشأ الدول ان ترمي اللبنانيين في مهاوي اليأس
فايدت احتجاجهم فأعاد البابُ العالي بلادَ جبيل وملحقاتها
الى لبنان ٢٠ وقد حذّر سفيرُ انكلترا البابَ العالي من
تهوره في انكار حقوق اللبنانيين وصرح له بان ليس لتركيا
الحق بالتعرض لشؤون لبنان الداخلية ٠ قال السفير ما ترجمته
« ارى انه يتعدّر انكار حق اللبنانيين الثابت بادارة شؤونهم
الداخلية على يد وولاتهم الوطنيين ٠٠٠ » ٣

*

الحركة الثانية سنة ١٨٤٥

لم يُعر ولاية سوريا النصيح اذناً صاغية بل ظلوا يدسون

١ المحررات ج ١ عد ٦٤

٢ » » ١ » ٦٨

٣ » » ١ » ٨٢

الدسائس ويحركون عوامل التعصب بين الدروز والنصارى
جراً للمشاكل والاضطرابات في الجبل، حتى يُثبتوا للعالم أنه
يتعذر استتباب الامن في لبنان مادام عليه حكام من
الوطنيين، وان العلاج الوحيد هو تعيين حاكم تركي
على البلاد. وقد ساعدتهم بدعة القائمقاميتين على بلوغ
امينتهم. فان هذه الطريقة، بجعلها الدين اساس الحكم في
الجبل، قد قطعت روابط الوحدة القومية وفككت عرى الاتحاد
الوطني بين الدروز والنصارى بدلاً من ان يظلوا معبرين انفسهم
لبنانيين قبل كل شيء كما كانوا في الماضي، انشق الجبل
شطرين: درزيا ومسيحياً، وهو غاية ما كانت تطمح اليه تركيا.
ولما رأى عمال الدولة ان مازرعوه في النفوس من
بدور التعصب قد نمت، اوغروا صدور بعض الرعاع وكلفوهم
اضرار الشرارة الاولى من النار، حتى اذا اشتعلت تركوها
تتمدد وتقوى الى ان التهمت انحاء الجبل وتعدتها الى
الولايات السورية بين المسامين والنصارى: تلك هي سياسة
«فرق تسد» التي لم ينتبه لها اللبنانيون الا بعد وقوعهم

في نتائجها الفظيعة فكان ما كان من حوادث سنة ١٨٤٥ .
وقد اثبتت المكاتبات الرسمية ان الذنب كل الذنب فيها
كان على الحكومة التركية لا على الشعب كما سبق حصوله
سنة ١٨٤١ : من ذلك ما جاء في كتاب ارسله زعيم من
زعماء الدروز في تلك السنة الى كبير منهم يطمأنه فيه الى
عاقبة القتال بقوله : « لا تخافوا لانه قد كتب امره الى
حامية عييه بمساعدتكم .. » وكتب ايضاً الى مشايخ اقليم
الخروب واعيان المسلمين يقول لهم : « ان الباب العالي قد
جاد وسمح لنا بمهاجمتها (الامة المسيحية) وان دولة افندينا
داود باشا المعظم قد فوض الينا محاربتها وساعدنا عليها بجنوده
السلطانية .. فنريد من هممكم وبسالتكم ان تسرعوا حالاً
وتهاجموا الديية لان الجالية التي فيها قد برحتها بامر مصطفى
بك .. فلا نخشوا شيئاً لاننا نحن والباب العالي يد واحد
في هذه المسئلة وهذا كافٍ لطمأنيتكم وبه غناية عن
اطالة الشرح .. »

ولم يكن كلام ذلك الزعيم الدرزي عن تعصب طائفي
وحقد مذهبي بل كان مدفوعاً اليه من ولاية سوريا وموظفيهم
الذين ذكروهم والبرهان هو انه على اثر تلك الحوادث ارادت
الدولة ان تتنصل من المسؤولية فسجنت من سجنت في ثكنة
الجنود في بيروت ومن ضمنهم ذلك الزعيم فذهب لعيادته
الكونت غندور بك السعد لاعتقاده أنه كان محمولاً على فعل
ما فعل . وقد روى الكونت انه في خلال الحديث قال له
الزعيم الدرزي : « اتم حاسبينها ونحن حاسبينها وكلانا
وقعنا فيها »

وجاء في رسالة للمسيو غيزو الى سفير فرنسا في الاستانة
بتاريخ ايار سنة ١٨٤٥ ما ترجمته : « ان هذه الجنود
(العثمانية) ٠٠ غمست يدها في دم المسيحيين في ظروف عديدة
وأنت اعمالاً بربرية بحيث لم يبق ادنى شك في تأمر

عن لبنان وسوريا ص ٢٤٧ - ٢٤٩ وعلق عليها ان الشيخ المشار اليه كتبها
في بدء قفنة سنة ١٨٤٥ فوقها بين يديه وسلمها الى وجيهي باشا مشير ابالة
صيدا فاعترف بصحتها .

الباب العالي مع اعداء الموارنة ٠٠ »^١
ولم يخفَ يومئذٍ على اللبنانيين سبب الاضطرابات
الحقيقي فأرأوا ان المفسدين قد لعبوا بهم وجروهم الى تلك
المذابح الاهلية فسعى عقلاء الدروز والنصارى الى اصلاح
ذات الين فوجدوا من طيب اخلاق الشعيين الكريمين
اكبر مساعد على نسيان الماضي^٢ فعقدت بين مندوبي
الدروز والنصارى وثيقة تاريخ ٢ يونيو سنة ١٨٤٥ تعهد فيها
الفريقان بالرجوع الى الصلات الودية القديمة « ليعيشوا بكمال
الوثام مراعين واجبات الجوار وناسين الماضي ماحين كل ما
وقع بينهما من سجل الكوائن ٠٠ »^٢

وقد زادت تلك الحوادث اعتقاد اللبنانيين ان الدواء
الوحيد لذلك الداء انما هو اعادة الامارة اللبنانية الى ما كانت
عليه من الوحدة والاستقلال

وقد ابلغ اللبنانيون طلبهم يومئذٍ الى اوربا فاهتمت

١ المحررات ج ١ عد ١١٠

٢ » ج ١ » ١١٣

مجالسها التيايية بالامر وطرحت مسألة لبنان على البرلمان
الافرنسي في جلسة ١٥ تموز سنة ١٨٤٥ فعنف الكونت
دي كاتربارب وزارة المسيو غيزو واتهمها بالضعف وعدم قيامها
بالواجب نحو اللبنانيين فاجابه المسيو غيزو وزير الخارجية
واعترف بمسؤولية السلطة التركية في الحوادث وصرح بان
فرنسا لا تفر عن مساعدة اللبنانيين في تحقيق امنيتهم وانها
لا تتحوّل عن سياستها القديمة المعروفة من المطالبة باعادة
امارة لبنان الى ما كانت عليه

وفعلًا بذلت الحكومة الافرنسية جهدها في سبيل
اعادة الامارة اللبنانية والغاء اتفاق ٧ ك ١ سنة ١٨٤٢ *
فلم تجد التعضيد الكافي من سائر الدول

وقد استفاد الباب العالي من تفرق الكلمة قتباً مما
حصل في لبنان ملقياً تبعته على عاتق المامورين في
سوريا وابلغ الدول انه اثباتاً لحسن النية قد اتدب
السلطان عبد الحميد وزير خارجيته بالذات شكيب افندي

موفداً خاصاً الى سوريا لاجراء النظام وتسكين الحال^١

شكيب افندي في لبنان

وصل شكيب افندي الى بيروت في ١٤ ايلول سنة ١٨٤٥ وطلب من ممثلي الدول ان لا يتعرضوا له في شي متعمداً بعمل كل ما يلزم لتهدئة الخواطر واللقاء السكينة وترتيب الحكومة . وقد بادر فور وصوله الى ابعاد رعايا الحكومة الاجنبية من لبنان حتى لا يكون لدولهم سبيل الى التدخل في حال من الاحوال ، وملاً البلاد عسكرياً نظامياً وأمر بنزع السلاح مؤكداً في الوقت ذاته للبنانيين : « ان نزع السلاح من ايديهم لا يُراد به مس امتيازاتهم القديمة » وما زال يطمان خاطر اللبنانيين من جهة ويُطلي على ممثلي الدول من جهة أخرى حتى تمكن بعد مخابرات ومفاوضات لا محل لذكرها الى ذر الرماد في العيون فسادت الفكرة ان الحال قد هدأت على احسن منوال

وقد اتقى الامير حيدر اللمعي قائمقاماً على النصارى
واقام مكان الامير احمد ارسلان اخاه الامير امين ارسلان
وقد سنَّ نظامه المشهور المعروف «بنظام شكيب افندي»
وأساسه تضييع ما بقي من استقلال لبنان ووحدة حكومته
ورابطة قومه بان ضيق سلطة القائمقامين كل التضييق وجعلها
في اكثر الامور الاساسية تحت سلطة باشا صيدا ، ووسع من
جهة اخرى شقة الخلاف بين الدرروز والنصارى وشطرها في
كل امورهما شطرين ، كل شيء فيهما للدين . وقد فطن
الكثيرون من اللبنانيين الى ما في ذلك النظام من الحيف
وتقويض دعائم الاستقلال فاحتجوا عليه لدى الدول ، وقد
أيدهم البرلمان الافرنسي في احتجاجهم كل التأييد في جلسات
متعددة . ولاسباب لا محل لذكرها لم تجد فرنسا بين الدول
من يشدّ ازرها وازرهم في الامر فكانت النتيجة أن عمل
بنظام شكيب افندي فزاد به تفكيك الوحدة اللبنانية .

الفصل الثاني

مواد لبنان في البرلمان الفرنسي

جلسة ١٥ حزيران سنة ١٨٤٦ . جلسة ١٦ حزيران سنة ١٨٤٦

جلسة ٣ تموز سنة ١٨٤٧



بلغ مسامع فرنسا ما حلَّ لبنان من الكوارث والمصائب
فاهتزت مجالسها النيابية لهول ما سمعت ولم يخفَ على
المفكرين الاحرار من اعضائها ان اوربا عامة وفرنسا خاصة
مسؤولة نوعاً عما دهم الجبل من الفواجع والمحن لتلاعب
الايدي بلبنان واميره واهليه بمناسبة الحملة المصرية على سوريا
سواءً في عهد الفتح سنة ١٨٣١ او في عهد الانسحاب سنة
١٨٤٠ : ففي كلا العهدين دُعِيَ اللبنانيون الى القتال

على ان يكون ثمن ما يريقون من الدماء نيل الحرية المطلقة ..
فبادروا اليه مستبسلين وحاربوا في العهدين حرب الاسود
حتى شهدت المقامات الرسمية ان انضمام اللبنانيين الى
ابراهيم باشا ضمن له تدويخ سوريا كما ان خروجهم عليه
اضطره الى الجلاء عنها . وبالرغم من ذلك لم ينل
اللبنانيون ثمن ضحاياهم بل تخلت عنهم اوربا ولم تدفع الضيم
عنهم فرنسا . واصبحوا بعد ان أمهكتهم تلك الحروب
مقطعي الاوصال مشتتي القوى ولقمة سائغة للاعداء .

فاغتنمت تركيا الفرصة ، فعمدت الى تفكيك عرى
« القومية اللبنانية » وبذر بذور التعصب الديني في الصدور .
وقد نجحت سياستها فكان ما كان في لبنان من فتن ومحن
من سنة ١٨٤١ الى سنة ١٨٦٠ حتى تم ما خشي منه المسيو
ملفيل في مجلس نواب فرنسا حين قال لهم : ان جل ما
ابغيه هو ان لا تجعلوا لبنان كبولونيا ..

علمت اوربا بماحدث في لبنان وشعرت بمسؤوليتها نحوه
فاهتمت صحافتها ومجالس نوابها بالامر ، وكانت اشد

ذلك الاهتمام في فرنسا لما بين الشعبين من المحبة المتبادلة
والعلاقات القديمة ٦ فقام الخطباء في مجلس النواب يذكرون
فرنسا بما للبنانيين من الحسنات والافضال منذ ايام لويس
التاسع الى عهد بونابرت ويستحثون الحكومة على بذل المعونة
للبنان مبادلة لصنيع اللبنانيين :

ولا بأس بالتبسط قليلا فيما حصل يومئذ في البرلمان
الافرنسي من هذا القبيل



جلسة ١٥ حزيران سنة ١٨٤٦ ٦ دي ملفيل
في تلك الجلسة خطب المسيو دي ملفيل ولام وزير
الخارجية على عدم سعيه الى اعادة امانة الجبل الى ما كانت
عليه من الاستقلال تحقيقاً لوعدها لفرنسا سنة ١٨٤١ ٦
واستحلف الوزارة ان تقوم بوعودها للبنان ولا تسمح ان يكون
مصيره كبولونيا ٦ قال النائب : « اثنا كثيراً يا حضرة النواب
ما زمني هذه الشعوب بعدم التمدن والحديعة والغش لكنها
اذا تعلمت يوماً ان تكتب التاريخ فانها تجد مجالاً واسعاً

للكلام .. لانه في ذلك العهد جاءها اناس مه اثاروها بوعدهم
لها حفظ ضماناتها وامتيازاتها بل توسيع دائرتها » .. وهنا
سرد النائب من الحوادث ما يثبت انه لم يُبر بالوعد. ثم قال :
« ان اهالي جبل لبنان المسيحيين الذين حفظتهم العناية
الربانية فيه .. لم يكونوا قط تحت حكم الباب العالي مباشرة
ولم يكن له عليهم الا سيادة اسمية . »

وقد تبسط النائب في هذا الموضوع وأتى على ملخص
تاريخ الحوادث التي وقعت في لبنان منذ سنة ١٨٤٠ فأثبت
ان الدسائس كانت السبب في وقوعها ، لا تعصب الاهلين .
وختم خطابه بقوله للوزير : « كان اصحابكم يقولون بالامس
يجب ان نجعل في الشرق بلداً يشبه سويسرا ، وانا اسألكم
ان لا تجعلوه يشبه بولونيا . »

١ كانت بولونيا منذ الجيل التاسع مملكة مستقلة وظلت كذلك الى سنة
١٧٦٤ فتدخلت في امورها الامبراطورة الروسية كاترين . ومنذ ذلك الحين
أخذت الدسائس تنخر عظام بولونيا وتثير فيها عواطف التعصب الديني والمذهبي
حتى انقسمت الامة على بعضها : فاستنجد الارثوذكس بالامبراطورة كاترين
واستغاث البروتستانت بمملكة النمسا ماري تيريز وبملك بروسيا فردريك الثاني .
وما زالت تلك الحكومات الثلاث تتجاذب الطوائف والاحزاب البولونية حتى

جلسة ١٦ حزيران سنة ١٨٤٦ : لاصرتين

خطب في تلك الجلسة المسيودي لاصرتين المشهور
خطاباً مطولاً بسط فيه المسئلة اللبنانية من سنة ١٨٤٢
فذكر حقائق عرفها شخصياً اثناء رحلته الى لبنان سنة
١٨٣٢ وشهد بأحاديث اللبنانيين من دروز ونصارى كما انه صرح
رسمياً ان فرنسا مسؤولة عن نكبة الامير بشير وعن
زعزعة استقلال لبنان ... قال :

« عليّ ان اصلح الهفوة التي بدرت امس من حضرة
المسيودي ملفيل فقد قال بوجود خلافات واحقاد قديمة
بين شعوب لبنان في حين ان لاشيء من ذلك . وجلّ ما
بين الموارنة والدروز خلاف في العقيدة .. فالموارنة مسيحيون

تقطعت اوصال الامة واقترط عقد وحدتها فأدى ذلك الى تقسيمها بين روسيا
والنمسا وبروسيا . فأصبح تاريخ بولونيا منذ ذاك الحين سلسلة قلاقل داخلية
ومنازعات دامية بين الشعب البولوني وتلك الحكومات حتى جاءت هذه الحرب ،
وكان قد عرف البولونيون علة مصائبهم فاتفقوا واتحدوا على مبدا بحفظ كيان
أمتهم واستقلالها وقاموا اليوم يطالبون بحقوقهم فاخذ الحلفاء ييدهم وسقتال
بولونيا استقلالها بفضل اتحادها وحياة القومية في اهلها على اختلاف طوائفهم
وتباين زعاتهم ...

كاثوليك ، وسبق لي ان قلتُ في هذا المجلس ان العقيدة
الاساسية في مذهب الدرّوز هي حفظةُ سرّاً في قلوبهم .
ولهذا كانوا متحدّين مع الموارنة في عهد الامير بشير .

« والامير بشير لم يرتكب سوى خطأ واحد دفعته اليه

سياستنا وهو انه مال حيناً الى ابراهيم باشا فأغضبَ البابَ

العلي ، ولما اضطر ابراهيم باشا الى مغادرة سوريا ، فأول عملٍ

أتمتهُ الحكومة المنتصرة ان اسقطت سلطة الامير بشير . . . »

ثم تطرق الخُطيبُ الى ذكر حقوق لبنان والى الحالة

التي يجب الرجوع اليها في طريقة الحكم فيه قال : « وما

هي هذه الحالة القديمة العهد الثابتة من مئتي سنة والمعترف

بها من جميع الدول ؟ هي وحدة السلطة والامارة في يد

الامير بشير . . . »

« لست بحاجة الى ان أعيد على ذكراكم كم هذه القضية

حرية بعنايتنا ومزيد اهتمامنا . ولا اقول شيئاً عن عواطفني

الخاصة اتقاء ان أهمهم باني أريد ان أخضع سياسة بلادي

لها ، انما طالعوا اقوال فولنه الذي قضى سنتين بين الموارنة

الشيطن المنكودي الحظ فيمثل لكم اسمى الفضائل التي
كانت تجمل المسيحيين الاولين مجسمة في شخص أجمل
طائفة وأنبليها وأجرأها، ويريك الشعب الماروني كأبدع امة
في الشرق يمكن ان تلقح بها شجرة الامة المسيحية . فاذا
تركتموها تهلك اوتباد فاصرح لكم اني اعد ذلك كأخر
نقطة من ثفالة كأس شربناها سنة ١٨٤٠ وكان عليكم اقله
ان تبدلوا الجهد لئلا تتحوّل هذه الثفالة الى نقطة دم .
اما انا فاني أتهم الحكومة الفرنسية ليس فقط بضعف
بصيرتها في المسألة الشرقية العظمى منذ سنة ١٨٣٦ بل بقلة
الشهامة والحزم، ولا يوجد رجل فطن منزّه عن كل غاية
الا ويشاطرنى رأبي .

«لماذا عاكست الحكومة في اول اذار؛ لاني تيقنتُ بعد
البحث الدقيق ان السياسة الفرنسية ارتكبت غلطاً عظيماً
بتوجيه كل عنايتها الى مصر واهمالها السكان الذين توجب
علينا وحدة الايمان وحماية متقادمة العهد ان نعضدهم بكل قوى
سياستنا فلا تتركهم عرضة للاعتداء البربري والسلب والنهب .

لاي سبب بعد سقوط الوزارة المذكورة في اول اذار
عضدت باقتراحي الوزارة الجديدة في بدء عهدها؛ لاني
كنت اعتبر ان الوطنية الحقّة تقضي عليّ بتأييدها
لانهاض سياستها من كبوتها في المسألة الشرقية، وبان لا اسبح
على قدر طاقتي بتعريض امة محبوبة من فرنسا منذ عهد
القديس لويس حتى لويس الرابع عشر الى الفناء من جراء
جهل الوزارة او ضعفها. بيد انه قد سقط من كنت اريد
انهاضه وتزعزع ما قصدت توطيده اذ انّ نتائج السياسة التي
اتجهت بها حكومتنا اوصلتنا الى حالة اوشك المسيحيون في
الشرق ان ينسوا ما قد بذلته فرنسا في سبيل نفعهم. ومع
ذلك قد سمعتم امس واول من امس حضرة وزير الخارجية
يسألنا السكوت عن مسألة سوريا. وكل مرة عرضت علينا
مسألة خطيرة مثل هذه طلبوا منا الصمت. وقد طلبوه منا
امس واليوم عن الموارنة الباسلين ولا ذنب لهم الا لكونهم
وضعوا آمالهم فيكم ونادوا باسمكم مستغيثين ومدّوا اذرعهم
الى فرنسا متوسلين. فهذا هو الشعب الذي سُئِلتم اليوم

السكوت عن امره . اما تعلمون ماذا يحدث ؟ سيأتي يوم
فيه يقولون لكم : لم يبقَ تمَّ مسألة سوريا ولا مشاكل
ولامنازعات . اجل انه لا يبقَى مسألة ، اذ يكون الشعب
الماروني قد ادركه الفناء !

«علينا ان نرفض كم افواهنا وعلى فرنسا ان ترفع صوتها
بقدر ما تخفضه حكومتها وتعلن على رؤوس الاشهاد انها
لا تتسامح في اي مكان كان في الاحترام الواجب لاسمها ولا
تترك اصدقاءها والموارنة في جملتهم ، ولتجهر بأعلى صوتها بما
تقدم حتى اذا هلكت هذه الامة المنكودة الحظ يوماً ما
فالتبعة تقع على عاتق من يعنيه الامر ، وتسقط آخر نقطة
من دمها ليس على فرنسا بل على حكومتها . »

على اترك المناقشة وعدت الوزارة بالاهتمام بمسألة
لبنان والمحافظة على حقوقه . وكان فصل العطلة البرلمانية قد
أزف فارفض المجلس . وما عاد الى الالتئام حتى رجع الى
المناقشة في المسألة اللبنانية :

وفي تلك الاثناء كانت المشادة قد بلغت اقصاها بين اللبنانيين والباب العالي فيما خصّ اعادة الامارة اللبنانية الى سابق استقلالها ووحدة سلطتها واللبنانيون يعللون النفس عبثاً بمساعدة خارجية فعلية تنيلهم حقوقهم^٦ ولما طال على تعلمهم الزمان رفعوا الى البرلمان الافرنسي عريضة تلاها على المجلس الكونت دي كاتر بارب في جلسة ٦ ك ٢ سنة ١٨٤٧ جاء فيها: « اجيبونا صريحاً وبجلاء اذا كان يمكننا ان نتنظر منكم مساعدة عاجلة او تتخلون عنا فنعلم اذ ذلك كيف يجب ان نتدبر فلا نستسلم الى الآمال الفارغة .. »

جلسة ٣ تموز سنة ١٨٤٧: كاتر بارب^٦ ملفيل^٦ كريميو

لم تقتصر المطالبة بحقوق البلاد على فريق من اللبنانيين دون فريق بل اشتركوا فيها على اختلاف مذاهبهم فارسل المسيحيون والدروز عرائض الى البرلمان الافرنسي في صيف سنة ١٨٤٧ والجميع متفقون على الطلب ذاته: « اعادة الامارة اللبنانية الى ما كانت عليه مع حق التوارث فيها .. »

وقد عرضت هذه العرائض على المجلس الافرنسي في جلسة ٣ تموز سنة ١٨٤٧^١ فأيد الكونت دي كاتر بارب طلب اللبنانيين كل التأييد وقال للمجلس : « يا حضرات النواب ، لا يوجد لهذه الحالة سوى علاج واحد هو اعادة اماره لبنان الى ما كانت عليه مع دفعها للباب العالي الجزية واعترافها بسيادته الرسمية وخلا هذه القاعدة لا تقوى اية حماية كانت على توطيد اركان الراحة . . . »

وكان قد زهق اهل لبنان يومئذٍ من كثرة الوعود وقلة الاعمال فارسلوا في ذلك الرسائل الى النواب الذين كانوا مستعدين لتأييدهم ، منها خطاب قرأ بعضه الكونت دي كاتر بارب في تلك الجلسة ذاتها (٣ تموز سنة ١٨٤٧) جاء فيه : « نعم انكم لم تفتروا حتى الآن عن السعي في سبيل اتقاذ امتنا فلا حاجة اذاً الى تحريضكم على مواصلة مساعيكم اذ من يقدم على احداث بناء يتوجب عليه اتمامه حتى اذا لم يُنجزه يستهدف للسخرية وهزاء الناس . »

وقد علق النائب على هذه الفقرة بقوله: « ان هذه العبارة ليست موجّهة الي لاني لست هنا سوى صدى ضعيف اردّد مصائب شعب جدير بكل اعجاب .. كلاًّ فما كنتم لترضون بآبادة هذا الشعب .. وقد بقي وحدة مدة ٨ قرون مستقلاًّ حرّاً في وسط السلطنة العثمانية .. »^١

وقام بعد الكونت دي كاتر بارب حضرة النائب المسيو دي ملفيل ولفّت انظار النواب الى اختلاف سياسة المجلس عن سياسة الحكومة: فالمجلس يشدّد باعادة الامارة اللبنانية حسب طلب اللبنانيين، والوزارة تتهاون وقد لامّ الوزارة كل اللوم على عدم اتباعها رغبة المجلس .. ثم أتى على تاريخ حوادث لبنان من سنة ١٨٤١ وشرح كيف ان الباب العالي يسعى الى غايةٍ وضعها نصب عينيه وهي هدم استقلال لبنان متذرعاً الى بلوغها بكل الوسائل قال: « اني اذكر المجلس بانه بُدئَ اولاًّ بقسمة امارّة لبنان المطلقة الحكم الى قائمقاميتين ثم ظهر ان قسمة السلطة هذه تجعل المسيحيين المقيمين في

القرى المختلطة وهم الاغلبية تحت حكم والٍ تركي وانه يخشى
من تجديد جميع الرزايا التي تأسفنا لحدوثها ..
« واذ ذاك استنبطت طريقة انتخاب وكيلين احدهما
درزي والآخر ماروني لموازنة سلطة القائميتين الواسعة
فهذا التنظيم لم يأتِ بنتيجة وجاءت كوارث سنة ١٨٤٥
مصادقاً لقولنا ..

« ثم افكر فيما بعد بانشاء ديوانين مؤلفين من العناصر
المختلفة ووضعها تحت رئاسة السلطة التركية فحبط جميع
هذه التنظيمات لان غايتها جميعها كانت ترمي الى بسط
السلطة التركية على لبنان .. »

وقد خطب بعده المسيو كريمو النائب الاسرائيلي فاطهر
للمجلس واجب فرنسا نحو البنانيين ليس من قبيل الدين
فقط بل نظراً للخدمات الجليلة التي قام بها البنانيون لمساعدة
الافرنسيين من قديم الزمان قال : « اتسكتون والامر متعلق
بمسيحي لبنان ؟ ومن هم هؤلاء المسيحيون ؟ هم اخوانكم منذ
قرون ليس في المذهب فقط بل في السلاح وفي ساحات القتال

فقد وجدتموه في كل الظروف .. فالقديس لويس وجدهم
من قبل ونابليون كذلك .. «

فأبدى المجلس استحسانه وصرّحت الوزارة بعد تلك
المنافسة باستعدادها التام للاهتمام بالمسألة اللبنانية جدّ الاهتمام.
.....

يُثبت ما تقدم بماقتصر :

ان استقلال لبنان الداخلي كان ثابتاً تاريخياً قبل سنة
١٨٤٠ بأجيال

أنَّ الباب العالي لم يكن له في لبنان ، بشهادة مجالس
النواب والحكومات الاوربية ، الا السيادة الاسمية فقط
أنَّ البرلمان الافرنسي كان يشدّد على حكومته بوجوب
مساعدة اللبنانيين على اعادة « امارتهم المستقلة » لا لمنفعة
تتألفها فرنسا من وراء تلك المساعدة بل قضاءً لواجب عليها
نحو اللبنانيين « وهم اخوان » ليس في المذهب فقط بل في
السلاح من عهد لويس التاسع .. «
انه ما خطر يومئذٍ على بال اللبنانيين ، رغم ما حلَّ

بهم من المصائب المتسابعة ، ان يتنازلوا عن شعرةٍ من حقوقهم
بل كانت صراخهم وسعيهم وتضامنهم مقصوداً على التثبت
باستقلالهم واعادة امارتهم الى ما كانت عليه من الوحدة
والمنعة ، ولم يجل في خاطرهم قط ان طلبهم عونَ دولةٍ يقضي
عليهم بالتنازل لها عن استقلال البلاد او عن شيء منه بل
كانوا يعتقدون ان تلك الدولة اكبر وانبل من ان تكلفهم
تلك المساومة فتجعل مساعدتها واسطةً للحصول على منفعة
في لبنان ، بل يرون انها اذا بذلت لهم ما تستطيعه من المعونة
يكون ذلك مبادلةً منها للمساعدات العديدة التي قام بها
البنانيون جهدهم في كل فرصة سنحت لهم من قديم الزمان ...

.....
.....



الفصل الثالث

الامير بسير احمد اللحمي (سنة ١٨٥٤ - ١٧ ت ٢ سنة ١٨٦٠)

ثورة الاهالي في كسروان سنة ١٨٥٨ .

تعيين الامير محمد ارسلان مكان ابيه المتوفي الامير امين .

حركة سنة ١٨٦٠

لم يأت ما بُذل يومئذٍ من المساعي والمجهودات
بفائدة وظلَّ شكل القائمقاميتين في حكم لبنان يساعد على
تربية روح جديدة في نفوس اللبنانيين ، روح التعصب للدين
والمذهب ، لان كل شي في حكومتهم وادارة شؤونهم ،
أصبح تابعا لصفة الشخص الدينية والمذهبية
وقد جاءت وفاة الامير حيدر سنة ١٨٥٤ ضغنا على

ابالة لان خورشيد باشا طلب ان تعين خلفاً له اقل من
كان بين الامراء لياقةً للحكم وهو الامير بشير احمد ابو المع.
وغرضه من هذا التعيين ان تزيد الفتن ، اعتقاداً منه انه كلما
زادت الاضطرابات في لبنان وتفاقت الشرور كلما اتسعت
سلطة الولاة وازمحلّ نفوذ الحكومة الوطنية حتى يضطر
البنانيون في آخر الامر الى طلب والٍ تركي عليهم .

وقد شهد بذلك المسيو مورقنصل انكلترا العام في بيروت
في كتاب ارسله الى المسيو اليزوت وكيل سفارة انكلترافي
الاستانة في قال فيه ٢٨ ك ٢ سنة ١٨٥٦ « . . اما السبب . .
في عضد الاتراك للقائمقام فهو السياسة التي اتتهجوها ولم
يحيدوا عنها قط وقوامها توجيه المساعي الى ابقاء الاضطراب
في لبنان للتذرع الى الغاء ادارة حكمه الحالية وهم ينهجون
مثل هذا النهج في القائمقامية الدرزية . . »^١

وكتب المسيو مور المذكور في المعنى ذاته الى
الكونت ملمسبوري في ٢٧ ايار سنة ١٨٥٨ ما ترجمته :

« اما المقصود من سلوك خورشيد باشا في مسألة لبنان ونياته التي استشفقتها هي ذات نيات الحكومة التركية في ان يسود الاضطراب في جبل لبنان على امل ان تتمكن في وسط القلاقل العامة من الغاء نظمات لبنان التي لم تفتقر عن النظر اليها بعين الاستياء... »^١

وفعلاً حدث يومئذٍ في لبنان لسوء ادارة الامير بشير أحمد وعدم كفاءته، ما كان يُنتظر وقوعه فبلغت الاضطرابات اشدّها وسنحت الفرصة لراقبيها فاثاروا الحزازات بين المشايخ والاهالي من جهة، وعواطف التعصب بين الدرروز والنصارى من جهة اخرى، فجرت حوادث كسرات على اصحاب الاقطاع سنة ١٨٥٨، وتلتها اشدّ هولاً منها حركة سنة ١٨٦٠ والمسؤولية في الحادثين على عمال الدولة، وغرضهم واحد كما كان سنة ١٨٤١ و سنة ١٨٤٥، وهو بسط سلطتهم على لبنان وادغامه في الولايات. والادلة الرسمية على ذلك لا تحصى :
منها ماجاء في كتاب المسيو مور الى السر هنري بولفر

بتاريخ ٣٠ حزيران سنة ١٨٥٩ عن حركة الاهالي في
كسروان ما ترجمته: « يخيل لي ان الحكومة تقصد بسكوتها
توسيع دائرة الخلاف بين الشعب ورؤسائه اصحاب الاقطاع..
بل تريد ابقاء جرثومة الهياج حية بحيث تضطر الشعب
وزعماءه الى طلب والي تركي والانضمام الى الحكومة التركية. »^١

وفي ٣ ايار سنة ١٨٥٩ توفي الامير امين ارسلان
فعين خورشيد باشا مكانه وكده الامير محمد . وقد جعل تعيينه
بصفة وقتية حتى يزيد الاضطراب . .^٢

وقد شهد المسيو مور بمسؤولية ولاية سوريا والجنود في
حوادث سنة ١٨٦٠ في رسائل عديدة ارسلها الى سفراء
انكلترا ووزرائها^٦ منها ما كتبه الى السر هنري بولفر في ٣١
ايار سنة ١٨٦٠: « وانتهى الي ان الجنود التركية اطلقت

١ المحررات ج ١ عد ٢١٩

٢ تستا: ج ٦ ص ٥٨

النار امس على المسيحيين في الحدث وبعدها وحرقتها مع
مع وادي شحور وعاريا وبعض مزارع في الساحل ٠٠٠
ويقال ان نفراً من الباشبوزق اتقض على الامير بشير قاسم
امير جبل لبنان سابقاً بينا كانت خدمه يقودونه الى خارج
داره في بعدا وهو بعمر خمسة وثمانين سنة اعمى البصر ٠٠
وقد وجدت جثته مئخنة بضرب السيوف وعنقه مقطوعة. ١
ومنها ان اهالي بكفيا لما بلغهم ما حل باخوانهم هبوا
لنصرتهم فاجتمع اليهم كثيرون من جيرانهم فاحتشدوا في
البلدة لا يقلون عن خمسة الاف مقاتل شاكبي السلاح فبلغ
خبرهم خورشيد باشا فارس اليهم يطيب خاطرهم ويشير عليهم
بالبقاء في بكفيا لانه سيتخذ هو الاحتياطات اللازمة
وفي ذلك يقول المستر مورفي كتابه الى السر بولفر

بتاريخ ١٦ حزيران سنة ١٨٦٠

« اخبرنا (خورشيد باشا) انه سمح للمسيحيين
المحتشدين في بكفيا وعددهم خمسة الاف ان يقوا فيها

بسلحهم وانه سيصدر أمره باعادة السلاح الى من يريد
من المسيحيين اللاجئين الى هنا للعودة الى الجبل انضماماً
لاخوانهم^٦ وانه سيرسل خمسمائة جندي نظامي لنجدة زحلة^٦
وانه أنفذ الاوامر الجازمة الى زعماء دروز لبنان بان لا يبدوا
اقل حركة ٠٠٠ «^١ فكانت نتيجة ذلك ان الجنود التي
ارسلت الى زحلة هي التي كانت محور الشر ولولاها لما حدث
فيها شيء على الاغلب كما يستنتج من كتاب المستر مور الى
السر بولفر في ٢٠ حزيران سنة ١٨٦٠ وفيه يخبره عن حوادث
زحلة وعن خبر سقوطها: « ٠٠٠ اما بخصوص سلوك المشير
وارباب السلطة التركية واعمالهم فاني اتأسف على ان اقول
انه مع شدة ميلي الى ان احسن الظن بهم وانسب اعمالهم
الى افضل النيات فالانباء والظواهر تلقي شديد الريبة في
صدق مقاصدهم ٠٠٠٠ ومن الشائع ان الدروز ارادوا بمهاجمة
زحلة نهار الاثنين من جهة الجبل العسكرية فيها الجنود
التركية^٦ اثبات الاعتقاد العام بانهم يعتبرون الجنود الاتراك

مخالفهم ٠٠٠ »^١ وثاني يوم تأكد المستر مور خبر سقوط
رحلة فارس الى السر بولفر كتاباً بتاريخ ٢١ منه جاء فيه :
« ٠٠ ويقال ان الجنود التركية اشتركت مع الدروز في مهاجمة
المسيحيين وقد اكد هذا الخبر اناس يقولون انهم شهدوا عيان
وان قد وصل المدينة خفية زهاء ثلاثين جندياً
جريحاً ٠٠٠ »

وقد تحقق القناصل ان المسألة ليست بين الدروز
والنصارى بل بين الاتراك واللبنانيين وان الدولة تريد ان
يتفانى اللبنانيون في حرب اهلية لبلوغ غايتها. وبناءً على
هذا الاعتقاد لم يعد القناصل يرجون اقل مساعدة من
خورشيد باشا في سبيل تسكين الحال بل كان اعتقادهم بالعكس.
وقد شهد بذلك المستر مور في كتابه المذكور انفاً عن سعي
القناصل حين بلغهم ان دير القمر مهددة قال : « وفي الوقت
ذاته اشتركت مع رصفائي في استنهاض خورشيد باشا لانتقاد

دير القمر وقد فعلنا ذلك مراعاة للظواهر على غير أمل في
نجاح مسعانا ٠٠٠»^١

وكان ما خشي منه المسترمور ، فان الحامية التركية
في دير القمر فعلت ما فعلته شقيقتها في زحله وفي ذلك يقول
المسترمور في كتابه الى السير بولقر في ٢٣ منه « ان الانباء
المفصلة التي وردت علي عن مذبحه دير القمر تفيد ان
الحامية التركية خدعت الاهالي واقنعتهم بتسليم اسلحتهم ٠٠٠
ان النساء التي جاءت بهن البارجة « غانيت » قنن لقائدها
« لامبير » ان الجنود التركية اساءت معاملتهن اكثر
من الدروز ٠٠٠»^٢

وقد شهد اللورد دفرين ، وشهادته على تركيا لا تُترد ،
« ان المذابح الاخيرة وكل الحروب الفظيعة والاضطرابات
التي دعت لبنان في الخمس والعشرين سنة الاخيرة كانت

١ المحررات ج ٢ عد ٦١

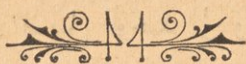
٢ « » ٢ » ٦٢

نتيجة مساعي الحكومة التركية. »

وقد اضطرب احرار النواب في مجالس اوربا لتجدد تلك الحوادث في لبنان فجرت في مجالس العموم الانجليزي مناقشة في هذا الصدد في جلسة ١٧ آب سنة ١٨٦٠ فلم يخف السرشارل نايبير اشمئزازه مما حصل وعطفه على اللبنانيين لان اوربا وعدتهم كثيراً ولم تف لهم بشيء من وعودها كما جرى على يده سنة ١٨٤٠ حين كان كومدور العمارة التي ساعدت تركيا على ابرهيم باشا في سوريا. قال حضرته : « قلت في الاجتماع الذي عقد في ادنبورج وكررته فيما بعد على مسامع ندوة العموم اني مخجول من الدور ... الذي لعبته في سوريا .. ولم يبق ادنى ريب بان الاتراك بذلوا جهدهم لحمل اهالي لبنان على شق عصا الطاعة على الحكومة المصرية فلم ينجحوا فكلفت اذ ذاك بان اعد اللبنانيين بان الاتراك يحسنون معاملتهم اكثر من المصريين ففعلت وكان ان قام جمهورهم على الحكومة المصرية ولولا مساعدتهم

لتعذر على الحكومة نظراً لقلة عدد جنودها اصابة النجاح
الذي ادركته . « ١

وقد بلغت فظاعة تلك الفتن وتجددها مبلغاً حمل اوربا
اخيراً على التدخل في الامر فكانت النتيجة على عكس
ما رجته تركيا من عملها: فبدلاً من ان تتمكن من الحاق
لبنان بالولايات اضطرت الى موافقة الدول على الاعتراف
باستقلاله الداخلي في معاهدة دولية لا قبل لها بالغائها .



الفصل الرابع

تدخل اوربا في لبنان

اتفاق ٥ ايلول سنة ١٨٦٠

تعيين يوسف بك كرم قائمقاماً على النصارى

لما حدثت فتنة سنة ١٨٦٠ بعد فتن سنة ١٨٤١ وسنة ١٨٤٥ أيقنت اوربا ان لا أمان في لبنان ما زال للدولة امل بالغاء استقلاله وان السبيل الوحيد الى وضع حد لتلك الحال هو أن تُعاد الامارة اللبنانية الى ما كانت عليه: يُقام عليها امير وطني تُبنى حكومته على الكفاءة كما كانت الحال في الماضي لا على قاعدة الطوائف التي اوجدها الاتراك بعد سنة ١٨٤١، وان تكفل الدول تلك الامارة وتضمن استقلالها بمعاهدة دولية تقطع آمال تركيا فتهدد البلاد ويرقى لبنان...

ولقد اتمت الدول نصف مهمتها: فكفلت نظام لبنان
بمعاهدة دولية الاّ انها لم تُقم عليه اميراً ولا اعطت لبنان
حدوداً كافية ولا نزعَت القاعدة الطائفية . ولذلك فهي لم
تبلغ الا نصف الغاية المنشودة: فهذأت البلاد الاّ ان الترقى
كان ضئيلاً او معدماً ...

وبالنسبة لعلاقة فرنسا بلبنان كما تقدم باشرت الحكومة
الافرنسية المخابرة مع الدول بشأن التدخل في لبنان فارسل
وزير خارجية فرنسا المسيو توفانل بتاريخ ٦ تموز سنة ١٨٦٠
تعليمات بهذا المعنى الى سفراء دولته في لندره وفيينا ويطرسبرج
وبرلين ليعرضوا على تلك الدول راي حكومة الامبراطور
بارسال لجنة الى لبنان قوامها مندوبو الدول والباب العالي
لدرس الانظمة الواجب وضعها صوتاً لحقوق لبنان واحتفاظاً
بالامن والنظام في بلاد لا يمكن اقلالق راحتها « دون
تعريض السلم في الشرق الى خطر عظيم »^١

١ المحررات ج ٢ ص ١٦٦
الكتاب الازرق الانكليزي في حوادث سوريا سنة ١٨٦٠ وسنة ١٨٦١
عد ٦ ص ٣ و ٤
دي تستاعد ٣٦ ص ٨١ و ٨٣

وكتب الميسو توفانل الى سفيره في الاستانة رسالة
بالمعنى والتاريخ ذاتهما يشير عليه بمفاوضة الباب العالي في الامر.
وعلى أثر تلك المفاوضة ارسل السلطان عبد الحميد الى
الامبراطور نابوليون الثالث رسالة عن قصر طولمه بفتح
بتاريخ ١٦ منه أكد له فيها عزمه على قضاء واجراء العدل في
لبنان ، ومما جاء فيها قوله : « ولكي لا يبقى ادنى ريب في
نيات حكومتي قد شئت ان اعهد بهذه المهمة الخطيرة الى
ناظر خارجيتي (فؤاد باشا) المعروفة اراؤه لدى جلالتم^١ »
وفعلا ارسل السلطان فؤاد باشا الى سوريا بفرمان
يُطلق فيه يده في مسائل لبنان وسوريا وقد احتفل بتلاوته
في بيروت في ١٩ تموز من السنة المذكورة^٢

وبعد مفاوضات طويلة اتفقت الدول ايضاً على شكل
تدخلها ، وكان ذلك في جلسة عقدها مندوبوها في باريس

١ المحررات ج ٢ ص ١٦٨ . دي تستاعد ٣٧ ص ٨٣ - ٨٤ وعد

١٢ ص ١٠ وعد ٣٤ ص ٢٢

٢ المحررات ج ٢ ص ١٧٣ . الكتاب الازرق عد ٦٥ ملحق ٢ ص ٤٣

- ٤٤ ودي تستاعد ٤٤ ص ١٩٠

بتاريخ ٣ آب سنة ١٨٦٠ ذكروا في محضرها اتفاقهم: وأهم ما فيها أن فرنسا ترسل نصف الحملة العسكرية المتفق عليها وأن احتلال الجنود الاوربية لا يزيد على ستة اشهر.

وحتى لا تقوم ريبة في النفوس في مقاصد احدى الدول من التدخل في شؤون لبنان اعلن معتمدوها في الوقت ذاته «تجردهم عن كل غرض وصرحوا بصورة علنية قاطعة بان الدول المتعاقدة لا ينوين ان يطمحن ولن يطمحن ابداً في اثناء اجراءهن عهودهن الى الاستيلاء على بعض اراض او اكتساب نفوذ خاص»^١

وعلى هذا الاساس سافرت الحملة الافرنسية الى لبنان وقوامها الالاي الخامس بامرة الكولونيل كوبر والالاي الثالث عشر بامرة الكولونيل داريكو والسرية الاولى من فيلق الفرسان الاول بقيادة اليوز باشي ستوكلي وعلى هذه الحملة المركيزي بوفور قائدهم عام فبلغت بيروت في ١٦ آب.^٢

١ المحررات ج ٢ ص ٢٤٢ ودي تستاعد ٤٢

٢ المحررات ج ٢ ص ٢٥١ وص ٢٨١

ولم تلبث ان تبعتها اللجنة الدولية فاجتمعت لاول مرة
في بيروت في ٥ ت ١ سنة ١٨٦٠. وهي مؤلفة من المسيو
وكبكر عن النمسا، والمسيو بكلا عن فرنسا، واللورد
دوفرين عن بريطانيا العظمى، والمسيو رقفوس عن
بروسيا، والمسيو نوفيكوف عن روسيا، وكان فؤاد باشا يمثل
الحكومة التركية^١

وفي تلك الاثناء اصدر فؤاد باشا امراً بتعيين يوسف
بك كرم قائماً على النصارى عوضاً عن الامير بشير
احمد اللامي، تاريخه ١٧ ت ٢ سنة ١٨٦٠ ووجه اليه رتبة
قبوحي باشي^٢

وقد سار فؤاد باشا في لبنان على سياسة تخالف وعود
الباب العالي وتعهداته وتزيد في حرج الحال، فهو بدلاً من

١ المحررات ج ٢ ص ٣٦٢

٢ المحررات ج ٣ عد ٢٤

ان يُنزل العقاب الصارم بعمال الدولة مثيري الفتن ومسبئيا
ويعمل على تضييد جراح الاهالي ، أخذ يسعى الى تبرئة
ساحة اولئك العمال الجناة ويستعيض عنهم ببعض من
الاهالي فيصدر عليهم الاحكام الشديدة فيزيد بذلك تنافر
القلوب وحفيظة النفوس ، فاستنتج « المندوبون » من هذه
الاعمال ان في الامر خداعاً من الباب العالي فهو يعلن شيئاً
ويسر شيئاً آخر . وقد شهد بذلك اللورد دفرين في رسالة له
الى سفير انكلترا في الاستانة جاء فيها ما ترجمته : « ان لدي
من المعلومات ما يثبت ان الباب العالي يرسل الى فؤاد باشا
تعليمات تخالف الخطة التي كان تعهد باتباعها ، فان حكومة
الاستانة هي التي اوحى اليه تبرئة خورشيد باشا وسائر الأتراك
في مقابل قتل ٣٠ شيخاً من الدرود^١ »

اما اللجنة الدولية فقد عقدت جلساتها في بيروت من
٥ ت ١ سنة ١٨٦٠ الى ٥ ايار سنة ١٨٦١ ، فاضاعت معظم
تلك الجلسات في البحث في منشأ الفتن واسبابها وفي تقدير

الحسائر التي آلت بالاهالي ، ولم تصل الى الغرض الجوهرى وهو سن نظام جديد للبنان يكفل له اعادة امارته المستقلة وتوحيد الحكومة وتوسيع الحدود الا وقد سُم المفوضون الجدَل حتى اصبحوا وهم يتوقون الى الانتهاء على اى وجه كان ، لاسيما وجو السياسة آتئذٍ مكفهر متلبد فما يريد الواحد يأباه الآخر ، حتى آتج سأمهم واختلاف نزعاتهم بضعة مواد سموها نظام لبنان الاساسى . وقد أرسلت هذه المواد الى الاستانة لعرضها على السفراء والباب العالى . . فشكّل السفراء ومفوض الباب العالى مجلساً لاعادة النظر فى النظام ، مؤلفاً من عالى باشا عن تركيا ، والسر هنري بولفر عن انكلترا ، والمسيو لافالت عن فرنسا ، وبروكش اوستين عن النمسا ، وجولتز عن بروسيا ، ولوبانوف عن روميا .

وبعد مباحثات طويلة ، عادت كل دولة الى الرأى الذى كانت دافعت عنه بواسطة مندوبها فى لجنة بيروت ، وتوقفوا اخيراً الى الاتفاق على نظام لبنان الاساسى الاول

في ٩ حزيران سنة ١٨٦١ .

ولم يكد ذلك النظام يوضع موضع التنفيذ حتى ظهرت
عيوبه وثبت تقصه مما اضطر الدول الى النظر فيه سنة ١٨٦٤
فكان من ثم نظام لبنان الاساسي الحالي وهو لا يفضل
سابقه كثيراً ، الا انه اقل تعقيداً واكثر مرونة : ساعد على
الراحة في لبنان لكنه لم يتمكن من ترقية سياسياً واقتصادياً
ولم يخف على اللبنانيين ما في ذلك النظام من النقص
والحيف فاحتجوا عليه منذ اعلانه . ولئن قضت السياسة الدولية
فيما مضى بعدم تلبية اللبنانيين الى كل مطالبهم فلا شك في ان
مؤتمر الصلح يعيرهم التفاته وينفي عنهم ظلماً حملوه دهرًا طويلاً
وهم صابرون عليه آملين ببارقة ما زالت تلمع امام عيونهم
في الافق البعيد وهي تقرب منهم شيئاً فشيئاً حتى باتوا وهم
يرونها اليوم في يد قادة العالم المتمدن مشعلاً وضاءً يُطلون
به من قمة جبل العدل فينبرون ظلمات الشعوب الضعيفة
ويحيون ميت آمال الامم المغلوبة على امرها ، فينال لبنان
حقه من الاستقلال ثمناً لدماء غزيرة اراقها اللبنانيون على

ممر الاجيال . وكأن ارواح اولئك الشهداء لا تزال ترف
في سماء ارزه الخالد تملأ الفضاء هيبه واسراراً تهيب باناء
اليوم ان يصونوا إرثاً مقدساً تركه الجدود وديعة وامانة بين
ايديهم فليس لهم ان يضعوه في ساعة اضطراب عصبي بل
عليهم ان يحتفظوا به فيخلفوه للابناء والاحفاد : انما الاحتفاظ
بحق موجود أسهل وأسلم من السعي الى استرجاع ذلك
الحق بعد فقدانه ...

اتهى القسم الاول



القسم الثاني



لبنان والقانون الدولي العام

بيان وإيجاز

الباب الأول: شرح نظام بنانه الاساسى

الباب الثانى: تطور البلقانه وصمود بنانه



بيانه وابعاز

في الانسان سليقتان متناقضتان : حب الحرية لنفسه
والنزوع الى استعباد غيره ، وبمعنى آخر سليقة الدفاع عن
حقوقه والرغبة في توسيع دائرتها ، وسليقة التهجم على غيره
والسعي الى تقصيرها . وتفادياً من الفوضى توصل الناس
الى ربط حقوق بعضهم وواجباته ، بحقوق البعض الآخر
وواجباته ، لانهم رأوا ان الهيئة الاجتماعية لا تقوم الا
على هذا الاساس .

ومن ثم قالوا ان حرية الواحد تحدّها حرية الآخر ، وان
حقوق الفرد تنتهي حيث تبدي حقوق الجماعة
وعلى هذه القواعد وُضعت الانظمة في الامم
وإجراءً لتلك الانظمة رأوا انه لا بدّ من إيجاد قوة
اكرهية تُرغم الفرد على التزام حده فلا يتعداه الى اضرار

حقوق غيره

فكانت من ثم الحكومات المتمدنة بالشكل الذي نراها عليه في البلاد الراقية : فهية لسن القوانين ، وهية للحكم بمقتضاها ، واخرى لتنفيذها .

وهذه السلطات الثلاث : الاشتراعية والقضائية والتنفيذية ، هي الآلة التي تدير كل حكومة وكل دولة وكل

امة ، بل هي اساس الهية الاجتماعية في العالم

وما يصح عن الافراد في علاقاتهم بعضهم ببعض ، يصح مثله على الدول في علاقاتها مع بعضها : فكل دولة تميل بحكم الطبع الى توسيع ملكها من ملك الاضعف منها . لذلك كانت الحروب بين الدول ، واساسها طمع القوي بالضعيف وتهجم الكبير على الصغير .

وكما اضطرت كل بلاد متمدنة الى وضع قوانين خاصة تحمي حقوق الافراد ، هكذا اضطرت الدول الى الاتفاق فيما بينها على قواعد عامة من شأنها ان تمنع الفوضى بين الامم فتحمي الامة الصغيرة من الكبيرة ، وتضون كيان الحكومة

الضعيفة من عبث الدولة القوية. فكان من ثم ما يسمونه « قانون الدول العام » وهو مجموعة اتفاقات ومعاهدات عامة : منها ما وُضع لحماية الشعوب الصغيرة ، ومنها ما أُسن لتنظيم العلاقات والمعاملات بين الدول . وقد أخذت كل دولة على نفسها احترام ذلك القانون صوتاً لحقوق الجميع على السواء عملاً بالمبدأ القائل : إن حقوق الواحد تنتهي حيث تبتدي حقوق الآخر ، سواء في ذلك الفرد والامم .

وقد وصلت الدول كالأفراد الى ايجاد السلطة الاشتراعية ، وهي المؤتمرات التي تجمع مفوضي الدول فتضع القوانين الدولية . والسلطة القضائية ، وهي مجالس التحكيم التي تقضي بين الامم بموجب القانون الدولي العام .

ولم يتوصلوا بعدُ الى ايجاد سلطة تنفيذية تُكره الدول على احترام الاتفاقات والمعاهدات ، وهي غاية يسعى الى تحقيقها اقطاب العالمين في محاولتهم انشاء «عصبة الامم» فتقيم صرح السلام في الدنيا على قواعد لا تنزعزع ، فتصبح كل دولة مهما قويت شوكتها مرغمة على احترام القانون الدولي ،

شأن الفرد وهو خاضع لقوانين بلاده مهما اشدّ ساعده
واتسع جاهه وكثر ماله .

ان مستقبل السلام في الدنيا موقوف حتماً على القانون
الدولي العام لان العالم كان منذ الازل ولن يزال الى الأبد
مقسوماً الى ممالك ضخمة قوية وشعوب صغيرة ضعيفة ، فلا
مندوحة والحالة هذه من قانون يكفل للامة الضعيفة حقوقها
من بطش الدولة القوية ، ولا بد من سلطة ترغم تلك
الدولة على التزام حدها

ان كل الامم تستوي في حاجتها الى هذا القانون
والاحتماء بظله كبيرة كانت او صغيرة . فما من دولة قوية
الا وتجد اقوى منها ، وما من امة ضعيفة الا وترى اضعف
منها ، فكل امة اذن على نسبتها ، في حاجة الى القانون
الدولي العام كحاجة غيرها اليه ، لا تغني الدولة عنه اساطيلها
وجيوشها .

فاذا تقرّر ذلك تساوى مركز الامم ضعيفها وقويها
من جهة الحرية والاستقلال ، فلا ينال الاستقلال من

يقدر على الاحتفاظ به بنفسه فقط ، بل يناله ايضاً من يكفل
له قانونُ الدول حريته واستقلاله .

فالحرية حق طبيعي للفرد وللأمم ، فهي القاعدة وغيرها
الشاذ... .

ذلك هو المبدأ الشريف الذي من اجله يتطاحن العالمان
اليوم : مبدأ حرية الشعوب واستقلال الضعيف منها والقوي ...
وبفضل هذا المبدأ الشريف تعود بلجيكا وسرييا مثلاً الى
استقلالهما وتظلات على رغم صغرهما بالنسبة لجاراتهما ،
أمتين حرتين ومملكتين مستقلتين لا سيطرة للاجنبي عليهما ،
بل تكونان وامثالهما من الامم الصغيرة في حي قانون الدول
العام او « عصبه الامم » .

وبفضل هذا المبدأ عينه يكون للبنان على صغره وضعفه
حق الحرية والاستقلال كما كان له ذلك من قديم الزمان ،
بكفالة عصبه الامم ايضاً ، اللهم بغير سيادة اجنبية اكره
على قبولها في الماضي لاسباب لا تتفق اليوم مع ذلك المبدأ

الشريف الذي تموت في سبيله الملايين تحميراً للشعوب
وضمانة لاستقلالهم الصحيح .

.....

وُضع نظام لبنان الاساسي لأول مرة في ٩ حزيران
سنة ١٨٦١ وهو يحتوي على سبع عشرة مادة جعلت اساساً
لادارة الحكومة ، وكلف داود باشا بتجربة تنفيذه مدة ثلاث
سنوات ، وفي نهايتها أشار الباشا بادخال تعديلات عليه فقبل
بعضها وأهمل البعض الآخر ونُشر النظام الحالي في ٦
حزيران سنة ١٨٦٤ وهو مؤلف من ثمان عشرة مادة .^١

إذا نظرت الى النظام من حيث القانون فهو يُثبت
مبدأ الاستقلال الداخلي ، بمعنى انه شكل حكومة مستقلة

١ اهم ما ادخل على النظام الجديد من التعديلات : الغاء مجلس الطوائف
لدى الحاكم ، وتغيير النسبة في تشكيل مجلس الادارة الكبير ، وتعديل تقسيم
البلاد الجغرافي ، والغاء مجالس القامقاميات ، وتوسيع اختصاص المحاكم التجارية ،
وتحويل المحاكم سلطة تعيين القضاة بدلا من تعيينهم بمعرفة الرؤساء الروحيين ،
وحكامة الاكليروس امام المحاكم الاكليريكية وعدم السماح لهم بحماية الفارين .

تمام الاستقلال في ادارة الشؤون الداخلية ولم يترك للدولة مجالاً للتدخل في تلك الشؤون بوجهٍ من الوجوه . وغاية ما أبقى النظام للدولة من الحقوق في لبنان ينحصر في مسألة تعيين الحاكم العام ، على ما أبرقه السير بولفر الى اللورد روسل في ١٢ حزيران سنة ١٨٦١ . قال ما ترجمته :

« ان حق الباب العالي بتعيين الحاكم يحفظ له شيئاً من السلطة على الحكومة ، ومن المحقق ان ليس له غير ذلك من السلطة ، لكنها ليست بقليلة . »

اما اذا أخذت النظام من حيث قيمته بذاته وبمحتـ
فيا اذا كان تدارك اسباب الانشقاق والتقهقر ، ووضع قواعد لترقية البلاد واقامة حكومة فيها وطيدة الاركان ، تبين لك انه من هذه الجهة نظام مبتور فيه من النقص الاساسي شيء كثير .

اجتمعت اللجنة الدولية في بيروت ، ومهمتها الجوهرية

سن نظامٍ يضمن المستقبل للبنان إلا أنها اضاعت
معظم جلساتها في: « البحث في اسباب الحوادث التي وقعت
في لبنان وتقدير الخسائر التي ألت بالاهالي » ولم تصل
الى مهمتها الجوهرية إلا وقد سمّ المفوضون الجدل ، فجاء
نظامهم مبتوراً ناقصاً .

ومن اشدّ عيوبه انه قرّر اموراً وسهل إتيان
اخرى كانت قاضية على لبنان ، فضلاً عما أهمل تقريره
من القواعد الاساسية :

جعل النظامُ الحاكمُ غريباً ومرجعه الى الدولة ، فقصر
هُم الحاكم والحالة هذه على خدمة مصالح الدولة صوتاً لمستقبله .
وجعل الطائفة قاعدة للحكومة في كل مصالحها ، فكان
ذلك سبباً في قتل الروح الوطنية وتقطع اوصال القومية
البنانية . وقرّر اخيراً ذلك الظلم الفاحش بمحصر لبنان
ضمن حدود خانقة بما سلخ عنه من المدن والسهول كبيروت
والبقاع .

ولم يقف الامر على ما كان في النظام من النقص بل

بذل المتصرفون غايةً جهدهم في التهجيم على ذلك
الشبح الهازل حتى أصبح كهلال الشك
وقد أهمل النظام كثيراً من القواعد الأساسية كحق
الاشتراع وتشكيل وزارة ، مما زاد في تقلل الحكومة
واضطرابها

وفي شرح مواد النظام اثبات لما تقدم : فترى ، من
حيث المبدأ ، انه قرّر استقلال لبنان . اما من حيث العمل
فتجد ان فيه مساوي كثيرة :

جعل النظام لبنان حكومةً مستقلة في شؤونها الداخلية ،
بضمانة الدول . وقد وضع لها القواعد الأساسية الآتية :
١ حاكم عام ينصبه الباب العالي بعد موافقة الدول
الضامنة .

٢ مجلس ادارة يهتم بشؤون البلاد الداخلية لا سيما
فيما كان له علاقة بالمالية

٣ تحديد الجبل وتقسيمه الى قائمقيات ، وهذه الى
مديريات ، والمديريات الى نواح ، على قاعدة الاغلبية

الطائفية ، مع الغاء امتيازات المقاطعية ومساواة الجميع امام القانون

٤ ترتيب القضاء على شكل يكفل استقلاله عن محاكم الدولة .

٥ ادارة الامن العام بواسطة جنديّة لبنانية تحت اشراف الحاكم العام .

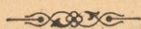
٦ ترتيب مالية لبنان حتى يكفي الجبل نفسه ، مع الزام خزينة الدولة بدفع العجز^١



١ راجع نظام لبنان الاساسي وقرارات الدول « للمؤلف » (طبعة مصر سنة ١٩١٠)

الباب الاول

شرح نظام لبنان الاساسي



الفصل الاول

حاكم لبنان العام



المادة الاولى: « يتولى ادارة لبنان حاكم مسيحي
ينصبه الباب العالي ويكون مرجعه اليه رأساً. »
يتبادر الى الذهن لدى قراءة هذه الفقرة ان الباب العالي
ينفرد بتعيين المتصرف ، والحقيقة هي انه لا يعينه الا بعد
الاتفاق مع الدول بحسب قرار (بروتوكول) ٩ حزيران
سنة ١٨٦١ حيث جاء: « قبل انتهاء مدة الحاكم العام

بثلاثة شهور يطلب البابُ العالي اتفاقاً جديداً مع ممثلي
الدول الكبرى «

وقد حدّدت المادةُ الاولى في فقرتها الثانية حقوق
الحاكم بقولها:

« يعطى هذا الموظف القابل العزل كل حقوق السلطة
التفذية، ويسهر على حفظ النظام والامن العام في كل انحاء
الجبيل، ويحصل الاموال الاميرية، وبمقتضى الرخصة التي ينالها
من جلالة السلطان يقيم تحت مسؤوليته ماموري الادارة وهو
يولي القضاة ويعقد ويترأس مجلس الادارة المركزي ويجري
تنفيذ كل الاحكام التي تصدرها المحاكم قانوناً مع النظر الى
الاستدراكات المنصوص عنها في المادة الثانية. »

ومنعاً لتدخل الدولة في امر تعيين الموظفين في لبنان
نص قرار ٩ حزيران سنة ١٨٦٦ ان الحاكم لا يرجع الى
الدولة في امر التوظيف فجاء في « البروتوكول » ما ترجمته:

« وقد تمّ الاتفاق ايضاً على ان السلطة التي يمنحها
الباب العالي هذا المواظف بتعيين ماموري الادارة تحت

مسؤوليته تعطى له مرة واحدة عند ما يُمنح هو نفسه السلطة
وليس لدى كل تعيين.

هذا فيما خص تعيين الحاكم العام
ولو ترك الرأي لفرنسا لنال لبنان استقلالاً أعمّ وأثبتّ،
فقد كان بودّها ان تُعيد «الامارة اللبنانية» الى ما كانت
عليه من الوحدة قبل «عهد القائمقاميتين» وان يكون على
رأسها «اميرٌ وطني» من الشهابيين اعتباراً ان الاسرة
الشهابية هي عائلة لبنان المالكة بعد الاسرة المعنية، وبهذه
الطريقة يصبح لبنان امارة مستقلة قوية، ولا يكون للحاكم
العام مصلحة في التملق الى الدولة وفي التضحية بمصالح لبنان
على مذبح منافعها

تلك كانت سياسة فرنسا سنة ١٨٦٠
الا ان الدولة اجفلت من تلك السياسة وراعها ذلك
الرأي بعد ان كانت عملت ما لا يُعمل تقويضاً لاركان
الامارة اللبنانية، فلم ترضَ برأي المفوض الفرنسي بل
عارضت فيه اشد المعارضة فوجدت من عَصِد رأيها بين

المفوضين ، وعند ذلك انشقت اللجنة على بعضها . فاقترح مفوض بروسيا ، حسماً للنزاع ، نصاً يوفق على نوع ما بين الرأيين : فلا هو يوجب تعيين امير وطني على لبنان ولا هو ينفي تعيينه حسماً ، فلم يجد مفوض فرنسا بداً من الاذعان امام الاغلبية بعد ان أثبت ان هذا النص يحفظ الحق بتعيين امير وطني في المستقبل .

واليك بعض ما جاء في المفاوضات الرسمية بهذا الشأن :

كتب اللورد دفرين الى السير بولفر في ١٥ ت ٢ سنة ١٨٦٠ ما ترجمه بعرضه : « ان غايتي من هذه الرسالة ايقاف سعادتكم على ملخص الترتيبات التي سي طرحها مندوب فرنسا على ابحاث رصفائه على ما ارجح بخصوص تنظيم لبنان ، ويمكن ان يقال ان قوام مشروعه هو انشاء « امارة مسيحية مستقلة » في قسم من لبنان يمتد من شماليه حتى نهر الاولي بما فيه كل الجهات الغربية وشواطئها البحرية وتدخل مرافئ طرابلس وبيروت وصيدا في هذه الامارة المستقلة وتُنزع تماماً

من يد الحكومة التركية . »^١

وكتب اليه في ٩ ت ١ مايلى :

« اذا كنتُ فقهت نية المسيودي بوفور فالتعويل على مشروعه يؤول الى تقليص ظلّ السلطة التركية عن مرافئ صيدا وبيروت وطرابلس ، ويصبح لبنان على ما يقال معقلاً يلجأ اليه جميع مسيحي سوريا »^٢

وكتب المسيو توفنيل وزير خارجية فرنسا الى سفراء دولته في لوندرا و بترسبرج وفيينا وبرلين رسالة بتاريخ ٢٦ اذار سنة ١٨٦١ جاء فيها ما ترجمه بعضه :^٣

« انا نعتقد بوجود ايجاد سلطة واحدة (بدلاً من المشروع القاضي بتقسيم البلاد الى قائمات بحسب الطوائف) فان توحيد الحكم يوافق كل الموافقة مصالح المسيحيين ، وقد قبل به الدرور من عهد بعيد ، وهو الذي ضمن الأمن في لبنان سنين طويلاً ، فنرى والحالة هذه انه الشرط الاساسي

١ مجموعة المحررات ج ٣ ص ٤٨

٢ المحررات ج ٣ ص ٨٣

٣ تستا ج ٦ ص ٣٧

لتسكين الجبل ، والشكل الوحيد الذي يمكن ان تُبنى عليه
سلطة محترمة ...

فاذا تمّ الاتفاق على توحيد الحكومة فالى من تلقى
مقالدها؟ ... إن رأينا هو ان يكون على رأس هذه
الحكومة حاكم مسيحي وطني .

ولما طال الجدل بين المفوضين على غير جدوى عرض
مفوض بروسيا اقتراحه حسماً للخلاف ، فأبرق المسيو
لافالت سفير فرنسا في الاستانة الى وزير خارجيته في
٢٨ ايار سنة ١٨٦١ يسأله عما اذا كان يرضى بصيغة المفوض
البروسي قال : « أيجب علي ان ارفض كل مباحثة او يمكنني
ان اقبل مبدأ « حاكم واحد مسيحي » بمعنى ان الحاكم
الوطني لا يكون لا اضطرارياً ولا ممنوعاً . »

فاجابه الوزير في اليوم نفسه تلغرافياً :

« لاترك مبدأ « وطنية الحاكم » الا لدى الضرورة
القصوى وعلى شرط ان تُثبت رسمياً ان الوطنيين لا

يكونون محرومين من الحكم في المستقبل»
وكتب اليه في اول حزيران من السنة ذاتها ما ترجمته:
« اذا تعذر ضمُّ رأي مفوضي الدول الى رأينا القاضي
بوجوب جعل الحاكم وطنياً فالامبراطور يصرح لك بقبول
النص الذي عرضه مفوض بروسيا... ومن المفهوم ان قبولنا
هذا معلق على اثبات شروطنا في بروتوكول رسمي». (اي ان
الوطنيين يكون لهم الحق في تولي الحكم في المستقبل.)
فاتفق المفوضون على نص اقتراح معتمد بروسيا، واثبتوا
في المحضر ان الحاكم يكون مسيحياً وان هذا النص لا يحرم
الوطنيين من تولي الامارة في المستقبل
وقد كانت تعيين حاكم اجنبي على لبنان سبباً في ثورة
البلاد مرة اولى بزعامة يوسف بك كرم كما كان التجديده
عام ١٨٦٤ سبباً في ثورتها مرة ثانية كما سيحيى بيانه في
القسم الثالث.

فمن حيث المبدأ ترى ان المادة الاولى ٦ وان لم توجب

تعيين حاكم وطني^٦ غير انها جعلت لبنان حكومة مستقلة عن
الدولة في امورها الداخلية . وقطعت كل علاقة من شأنها
ان تربطها بالباب العالي فأعطت الحاكم السلطة الكافية
لادارة البلاد من غير ان يضطر الى الرجوع في شيء من
اموره الى الدولة .

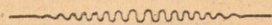
اما من الوجهة العملية فقد وسعت المادة سلطة الحاكم
بحيث أصبح السيد المطلق يأمر وينهي فيما شاء وكيف شاء
واليه مرجع كل شيء في الحكومة .

ولو كان الحاكم وطنياً او مستديماً لكانت قضت عليه
وطنيته ومصالحته بان يستعمل سلطته الواسعة لخير لبنان
وترقيته مادياً وادبياً .

الا ان كونه غريباً ومدته محدودة جملة يستخدم
زمن وجوده في لبنان واسطةً لضمان مستقبله في الدولة . فلم
يكن يقضي امراً في الجبل الا اذا وثق من ارتياح الباب العالي
اليه . من أجل ذلك كان دأب المتصرفين الذين توالوا على
لبنان السعي الى الاقتئات على النظام والاعتداء على

امتيازاته بدلاً من العمل على توسيعها ، فمن ذلك ان
فرنقو باشا تنازل للدولة عن ايرادات البقاع ، ورسم باشا
تخلي لها عن فرق الميزانية ، وواصف باشا قلب نظام القضاء
وأتبعه بعدلية الدولة ، ويوسف باشا فرنقو أدخل قانون
المطبوعات وقانون تذاكر النفوس رغم احتجاج اللبنانيين
الشديد .

فالدول بوضعها المادة الاولى وتوسيع سلطة الحاكم قد
اتكلت اكثر مما يلزم على مروءة المتصرفين ، ولم تستدرك
عقبى تفضيلهم المصلحة الشخصية على مصلحة البلاد ، فكان
ما كان من ركود التقدم في لبنان ، لا سيما وان النظام لم
يخول « مجلس الادارة » ما يلزم من السلطة للعمل لدى
تلكو المتصرفين



الفصل الثاني

مجلس الادارة الكبير



المادة الثانية : شكلَ فيها النظامُ مجلس الادارة المركزي على قاعدة الطوائف في كل من القائمات السبع وقد حدّد سلطة المجلس بقوله : « يكلف مجلس الادارة بتوزيع الاموال الاميرية وبمراقبة ادارة الداخل والخارج وباعطاء رأيه الشوري في كل المسائل التي يطرحها عليه الحاكم »^١

فهذا النص قد ضيق على المجلس كثيراً وغلّ يده غللاً وجعله في الواقع آلة في يد المتصرف الذي ترك له ان

١ يستثنى من ذلك مسألة طلب قوة من عسكر الدولة فقد نصت المادة الرابعة عشرة بوجوب اخذ رأي المجلس في مثل هذه الحال فلا يجوز للحاكم ان يدخل العساكر النظامية الى لبنان الا بعد موافقة المجلس

يعرض على المجلس من المسائل ما يشاء فلم يكن للمجلس قدرة
على مباشرة اي عمل من الاعمال النافعة . وقد سعى المجلس
كثيراً الى الحصول على شيء من السلطة فكان تاريخ
المتصرفية سلسلة منازعات بين الحاكم والمجلس والغلبة في
اكثر الاحايين للمتصرف بفضل الحقوق التي أقرها له النظام
ومنعها عن المجلس . ولم يكتف المتصرف بتضييق النظام على
المجلس بل سعى فوق ذلك الى سلبه ما له حتى اضطرت
الدول الى الاحتجاج على اعمال المتصرفين في بروتوكول
نعوم باشا وشدت على الباب العالي بوجوب التنبية على
المتصرف باحترام حقوق المجلس .

وكان المجلس من جهته يسعى جهده الى توسيع حقوقه
فتوصل بعد عناء شديد ومنازعات شتى مع المتصرف الى
السيطرة على الاشغال العمومية والمشاريع الاقتصادية وكل
ما له علاقة بالشؤون المالية فأصبح وحده يلزم المقاولات
الداخلية في لبنان لفتح الطرق واقامة البنايات وبناء الجسور
وغير ذلك ، وهو وحده يعطي الامتياز بالمشاريع العمومية

كالتنوير بالكهرباء وجر مياه الينابيع ، بغير استشارة الباب العالي .
ولم يكن في هذا ما يمنع ذوي الامتيازات اذا شاؤوا من
طلب التصديق على امتيازاتهم من الاستانة .

وللمجلس التصرف المطلق في إلزام الدخان والتبناك
في لبنان ، وهذه المسألة تثبت جلياً استقلال لبنان في شؤونه
الداخلية استقلالاً مطلقاً بحسب القانون الدولي لان الاتفاق
الذي حصل بين الدولة العثمانية وبين ادارة الديون العمومية
استثنى لبنان من الاحتكار المعمول به في سائر بلاد الدولة .

وهكذا قل عن الملاحات في لبنان ، فان بين
الدولة « وادارة الديون العمومية » مقابلة على التزام
« الادارة » لملاحات السلطنة وقد أرفقت المقاولات
بملحق عددت فيه جميع ملاحات الولايات ملاحه ملاحه
ولم يؤت على ذكر ملاحات لبنان لكونه حائزاً في عرف
القانون الدولي على الاستقلال الداخلي . . .

وكان قد حظر المتصرفون على اللبنانيين استثمار الملح
فعلت الملاحات في لبنان رغم احتجاج المجلس والاهالي

حتى نهض المجلس اخيراً على عهد يوسف باشا فرنقو وطلب فتح الملاحظات اللبنانية فواقفه المتصرف ثم رجع عن موافقته عملاً بإشارة مصلحة الديون العمومية ، غير ان المجلس بقي مصراً على رأيه وما زال يسعى حتى توصل في اول مدة اوهانس باشا الى ادخال الملح الى لبنان عن غير طريق الديون العمومية اثباتاً لامتياز لبنان .

ومما زاد في سلطة المجلس ورفع شأنه ان الدول ألفت انظار الباب العالي في بروتوكول نعوم باشا « الى وجوب احترام حقوق المجلس » وخولته فوق ذلك حق الاشراف على القضاء والمحاكم : فجاء في البروتوكول المذكور « ان القضاة لا يعزلون الا بعد تحقيق مجريه مجلس الادارة »

ولكن كل ذلك لم يعد على الجبل بفائدة تذكر لفساد نظامه من اساسه فيما خص تحديده لحقوق المجلس

١ قدرت ارباح الحكومة اللبنانية من الملح في السنة الاولى بسبعة الآف ليرا وتوفر على الاهالي مايوازي خمسين الف ليرا لانهم بعد ان كانوا يتعاونون بطل الملح من الديون العمومية بثلاثة او اربعة قروش صاروا يشترونه بقرش ونصف او بقرشين .

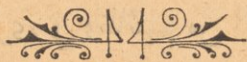
فالنظام لم يجعله هيئة برلمانية ، ولا اعطاه شيئاً من حقوقها ،
ولا ألزم المتصرف باخذ رأيه في كل مسألة ، بل ترك له
الحرية بان يعرض على المجلس ما يريد ، فلم يكن للمجلس
والحالة هذه الا رايه شوري فقط . وقد اخطأ النظام
فوق ذلك في قاعدة تعيين الاعضاء وطريقة انتخابهم مما
ساعد على اضعاف المجلس :

شكل النظام المجلس على قاعدة « الطائفة » فجعل
مثلاً مارونياً عن كسروان واردود كسياً عن الكوره ودرزياً
عن الشوف وملكياً عن زحلة ، فبات كل من اولئك الاعضاء
يعتبر نفسه لا نائباً لبنانياً بل محامياً عن ملته . فالماروني
ينتصر للموارنة والدرزي للدروز وهكذا حتى تطرق منهم
الخلل الى المحاكم فضاعت المصلحة العامة أمام المصلحة الملية
والمنفعة الشخصية . والذي زاد في الطين بلة طريقة الانتخاب
بمعرفة مشايخ القرى : ولعل المفوضين ارادوا ان يجعلوا
الانتخاب على درجتين كما هو متعارف في كثير من البلاد
الدستورية ، وخلاصة هذه الطريقة ان ينتخب الشعب افراداً

في اول درجة ينوبون عنه ثم ينتخب هؤلاء الافراد في
ثاني درجة اعضاء المجلس . فقال ان اهالي لبنان ينتخبون
مشايخ القرى ومشايخ القرى ينتخبون اعضاء الادارة .
ولو تم الانتخاب على هذه الطريقة لهان الامر
الا ان المسألة كانت في الواقع على عكس ذلك وانحصر دائماً
انتخاب اعضاء المجلس بمشايخ القرى دون الاهالي وضاعت
فائدة الدرجتين واشترك الاهالي بحقوق الانتخاب . وبيان
ذلك ان المادة العاشرة نصت انه كل سنتين يسقط ثلث
الاعضاء ويصير انتخاب جديد لهذا الثلث الساقط لكنها
لم تنص بالوقت نفسه ان مشايخ القرى المكلفين بانتخاب
ذلك الثلث يسقطون هم ايضاً معه . ويهتم الاهالي بانتخاب
جديد يتناول ذلك الفريق من مشايخ القرى . فكانت
يسقط ثلث اعضاء المجلس ولا يسقط المشايخ فتتج عن
ذلك بقاء مشايخ القرى في وظائفهم من انتخاب الى انتخاب
وباتوا في الواقع وهم المنتخبون الوحيدون لاعضاء المجلس
لا دخل للاهالي معهم ولا راي .

فترتب على هذه الحال ان المشايخ أنفسهم كانوا
يحدّدون الانتخاب لنفس الاعضاء الساقطين او لاختصاصهم ،
فانحصر المجلس بافراد عائلات مخصوصة كانوا يتعاقبون
على العضوية من انتخاب الى انتخاب فحال ذلك دون
تطور المجلس وأدى الى جموده بجمود معظم اعضائه
وبقاءهم من مدة الى مدة .

فاذا اُضفت هذا النقص في طريقة الانتخاب الى
تضييق النظام ذاته على المجلس والى فساد القاعدة الطائفية
التي بُني عليها تشكيله ، ادركت الاسباب التي جعلت المجلس
اداة مرنة في يد الحاكم ومنعته من الوصول يوماً الى مقام
المجالس النيابية المتمدنة



الفصل الثالث

حدود لبنان

المادة الثالثة — حَصرت هذه المادةُ لبنانَ ضمن حدودِ خانقةِ فسختِ عنه المدن والسهول التي اعطته اياها طبيعة البلاد الجغرافية مثل بيروت وصيدا وطرابلس والبقاع.. وقبل أن تُقدم اللجنة الدولية على بتر هذه الاعضاء الحيوية من جسم لبنان، قضت اياماً واعضاؤها يتباحثون ويتجادلون ويتنازعون.

وكان المفوضُ الفرنسي يجاهد في سبيل الحصول على حدود تضمن للبنان الحياة وتكفل له الاستقلال الاقتصادي بحسب الاستقلال السياسي، ولو فازت فرنسا برأيها لامتد لبنان الى حاصبيا وراشيا ومرجعيون جنوباً، وضم صيدا

ويروت وطرابلس وعكار الى النهر الكبير شمالاً ، ودخلت فيه البقاع شرقاً .

وقد وضعت الحملة الفرنسية في سنة ١٨٦١ خارطة للبنان الاكبر تضم اليه تلك المدن والسهول . . . فأنكرت تركيا على فرنسا رايتها في الحدود كما دُعرت من اعادة الامارة اللبنانية الوطنية ، والسبب واحد في الحالين : سعي الدولة الى قتل لبنان ان لم يكن سياسياً فاقصادياً .

وبعد ان طال الاخذ والرد بالمفوضين قرّر قرارهم على نص هذه المادة الثالثة كما تقدم وبات اليوم لبنان وهو محروم من تلك المدن والسهول اللبنانية .

واذا نظر المرء الى موقع تلك المدن والسهول من لبنان وعلم ان للبنان الفضل الاكبر على سوريا بنصب تربتها وجودة هوائها وان بيروت والبقاع مثلاً هي اراضٍ لبنانية بحجة لأدهشه حرمان لبنان منها .

واوفى شهادة على ظلم لبنان في مسألة الحدود كتابات علماء اوربا ذاتهم ممن لا ناقة لهم في الامر ولا جمل . ومنغماً

للتطويل تقتصر على ما كتبه حضرة المستشرق المعروف الاب
هنري لامنس في كتابه «تصريح الابصار في ما يحتويه
لبنان من الآثار» قال :

« في تقسيم المياه على جوانب لبنان فائدة كبرى
تجدي كل بلاد الشام نفعاً فضلاً عن الجبل ، فكما
ان النيل يحيي البلاد المصرية كلها كذلك لولا لبنان لأصبحت
بلاد الشام كصحراء غامرة لاخير فيها كصحارى جزيرة
العرب ، فان لبنان يمتصّ فوق رباه نداوة البحر ويجذب
الابخرة المتصاعدة الى الجوفتكائف وتنزل على قممه امطاراً
وثلوجاً تتوزع من ثم على جميع انحاء الشام على هيئة ينابيع
وجداول وبحيرات ، فلو عدم لبنان لنضب نهر العاصي
والليطاني بل ليست كل مسایل سواحل فينيقية ، وما كنت
لتجد شيئاً من حدائق طرابلس ورياض بيروت وبساتين
صيدا وبطاح البقاع المنخبة ، بل كنت ترى مغازات
مقفرة تمتدّ مدى البصر وهي جرداء صلعاء ليس في ارمالها
ديار ولا نافخ نار . »

وقال في مكان آخر من الكتاب ذاته:

« الفوائد الجمّة التي تستفيدها سوريا من لبنان على

اربعة اصناف منها هيدروغرافية وجيولوجية ومنها نباتية

ومنها جوية ومنها ما يرجع الى الامزجة والاجسام:

« لاحاجة ان نسترسل في الكلام عما يجدي لبنان

القطر السوري من المنافع الهيدروغرافية اذا اتنا وصفنا

سابقاً ما يختص بمجري المياه في لبنان وغاية ما نقوله هنا اننا

لم نعال في وصفنا المذكور، وكفانا التأييد مقالنا ان اكبر

انهار سورية وهو العاصي ينبجس من لبنان فيجري الى شمال

سوريا ويخصب نواحيه وذلك ما حمل القدماء على انشاء

مدن عظيمة في تلك الجهات كحمص وحماة وانطاكية، ولولا

هذا النهر لأصبح وادي العاصي قفراً مقفراً لا يأوي اليه

سوى قوم من عرب البادية وهو به جنة غناء يتقلب فيها

الوف وربوات من البشر في خصب دائم وعيش رفيه. وما

قلناه عن وادي العاصي يصح ايضاً في سهل البقاع وفي

ساحل البحر من طرابلس الى صور: فان هذه البطائح المعروفة

اليوم بوفرة خيراتها وريع ما آتيتها ونضارة خدائقها الا من فضل
لبنان الذي يرسل اليها مياه ينابيعه النميرة مع دسم تربته التي
تنحدر مع السيول وترسب في قاع الارض فتخصبها وتسمنها .
« ويزيد على ذلك ان التربة التي جرفتها المياه من
مشارف لبنان هي التي صارت اليوم بطحاء فسيحة الارحاء
زاهية الزروع تمتد من طرابلس الى مصب النهر الكبير ،
ولو لا ان مجاري المياه تسحو هذا الطين اللزج من معاطف
الجبل لكان هذا السهل جوناً تعمره مياه البحر كما ترى في
جهات اخرى ، لانه من النواميس الثابتة تمام الموازنة والمقابلة
بين السلسلة اللبنانية والشواطئ البحرية اي ان لبنان كلما
امتد نحو البحر كان رأساً داخلاً في المياه واذا اندحر
امتبطته المياه فصارت في بطنه خليجاً . اما هذه نواحي
طرابلس فان انهار لبنان وجبل عكار وعلى الاخص النهر
الكبير انحدرت اليها وملأت بالتربة التي سقطها الجون الذي
كان هناك وهو يُعرف حتى اليوم بجون عكار دلالة على
اصله لكنه في الوقت الحاضر خبت منفسح ذو نعومة وخصب »

وقال عن فضل نهري لبنان الاولي والليطاني على صور
وصيدا مايلي : « ولولا الاولي والليطاني لما وجدت صور
وصيدا فان بناتهما اختاروا مصب هذين النهرين لما كانوا
ينتظرونه منهما من الفوائد التجارية وهو الامر الذي جعل
لهاتين الحاضرتين شأنًا تجاريًا لم تبلغه بيروت وجبيل لخلوهما
من نهرين يجديانها المنافع ما احرزته صور وصيدا بنهريهما »
وفي تلك السنة نفسها اي في ايار سنة ١٩٠٢ بمناسبة
انتهاء مدة نعوم باشا نشر حضرة الاب لامنس المذكور في
« مجلة الاونيفر » بحثًا عن استقلال لبنان منذ معاهدة سنة
١٨٦٠ جاء فيه عن ظلم لبنان في تلك المعاهدة بالنسبة للحدود
ما ترجمته ملخصاً :

« ان حكومة لبنان المستقلة لا تملك الا جزءاً لا يتجاوز
ثلاثة احماس لبنان الجغرافي ... اما حدود لبنان الجغرافية
فهي تمتد من البحر المتوسط غرباً الى النهر الكبير شمالاً الى

١ الاب هنري لامنس : كتاب تسميح الابصار جزء ١ ص ٥٣ وجزء

٢ ص ١١ و ١٩

العاصي شرقاً ، الى اللبطني جنوباً وقد سلخوا عن لبنان
قائمقامتي طرابلس وعكار شمالاً ، وقائمقامية صيدا جنوباً ،
واغرب من هذا ما سلخوه من الجهة الشرقية حيث الحدود
الطبيعية ظاهرة للعيان . يكتفي فيها اتباع مجرى العاصي
واللبطني وقد وضعوا بدلاً من ذلك حداً اساسه خطأ
وهي يمر على قمة الجبل من اوله الى آخره ، وبهذه الطريقة
حرموا لبنان كل البلاد الموجودة على مصب الجبل الشرقي
والحقوها بولاية دمشق ما عدا بعض النواحي كالهرمل وزحلة .
ومن جهة البحر المتوسط لم يكتفوا باقتطاع بلدة القلمون بل
سلخوا بيروت ايضاً وضواحيها رغم كونها محاطة من كل
جهاتها بارض لبنانية ، حتى ان والي بيروت لا يقدر على المخابرة
مع ولايته الا بطريق البحر ومن المحقق ان الاسباب
التي دعت الى هذه الاقطاعات ليست من الجغرافية
في شيء

١ الاب هنري لامنس : استقلال لبنان الذاتي في اربعين سنة : مجلة الاونيفر

١٢ ايار سنة ١٩٠٢ ص ٥ وما يليها

وكل من كتب عن هذه المسألة من الفرنجة او سواهم
لا يتمالك عن قول ما قاله الاب لامنس من « ان الاسباب
التي دعت الى هذه الاقطاعات ليست من الجغرافية في
شيء »

وقد رفع اللبنانيون الاحتجاجات بذلك الى الدول
طالبين اعطاء لبنان حدوده الطبيعية . وأوفى احتجاج
قدم بهذا المعنى لائحة قدمتها بلدية زحلة الى الدول في
اذار سنة ١٩١٣ بعنوان « البقاع للبنانيين » وفيها من ضمن
الادلة التاريخية على ان البقاع كان داخلاً في الامارة
البنانيين ما يأتي :

« ان الامير نحر الدين الثاني جفف في اثناء حكمه
مستنقعات عميق الواقعة في اقطاعة البقاع ٠٠٠ وبعد سنة
١٧١١ على اثر موقعة عين داره استعمر المعيون البقاع
لانه دخل في اقطاعهم وعمروا حاضرتة زحلة .
» ومن المتعارف ان الامير بشير الشهابي الكبير جفف
مستنقعات عميق ثانية وبني المعلقة ككرسي حكومة البقاع

اليوم ، على اتقاض بلدة الكرك .

« ومن الحقائق التاريخية ان الامير بشير كان يسمى
بنفسه على البقاع حكماً ، منهم ملحم حيمور احد سكان
جب جنين .

ويؤيد ذلك انه في سنة ١٨٢٠ أرسل الامير بشير
ولده الامير خليل الى البقاع فطرد حسن اغا العبد الذي
عاش في البقاع وزحلة ، وتولى حكم البقاع ٠٠٠

« وقد بنى هذا الامير ايضاً سراي المعلقة التي اقام فيها
ابراهيم باشا المصري وكبار قواده وسمى عهدئذٍ من لدنه
وكيلاً لحكم البقاع وزحلة .

« ولا يزال القسم الكبير من املاك البقاع يسمى الى
الآن « بالشهاية » نسبة الى الامير بشير الكبير واسلافه ،
بل لا تزال بعض مطاحن وارض في غربي البقاع مسجلة
في دفاتر حكومة الولاية باسم آل جنبلاط والبنانيين ، ولم
ينقطع خراج هذه الاراضي عن آل جنبلاط الا منذ
خمس عشرة سنة .

« وفي عهد القائميتين اللتين تولى القائماتية المسيحية
منهما الامير حيدر اسمعيل اللمي المتوفي سنة ١٨٥٤ ، كانت
زحلة تسمى « مدينة البقاع » وكانت حدود هذه القائماتية
عهدئذ من شاطئ البحر المتوسط غرباً حتى سطح « اتيلبنان »
شرقاً ، وبلاد حمص والحصن وعكار شمالاً ، وكانت طريق
الشام الفاصل الجنوبي بين القائماتيتين .

« وعندما نشبت فتنه الستين كان البقاع تابعاً بكليته
للبنان ففرّ اهله الى زحلة والجبل ونالوا كبقية اللبنانيين
نصيبهم من المسلوبات والتعويضات ، وكانت جميع علائق
البقاع لبنانية محضة .

« وعندما قدم الجبل داود باشا متصرفه الاول كانت
حدود لبنان تنتهي شرقاً بنهر الليطاني المتخلل سهلي بعلبك
والبقاع حتى مسلة (قاموع) الهرمل ، وجنوباً نهر القاسمية
حتى البحر الرومي ، وغرباً ببحر الروم ما عدا بيروت وكانت
مزرعة العرب في ظاهر بيروت وبستان الآباء اليسوعيين
ورواي الاشرفية كلها تابعة للبنان ، وشمالاً متصرفية

طرابلس وجبل الشعراء ، على ما هو مسجل بسجلات حكومتي سوريا ولبنان .

« ولقد رأى داود باشا ان الضيق سيحدو باللبنانيين الى المهجرة اذا لم يوسع نطاق جبلهم الى ما وراء البقاع اللبناني ايضا فسعى بتخيم عرائض من مرجعون ووادي التيم ومدينة بيروت وبعض المدن الساحلية بطلب انضمامها الى الجبل للتمتع بامتيازاته الدولية وسافر الى الاستانة وعرض للباب العالي هذا الطلب سنة ١٨٦٨ فحال فؤاد باشا دون هذه الامنية وكان ذلك سبباً في عزل داود باشا .

« وما كاد يعزل داود باشا وينصب خلفه فراتقو باشا سنة ١٨٦٨ حتى اخذت ولاية سوريا تقلص ظل حكومة لبنان عن البقاع شيئاً فشيئاً الى ان تمكن وكيل الولاية نجيب بك بدرخان سنة ١٨٧١ من سلخ البقاع وجعل المعلقة كرسياً لقائمقامية جديدة سميت قائمقامية البقاع وازيفت الى ولاية سوريا . وان اول قائمقام على البقاع اقام رسمياً في سراي المعلقة هو عبد الرحمن ناجم افندي وذلك نحو سنة ١٨٧٢

فعمراً قائماتية البقاع المستحدثة لا يتجاوز اذن ، بشهادة سجلاتها ، اكثر من اربعين سنة ، واغتصابها من اللبنانيين امسى بعد هذه الادلة امراً محسوساً ...

« ومن الحقائق الواضحة ان حدود البلاد تكون دوماً حواجز طبيعية كالنهر او الجبل او الوادي مثلاً . فمثل ذلك أصبح اليوم مفقوداً بين لبنان والولايات المشتبكة حدودهما اشتباكاً غريباً يتعذر معه على اولي الامر كشف هذه الحدود ، فتحدث المشاكل في كل آن ، ويكون للقوي دوماً حق على الضعيف في تركيا ، كما حدث في عهد مظفر باشا نفسه . ومما يلفت النظر ويثبت كيف ان الولاية نشبت اظفار مطامعها في لبنان ان بين زحلة والمعلقة يموتاً نصفها في لبنان والنصف الآخر في الولاية وكذلك فان من البساتين اللبنانية ما هي واقعة في منتصف الولاية والعكس بالعكس . فحدود وهمية كهذه دليل ما بعده دليل على اغتصاب البقاع شيئاً فشيئاً . »

وقد أرسلت بلدية زحلة لاثحتها هذه الى بلديات لبنان

لاخذ رأيها فبادر اللبنانيون عموماً الى الانضمام الى اخوانهم
الزحلين في احتجاجهم هذا وفي طلب رد البقاع الى لبنان .

*

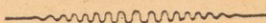
ومن الادلة التاريخية على ان البقاع والمعلقة كانا للبنان
حتى عهد الامير بشير الكبير ما جاء في كتاب « الرسالة الجديدة
في سوريا » للاب جوليان اليسوعي عن حديث دارين
الامير بشير الكبير والاب ريكادونا اليسوعي حوالي سنة ١٨٣١
فيما خص ايجاد محل لبناء دير لليسوعيين في نواحي البقاع :
قال الامير للمرسل : اذهب واختر المكان الذي يوافقك
وابتع وابن وانا ادفع لك الثمن . فقال له المرسل انه
يستحسن ارض المعلقة في البقاع لبناء الدير . فقال له
الامير : حسن ، ان المعلقة وارضها ملكي الخاص ولي ان
اتصرف بها كيف اشاء فاذهب وزر البلدة وخذ المكان
الذي يروق لك . وهكذا كان . والاب ريكادونا المذكور

شاهد عيان ولا غبار على صحة شهادته وهي تقرر ماجاء في
لائحة زحلة من ان قسماً كبيراً من البقاع يسمى حتى الآن
« بالشهاية » نسبةً الى الامير بشير الكبير واسلافه .

وقد احتجت جمعيات اللبنانيين في المهاجر على سلخ
تلك المدن والسهول عن لبنان وقدمت تقارير بطلب
اعادتها كما تقتضيه طبيعة البلاد والضرورة الاقتصادية .

ولولا ان اللبنانيين اهل مراس وعزيمة ونشاط واجتهاد
لما تمكنوا من المعيشة في تلك الجبال محصورين في منطقة
ضيقة من صخور ووهاد وانجاد لا منفذ لهم الى البحر ولا
مخرج الى السهل .

تلك بلية اقتصادية مُني بها لبنان فوق بليته السياسية
منذ السنة الستين ، ولا شك في ان الدول ستنصفه اقتصادياً كما
تُتنصفه سياسياً بعد هذه المحن التي عاناها ولا يزال يعانيها
حتى اليوم .



الفصل الرابع

القضاء في لبنان



المادة السادسة وما يليها: في المواد السادسة والسابعة الى المادة السادسة عشرة، وضع النظام قانون المحاكم وكيفية تشكيلها.

وخلاصة قانون المحاكم في لبنان بحسب النظام ينحصر فيما يأتي:

الموارد المدنية . محاكم جزئية : اختصاصها لغاية مبلغ ٢٠٠ غرش صاغ يحكم فيها مشايخ القرى نهائياً بغير استئناف محاكم ابتدائية: وهي تؤلف من قاض واحد ومن وكيل للمدعي العمومي يسميهما الحاكم، ومن ستة وكلاء تختارهم الطوائف الست . واختصاص هذه المحاكم يتناول القضايا التي

تزيد قيمتها عن ٢٠٠ غرش صاغ ويكون حكمها ابتداءً قابلاً للاستئناف. وقد جعل النظام عددَ المحاكم الابتدائية ثلاثاً تنعقد في المركز الذي يختاره الحاكم، وله ان يزيد عددها عند الاقتضاء

مجلس المحاماة الكبير: وهو يشكل من ستة قضاة يختارهم ويسميهم الحاكم بين الطوائف الست: الموارنة والدروز والروم الارثوذكس والروم الكاثوليك والمتاولة والمسلمين. ومن ستة وكلاء تختارهم هذه الطوائف واذا كان احد المتقاضين من طائفة البروتستنت او من اليهود يُضاف الى المجلس قاض ووكيل من طائفته. ويرأس هذا المجلس موظفٌ خاص يسميه الحاكم، وهذا المجلس يحكم استئنافية في القضايا التي تعرض في اول درجة على المحاكم الابتدائية.

جعل النظام الطائفة اساس العدل على اعتقاد القاضي اذا كان من هذه الطائفة فهو يظلم حتماً ابناء الطائفة الاخرى.

لذلك نصت المادة السابعة ان القضايا المختلطة^٦ اي التي تقع بين افراد ليسوا من طائفة واحدة^٦ ترفع مباشرة امام المحكمة الابتدائية وان كانت القيمة اقل من ٢٠٠ غرش صاغ ما لم يتفق المتقاضون على قبول اختصاص شيخ صلح المدعى عليه. وعملاً بالمبدأ نفسه قررت المادة المذكورة ان للمتقاضين الحق اذا كانوا من طائفة واحدة ان يطلبوا امتناع من لم يكن بين القضاة من طائقتهم . وليس اغرب من هذا المبدأ الذي يجعل العدل قيد النعمة الطائفة.

المواد الجنائية : قسم النظام القانون الجنائي كقسمته في سائر القوانين الى ثلاثة اقسام :

مخالفات : يحكم فيها مشايخ القرى

جنح : يحكم فيها المحاكم الابتدائية

جنايات : يحكم فيها مجلس المحاكمة الكبير

واستدرك النظام ان الاحكام التي تصدر في الجنايات لا تنفذ الا بعد اتمام المعاملات المتبعة في بلاد الدولة . والمقصود من هذا الاستدراك عدم تنفيذ الحكم بالاعدام الا

بعد استشارة السلطان .

ولا تفيد هذه الفقرة ان الاحكام تُميز من لبنان الى
الاستانة: فكلمة المعاملات «Formalités» في القانون لا
يمكن على الاطلاق ان تعني «محكمة» من اختصاصها اعادة
النظر في الدعوى

ولو قصد النظام ان يفتح باباً لتدخل عدلية الدولة
بلبنان لوجب ان ينص صريحاً: ان فوق المحاكم الثلاث التي
سماها «محكمة للتمييز» (نقض و ابرام) وهو ما لم يذكر في
ترتيب المحاكم ولا يمكن ان يكون له وجود بغير نص صريح.
المواد التجارية: اعتبر النظام ان المعاملات التجارية
في لبنان وحده نادرة او غير معروفة وان اللبنانيين اذا
تاجروا تكون معاملاتهم مع تجار بيروت على الاكثر، فنص
في المادة التاسعة ان كل دعوى تجارية تنظر فيها محكمة بيروت
التجارية

ولما زادت اسباب التجارة في لبنان وجرت معاملات
تجارية بين اللبنانيين بعضهم من بعض اعادت الدول النظر في

هذه المادة بناءً على احتجاج اللبنانيين وافقت في بروتوقول
اوهانس باشا على ان تنظر محاكم لبنان في القضايا التجارية
التي تقع بين اللبنانيين.

واستدرك النظام من جهة اخرى القضايا التي تقع بين
الأجانب واللبنانيين سواء في المواد المدنية او التجارية فاحالها
على محكمة بيروت التجارية ما لم يتفق المتقاضون على
مجلس تحكيم يفصل في الدعوى

فترى مما تقدم ان النظام جعل القضاء مستقلاً في لبنان
وايد في هذه النقطة ايضاً مبدأ الاستقلال الداخلي كما ايدته
في المسائل الاخرى. الا ان جعله الطائفة اساس العدل لم
يكن من الحكمة في شيء فاصبح اعضاء المحاكم في لبنان
بفضل هذه الطريقة وهم اقرب الى كهنة رعايا والى مرسلين
مبشرين منهم الى قضاة منزهين فباتوا وهمهم الاكبر ان يدافع
كل منهم عن ابناء طائفته لا ان يجري العدل مجرداً بين الناس
ولم يك استقلال العدلية في لبنان ليرضي الدولة
فاشارت على المتصرفين ان يعملوا جهدهم بالغائه وتعليق قضاء

لبنان بعدلية الدولة باي شكل كان

فقام باعباء هذه المهمة واصبه باشا فغير ترتيب المحاكم اللبنانية وجعلها كمحاكم الولايات فاقام في لبنان ثمان محاكم ابتدائية في كل مركز قائمقامية محكمة ، وفي دير القمر محكمة . والمحاكم تولف من رئيس يختاره الحاكم من الطائفة الغالبة عدداً ومن عضوين يعينهما من الطائفتين اللتين تليان في العدد . وفي مركز المتصرفية دائرة حقوق ومحكمة جنايات رئيس الاولى منها ماروني ورئيس الثانية درزي وفي كليهما ستة اعضاء يختارهم المتصرف من الطوائف الست . فلم يغير هذا التشكيل الجديد قاعدة الطوائف الاساسية التي وضعها النظام اما ادخل على البلاد بهذه الطريقة قوانين الدولة وسهل على اللبنانيين بدعة التمييز ، وفي ذينك الامرين ما فيها من مس امتيازات لبنان .

فاحتج عقلاء لبنان لدى الدول على هذا الحرق للنظام فابنت الدول احتجاجهم وايدته في اول فرصة سنحت اي لدى تعيين نعوم باشا خلفاً لواصه باشا سنة ١٨٩٢ فجاء في

بروتقول تعينه ما يأتي :

« ورأى ممثلو الدول ان يحولوا نظر الباب العالي الى بعض تغييرات ادخلت على نظام لبنان ويطلبوا منه ان يتعهد في المستقبل بتنفيذ نصوصه مع السهر خصوصاً على ما يأتي :

. ١

٢ « ان يعاد تنظيم القضاء المشكل في نظام ١٨٦٤ والذي غيره حكام لبنان بغير موافقة الدول طبقاً للمواد ٦ و٧ و١٠ من النظام المذكور . . . »

وقد تعهدت الدولة باحترام النظام والرجوع الى نصوصه « فاعلن دولتو سعيد باشا ان الباب العالي يعتبر الطلب المذكور وبناءً عليه سيوصي الحاكم بان يحترم نظام لبنان فينفذ بامانة كل نصوصه . . . وبدلاً من ان يوصيه باحترام النظام اوصاه بالعمل جهده على الغاء ما يقدر على الغائه منه . فتوصلت الدولة بفضل المتصرفين وما اعطاهم النظام من السلطة الواسعة الى ربط عدلية لبنان بعدليتها ونزع استقلاله القضائي وهو من اهم اركان استقلال البلاد الداخلي .

الفصل الخامس

جنديّة لبنان

المادة الرابعة عشرة: « يتولى الحاكم حفظ الامن وتنفيذ القوانين في الاوقات العادية بواسطة هيئة بوليس مختلطة تؤخذ بنسبة سبعة انفار عن كل الف من السكان ٠٠ »

اثبت النظام في هذه المادة مبدأ استقلال لبنان الداخلي في مسألة الجنديّة بفصله اياها عن جيش الدولة كما اثبت استقلاله في المسائل الأخرى . وقد علفت الدول على « استقلال الجنديّة » اهمية خاصة فقررت المادة السابقة انه لا يجوز لمساكر الدولة دخول لبنان الا براية مجلس

الادارة فجعلت راي المجلس الزامياً في هذه المسألة . وليس
برهان اقوى على استقلال لبنان من تحريم ارضه على
جيش الدولة خلافاً لما هو متبع في سائر الولايات . وقد
قررت المادة ان تكون نسبة الجنود الى السكان كنسبة
سبعة الى الالف حتى يتألف منهم عددٌ كافٍ لحاجة البلاد
ويصبح كفوفاً للقيام بكل ما يُفرض عليه من الواجبات
فلا يضطر الحاكم الى طلب « مساعدة العساكر النظامية من
حكام الدولة في سوريا . »

ليس في لبنان احصاءٌ رسمي يُعول عليه في تعداد
النفوس ، لكن المتعارف ان العدد يبلغ ٤٠٠٠٠٠٠ نسمة ،
فكان يجب والحالة هذه ان يبلغ عدد الجنديّة في لبنان
٢٨٠٠ في حين انها لم تكن تبلغ اكثر من ٨٠٠ نفرًا .
وكان هذا العجز في الجنديّة سبباً سؤلاً للمتصرفين ابقاء
قوة من « عسكر الدراغون » في لبنان وهو خرق للنظام
وفيه مساسٌ ظاهرٌ للامتيازات .

وقد زاد فرتقو باشا على ذلك اعطاء الدولة الحق في

منح رتبة الامير الاي والبكاشي في الجند اللبناني فعلق بهذه
الواسطة جندي لبنان بأنظمة الدولة العسكرية كما فعل بعده
واصفه باشا في مسألة العدلية.

الفصل السادس

مالية لبنان

المادة الخامسة عشرة : على هذه المادة قوام ادارة
المالية، وخلاصتها أنَّ على الحكومة اللبنانية ان تبذل جهودها
للتوفيق بين ايرادات الجبل وبين مصروفاته ضمن دائرة
معينة فلا هي تدفع للدولة ولا هي تأخذ منها. غير ان المعتاد
قانوناً هو ان الدولة صاحبة السيادة على بلاد تأخذ من تلك
البلاد جزية اثباتاً لحق السيادة، لذلك قالت المادة ان على

لبنان جزية قدرها ٣٥٠٠ كيس يحتفظ الباب العالي بحق تحصيلها وقد سمح النظام بزيادتها الى ٧٠٠٠ كيس اذا اقتضت الحال . وقد رخص بروتقول ٩ حزيران سنة ١٨٦١ للمتصرف ان يزيد الميزانية عن ٧٠٠٠ كيس على شرط « ان لا يستعمل هذا الترخيص الا بمزيد التحفظ »^١

ولما كان المقصود من هذه الفقرة اثبات حق السيادة مبدئياً لا تحصيل الجزية فعلاً^٢ ، أردفت المادة هذا النص بقولها : « ان الخزينة السلطانية لا تأخذ من لبنان مالا الا اذا حصل زيادة في الإيرادات على المصاريف . »

وكان من المفهوم والمتفق عليه بين الدول وبين الباب العالي ان إيرادات لبنان لا يمكن ان تفي بمصاريفهم لانهم ما تركوا له الا جبلاً جرداء وأنجاداً صلعاء بعد ان اقتطعوا منه سهوله ومدنه الطبيعية لمصلحة الدولة. لذلك اتفق المفوضون مع الباب العالي على تحميل الخزينة السلطانية عجز الميزانية

١ الكيس يوازي خمس ليرات عثمانية فتكون قيمة ال ٣٥٠٠ كيس ١٧٥٠٠ ليرة وقيمة ال ٧٠٠٠ كيس ٣٥٠٠٠ ليرة .

البنانية لقاء الحيف الذي لحق لبنان بتضييق حدوده .
فصت المادة المذكورة انه « اذا كانت المصاريف العمومية
الضرورية لسير الادارة بنظام تزيد عن مجموع الاموال
المضروبة فعلى خزينة الدولة ان تقوم بما زاد من هذه
المصاريف »

وكان المفوضين شعروا بشدة الظلم الواقع على لبنان
من جهة الحدود فابت عليهم أنفسهم الا ان يوجبوا على الدولة
في المادة الخامسة عشرة ان تباشر حالاً دفع مبلغ مقرر
للحكومة اللبنانية من اصل المطلوب لها . وهذا نص الفقرة
« بما ان البكاليك او محاصيل الاملاك الهمايونية هي مستقلة
عن الاموال المضروبة فهي تدفع لصندوق لبنان من اصل
المطلوب لهذا الصندوق من خزينة الدولة »

ورؤي ان اموال البكاليك غير كافية ومالية الدولة غير
مأمونة فوجبوا عليها تخصيص ايراد البقاع بصندوق لبنان .
وفعلًا ظل لبنان يقبض على مدّة ايراد البكاليك وايراد

البقاع حتى قطع فرتقو باشا اراد البقاع وتبعه رستم باشا
فقطع الباقي^١.

اما مبلغ ٣٥٠٠ كيس او ١٧٥٠٠ ليرة فكان اقل من

١ اما اراضي البكاليك فقد شرحها مجلس الادارة في مضبطته الصادرة في
٧ ت ١ سنة ١٢٨٨ (سنة ١٨٧٣ م) عمرة ٦٤٩ حيث جاء ما حرفيته :
« واما ما كان من امر الاملاك المعروفة الان بالبكاليك او الاراضي الاميرية
فهذه لم يكن لها اصل بالجبل بالمدات الاولى غير انه بانتقال امارته من الواحد
للآخر كان الخلف يضبط ارزاق السلف . وبعضها من اعيان البلاد واهاليه
بوجه الضبط ايضاً ، وتسمى هذه الاملاك بكليكا تورد حاصلاتها الى حاكم الجبل
لمصرفاته . وبقي الحال هكذا حين انفصال الامير بشير عمر عن اماره الجبل
وتنصيب خلفه ، تحت رابطة المال المقطوع ثلاثة الاف وخمماية كيس ، من
اصله معاشه ومعاش سائر المأمورين . فهذه المحلات المسماة بكليكا صارت من
ذاك الحين تتلزم من طرف خزينة االة صيدا وتورد قيمة بدلات التزامها
لصندوق الخزينة خارجاً عن مال الجبل المقرر . ومنذ ذلك اكتسبت الاسم الثاني
اي اراضي اميرية او ارزاق هابونية وجميعها بمعنى واحد وهي في ايدي الاهالي
بمقتضى حق « مشد مسكتهم » يدفعون عنها لجانب الميري السبع من المزروعات
ورسومات معلومة على عدد الاشجار المفروسة فيها . ويوجد اشجار زيتون
قديمة معلومة خاصة الميري على حدة ، ويوجد اشجار زيتون شركة الاهالي فالى
الميري منها الربع ومنها النصف . وقد تقدم للباب العالي دفتر بذلك حاوي تفصيلات
هذه الاملاك واما كلها ورسوماتها وقسوماتها في سلف محرم سنة ١٣٨٩ و ١٩
مارت سنة ٢٨٨ . و فراغ وانتقال هذه الاراضي الاميرية من شخص لآخر بحق
مشد المسكة هو جار بحسب اصول تصرفات مشد المسكة بكامل حقوقه وببدل
التزامها جار تحصيله لصندوق الجبل من اصل مرتبات مصارفاته بمقتضى البند
الخامس عشر من نظام الجبل المقرر »

ان يقوم بنصف مصاريف الحكومة مهما بولغ في التقدير فيها
فاضطر المجلس الى ابلاغ الميزانية الحد الاقصى المنصوص
عليه في النظام فجعلها ٧٠٠٠ كيس او ٣٥٠٠٠ ليرة فلم
تغنيه هذه الزيادة شيئاً وبقيت الميزانية في عجز عن القيام
بالمصاريف . فاضطرت الخزينة السلطانية الى سد العجز
عملاً بمنطوق النظام . فدفعت لصندوق الجبل سنة ١٨٦٢
مبلغ ٢٠٠٠٠ ليرة ثم اخذت تنقص هذا المبلغ سنوياً حتى
امتنعت عن الدفع سنة ١٨٨٠ لان المتصرفين كانوا في
تلك الاثناء قد فرضوا على البلاد ضرائب جديدة لسد العجز
مثقلين كاهل الاهلين ومخففين عن الدولة حتى كاد يبلغ مجموع
الضرائب الحديثة ما يوازي قيمة الميزانية الاصلية فاصبح
ما يؤخذ من اللبنانيين ١٤٠٠٠ كيس تقريباً بدلاً من ٨٠٠٠
كيس كما نص النظام .

وقد نشر المجلس سنة ١٩٠٩ ميزانية عن سنة ١٣٢٣ مالية فاذا
مجموعها ٥٩٣٣٤٠٤٥٠٣٧ ليرة عثمانية موزعة على الاقلام الآتية:

	ليرات	غروش	بارات
مال وپركو	٣٥٠٠٠	٠٠	٠٠
رسوم محاكم	٣٣٢٦	٧٨	٢٠
املاك اميرية	٣٨٣٥	٢٤	٣٥
حساب الربع مجيدي	٣٨٩٥	٩٠	١٠
المهمات	١٣٢٧٦	٥٢	١٢
	<hr/>	<hr/>	<hr/>
	٥٩٣٣٤	٤٥	٣٧

واليك بيان مفرداتها :

١ مال الوبركو

	ارزاق	اغناق	الجملة
	بارہ قرش ليرات	بارہ قرش ليرات	بارہ قرش ليرات
الشوف	٨٦٣٧ ٨١ ٢٥	٢٠٩٤ ٣١ ١٠	١٠٧٣٢ ١٢ ٣٥
جزين	١٥٧٤ ٠٧ ١٠	٤٧٤ ٧٧ ٢٠	٢٠٤٨ ٨٤ ٣٠
زحلة	٤٤٤ ٧٢ ٣٠	٣٦٣ ٧٣ ٣٠	٨٠٨ ٤٦ ٢٠
المتن	٥١٨٤ ٧٦ ٠٠	٢٠١٩ ٦٧ ٢٠	٧٢٠٤ ٤٣ ٢٠
كسروان	٣٦٠٩ ٨٧ ١٠	١٧٣٦ ٥٢ ٢٠	٥٣٤٦ ٣٩ ٣٠
البترون	٤٤٤٧ ٣٧ ٠٠	١٣٨١ ٢٧ ٢٠	٥٨٢٨ ٦٤ ٢٠
الكورة	٢١٣٤ ٥٦ ٣٥	٥٢٦ ٢٢ ٢٠	٢٦٦٠ ٧٩ ١٥
دير القمر	٢٢٨ ٣٧ ٢٠	١٢٤ ٦٨ ٣٠	٣٥٣ ٦ ١٠
الكرسي البطريركي	٤٤ ٤ ٠٠	٨ ٢٢ ٢٠	٥٢ ٢٦ ٢٠
	٢٦٣٠٥ ٦٠ ١٠	٨٧٢٩ ٤٣ ٣٠	٣٥٠٣٥ ٤ ٠٠
تنزيل زيادة توزيع الوبركو تعلى على المهملات			٣٥ ٤ ٠٠
			٣٥٠٠٠ ٠٠ ٠٠

٢ رسوم محاكم

	ليرات	قروش	بارات
المركز	٢٠٢	١٨	٢٠
الشوف	٤٨٢	٩٨	٠٥
جزين	٢٧٨	٣٥	٢٥
زحلة	١٣٩	٤٣	٣٥
المتن	٧٠٠	٩٧	٠٠
كسروان	٥٣٣	٦٣	٠٠
البترون	٥٧٣	١٣	٠٥
الكورة	٢٧٥	٤٣	٢٠
دير القمر	١٤٠	٦٥	٠٣
	<u>٣٣٢٦</u>	<u>٧٨</u>	<u>٢٠</u>

٣ املاك اميرية

	ليرات	قروش	بارات
المتن	٦		
كسروان	٢٠٦	٢٤	٠٠
البترون	١٤٨٣	٢١	٠٠
الكورة	٢١٣٩	٧٩	٣٥
	<u>٣٨٣٥</u>	<u>٢٤</u>	<u>٣٥</u>

٤ حساب الربع مجيدي

	ليرات	قروش	بارات
الشوف	٧٥٨	٩٥	٢٠
جزين	١٧٢	٣٣	٠٠
زحلة	١٣١	٦٧	٠٠
المتن (نصف مجيدي من سنة ١٣١٤)	١٤٦٤	٧١	٠٠
كسروان	٦٣٠	٢٧	٣٠
البترون	٥٠١	٢٢	٠٠
الكورة	١٩١	٠٤	٢٠
مديرية دير القمر	٤٥	٦٩	٢٠
	<u>٣٨٩٥</u>	<u>٩٠</u>	<u>١٠</u>

٥ حساب المرحمات

	ليرات	قروش	بارات
تعداد الغنم والماعز ورسوم العرب والنور	٣١٨٨	٥٠	٠٠
رسم الدخان	٤٤٧٥	٥٠	٠٠
رسم العربات والتناير	٢٣٠٠	٠٠	٠٠
رسوم مختلفة (محررو المقاولات... الخ)	٣٣١٢	٥٢	١٢
	<u>١٣٢٧٦</u>	<u>٥٢</u>	<u>١٢</u>

وهكذا توصل المتصرفون الى اعفاء الدولة من تحمل
عجز الميزانية.

ولا يقال ان المتصرفين كانوا على حق فيما فعلوه
استنادا الى قرار ٩ حزيران ، فان عملهم كان مخالفاً لمنطوق
النظام الاساسي وروحه وللغاية التي قصدها الدولة ورضيت
بها تركيا:

ان النظام جعل ال ٧٠٠٠ كيس حداً اقصى للضرائب
وقاعدة اساسية تبنى عليها مالية لبنان مع الزام الخزينة
السلطانية بسد العجز اذا حصل عجز.

وقد قبلت الدولة بهذه القاعدة في مقابل مانالت من
الفوائد الجمّة من حرمان لبنان حدوده الطبيعية كما تقدم .
وكان الغرض من قرار ٩ حزيران ، وهو شذوذ عن القاعدة ،
ان يجعل الميزانية اكثر مرونة في يد الحاكم ، لا ان يبلغ
القاعدة الاساسية ويجعل الشاذ قاعدة بدلاً منها ، لا سيما
وتاريخ النظام والقرار واحد (٩ حزيران سنة ١٨٦١) . وهو
مبدأ قانوني معروف لا يحتاج الى بيان .

فاذا طولت تركيا بدفع العجز او بعضه من سنة ١٨٨٠
على تقدير ٢٠٠٠٠ ليرة سنوياً يكون المطلوب منها لصندوق
الجيل ما لا يقل عن ثمانمائة الف ليرة عدا الفوائد .

ولم يكتف المتصرفون بعدم تحصيل العجز من الخزينة
بل اخذوا يتنازلون لها ايضاً عن بعض ايرادات الجبل
الخاصة مما بلغ مجموعه لغاية سنة ١٩١٨ ما قيمته ايضاً ثمانمائة
الف ليرة تقريباً عدا الفوائد ، واليك البيان :

- ١ دخل الجمارك اللبنانية من اول المتصرفية ،
على تقدير ٣٠٠٠ ليرة سنوياً ، عن ٥٨ سنة ١٧٤٠٠٠
- ٢ دخل البوسته والتلغراف من عهد فرقهو باشا
على تقدير ٥٠٠ ليره سنوياً ، عن ٤٨ سنة ٢٤٠٠٠٠
- ٣ ايراد الملاحات وقد استولت عليها الديون
العمومية سنة ١٨٨١ على تقدير ١٠٠٠٠ ليرة سنوياً ٣٧٠٠٠٠
- ٤ ايراد المعصرة المقيد على خزينة الدولة في
مجلس الادارة لسنة ١٣٢٨ مالية ٢٣٦٤ ليرة
والمستحق بعدها لغاية سنة ١٩١٨ على تقدير

٥٩١ سنوياً ، ٤١٣٧ ليرة =

٦٥٠١
٧٩٠٠١

وعليه فان حسب دين تركيا للبنان على قاعدة عجز
الميزانية او على قاعدة ما اخذته من ايرادات لبنان
بلغ في الحالين ما قيمته ثمانمائة الف ليرة. ولم تنكر الدولة
يوماً ان عليها ديناً للبنان ولا ضربت حكومة لبنان صفحاً
عن هذا الدين. ولما لم يفز مجلس الادارة بطائل من
الباب العالي، تدخلت الدول في الامر وقررت في بروتوقول
اوهانس باشا وجوب تصفية الحسابات القديمة لتدفع الدولة
المتاخر عليها لصندوق لبنان.

هذا ولا شك في ان الحكومة اللبنانية تحفظ لنفسها
الحق بتنفيذ نص البروتوقول المذكور وتطالب الدولة في
مؤتمر الصالح بالدين المتراكم عليها لصندوق لبنان فيكون
هذا المبلغ عوناً لها في الدور الجديد

**

ذلك هو نظام لبنان وشرحه باختصار ومنه يستتج:
أنَّ النظام لم يخلق للبنان الاستقلال بل انقص استقلاله
القديم من اوجه عديدة منها: أنه ضيق حدود لبنان الى حدِّ

غير معقول كسلخه بيروت والبقاع عنه وكلاهما ارض لبنانية
كانت داخلة ايضاً في الامارة اللبنانية من عهد بعيد .
وانه جعل الحاكم غريباً وموظفاً عثمانياً في حين كان
قبل النظام وطنياً .

وانه في ادخاله الحاكم الاجنبي على لبنان وفي تعيينه
لامدٍ وجيز سهل خرّق امتيازاته في مواطن عديدة كما مرّ .
وانه جعل الطائفة اساس كل شي في لبنان فقطع
اوصال القومية اللبنانية

فضلاً عن انه لم ينص شيئاً عن السلطة الاشتراعية فكان
اهماله سبباً للمتصرفين في ادخال قوانين الدولة على لبنان .
كما انه جعل السلطة التنفيذية والادارية محصورة في يد
المتصرف بدلاً من ان يجعل في جنبه وزارةً وطنية تعمل
لمصلحة البلاد ، فترتب على ذلك من الاضرار الاجتماعية
والاقتصادية والسياسية ما لا يحصى مما ظهرت نتائجه على عهد
المتصرفين ، والقيت تبعثها كلها على عاتق اللبنانيين ، في حين
ان السبب الاكبر فيها نقص النظام الاساسي .

الباب الثاني

تطور البلقان وصمود لبنان

رأيت في القسم الاول ما كان عليه لبنان من الاستقلال الداخلي التام على عهد امرائه وحكامه الوطنيين ، وتبينت في هذا القسم الثاني ما أبقى له النظام من الامتيازات فعلت ان معاهدة سنة ١٨٦١ لم تحدث له حدثاً ولم تُغدق عليه النعم ، انما فضلها الاكبر انها قررت بوثيقة دولية مبدأ الاستقلال للبنان وفتحت امامه باب الامل الى نيل الاستقلال المطلق كما حصل للبلقان .

واذا حاسبت الدول نفسها وجدت انها لم تحقق طيب الامال التي علقها عليها اللبنانيون كما هي حققت اماني اليونان والصرب والرومان والبلغار والجبل الاسود .

وقد رأيتَ في موجز تاريخ البلقان السياسي كيف
تمتت الدولُ بممالكه من ايلات عثمانية الى ولايات مستقلة
داخلياً حتى بلغت بها الى ممالك ذات استقلال مطلق ،
في حين ان لبنان ظلَّ ضمن نطاق لم تقطع حلقاته رغم ما
بذله من الجهد وتكبده من الضحايا ...

ولا بأس بايراد شيءٍ عن التطورات التي طرأت
على مركز البلقان في القانون الدولي العام لعلَّ فيها هدايةً
الى ما يحسن عمله في لبنان :

بدأ تدخلُ اوربا في البلقان على أثر حرب الروسيا مع
تركيا سنة ١٨١٢ فعقدت بينهما « معاهدة بخارست » في
٢٨ ايار سنة ١٨١٢ ، وذكر فيها ان ولايات الافلاق
والبغدان « فلاحيا وملدافيا » والصرب تنال بعض الامتيازات
مع بقائها في تابعة الدولة وحوزتها (البندان ٥ و ٨) .
فكان هذا التدخل من الروسيا في شؤون الولايات العثمانية
فأتمت التدخلات التالية التي أدت الى استقلال البلقان
شيئاً فشيئاً . .

وقد جاء بعد معاهدة بخارست « اتفاق آق كرمان »
في ٢٥ ايلول سنة ١٨٢٦ ، وهو يؤيد ويوسع الامتيازات
المعترف بها للافلاق والبغدان والصر ب في معاهدة بخارست
وقد أرفق بعقدين منفصلين الاول منهما يتعلق بولايتي
فلاخيا وملدافيا وثانيهما يختص بالصر ب ، وخلاصة العقد
الاول : اعطاء فلاخيا وملدافيا الحق بانتخاب الوالي من
الاشراف الوطنيين ، وتحديد مدة ولايته بميعاد سبع سنوات ،
والاعتراف للروسيا بالتدخل في امر الوالي في ثلاثة
ظروف ، اولاً : « فيما اذا وُجد المنتخب لاسباب قوية غير
موافق لرغبة الباب العالي في هذه الحال يجري تحقيق عن
هذه الاسباب بمعرفة الدولة العلية والروسية حتى اذا وجدت
هذه الاسباب صحيحة يُسمح للاشراف بان يشرعوا في
انتخاب شخص آخر موافق » . ثانياً : اذا ارتكب الوالي
جناية اثناء ولايته يخبر الباب العالي عنها وزير الروسيا وبعد
اجراء التحقيق بواسطة الطرفين وثبوت ذنب الوالي يسمح
باقالته . ثالثاً : « اذا استعفى الوالي قبل انتهاء ميعاد

السبع سنوات لاي سبب كان فالباب العالي يخبر بذلك
حكومة روسيا ويحصل الاستغناء بموجب اتفاق الدولتين
عليه من قبل « ٠٠ »

وأهم ما جاء في العقد الثاني الخاص بالصر ب الوعد
بمنحهم : « حرية الاديان وانتخاب رؤسائها ، واستقلال
ادارة الصرب الداخلية ، وانضمام الاقسام المنفصلة عنها ،
وتوحيد الاموال الاميرية المتنوعة الى نوع واحد ، وحرية
التجارة ، وتشيد المستشفيات والمدارس والمطابع الخ ٠٠٠ »
ولم تلبث ان عادت روسيا الى الحرب مع تركيا
وتمّ الصلح بينهما بمقتضى معاهدة ادرنه في ١٤ ايلول سنة
١٨٢٩ ، فجددت هذه المعاهدة عهدود تركيا فيما خص
ولايتي فلاخيا وملدافيا وصربيا ، وابتقت للروسيا حق التدخل
في شؤون فلاخيا وملدافيا بحجة ان الدولة الروسية « ضمنت
نجاحهما » (البندان ٥ و ٦)

ومن مميزات هذه المعاهدة انها قررت ان والي فلاخيا
وملدافيا يكون لمدي الحياة لا لسبع سنوات كما جاء في اتفاق

آق كرمات .. وهي خطوة واسعة في سبيل الاستقلال
المطلق كما لا يخفى ..

وقد عرف اهل فلاحيا وملذايفيا فضل الدولة الروسية
عليهم في ارغام تركيا على منحهم تلك الامتيازات ، الا ان
ذلك الفضل كانت تشوبه شائبة كبرى وهي ان روسيا اثناء
اهتمامها بشؤونهم لم تعط براهين كافية على تجردها التام
عن كل منفعة شخصية تسعى اليها من وراء ذلك الاهتمام ،
بل هي اثار في صدورهم الريب والظنون بدخولها ارضهم
بدعوى ترتيب الادارة والحكومة عندهم وانها تبقى موقتا في
الولايتين ريثما تفيها تركيا الغرامة الحربية ثم تجلو عن البلاد
وتتركها لاهلها ...

فلم ترق تلك الدعوى كثيرا في اعين الاهالي . واخذ
مجرى الحركة الوطنية يتحول من تركيا على روسيا حتى
وقعت في الولايتين حوادث سنة ١٨٤٨ وقد أدت ، كما
رأيت في القسم الاول ، الى اخذ بعض الساسة في اوربا

بناصر الفلاخين والمدافين وكانت النتيجة ان معاهدة باريس اعادت الامور الى نصابها: فأبقت للولايتين امتيازاتهما لكنها رفعت عنهما التدخل الروسي وفعلت مثل ذلك فيما خص صربيا .. وقد وضعت المعاهدة امتيازات البلادين في كفالة اوربا وضمانتها حتى لا تكون امتيازات البلاد في الواقع عبارة عن واسطة لاحتلال دولة محل دولة وبدل سيادة بسيادة ، وهي أساليب لا يرغب بها عادة اهل البلاد ... وبعد ان فتحت روسيا باب التدخل في شؤون تركيا لم تلبث ان ولجت فيه دول أوربا الواحدة بعد الاخرى منعاً للاستئثار وقطعاً لاسباب التزاحم والمنازعات ...

وهكذا تمكنت الدول من مساعدة كل الشعوب البلقانية على نيل الاستقلال المطلق وعلى توسيع حدودها. وعدا تلك المساعدة العامة فهي قد ساعدت اليونان والرومان والبلغار على تنصيب العائلات الجالسة الآن على عرش كل من تلك الممالك الثلاث وقد تم ذلك بمعاهدات دولية اهمها: معاهدة لوندرا فيما خص اليونان ، ومعاهدات

باريس وسان ستفانو وبرلين فيما خص الصرب والرومان
والبلغار والجبل الاسود.

*

معاهدات لوندرا الثموت^٦ وهي بين انكلترا وفرنسا
وروسيا:

الاولى في ٦ تموز سنة ١٨٣٧^٦ خلاصتها جعل اليونان
« اماره ذات استقلال داخلي تحت سيادة الدولة وعليها
جزية سنوية . »

الثانية في ٣ شباط سنة ١٨٣٠^٦ ومؤداها رفع الامارة
اليونانية الى مصاف الممالك المستقلة وجعلها « مملكة تحكم فيها
عائلة مالكة تتوالى على عرشها بحق الارث . . . »

ومنعاً لما لقد تناله احدى الدول من منفعة او مصلحة
في اليونان قررت المعاهدة: « انه لا يجوز انتخاب ملك اليونان
من بين اعضاء العائلات المالكة في انكلترا وفرنسا وروسيا..
وانه لا يجوز لواحدة منهن ابقاء قوة في اليونان بغير
اتفاق سابق بينهن^٧ . . . »

الثالثة ، في ١٣ تموز سنة ١٨٦٣ ، اهم ما فيها : اعتراف
الدول بالامير غليوم ، ابن الملك خريستيان التاسع الدنمركي ،
ملكاً على اليونان باسم « جورج الاول ملك اليونان » وجعل
المملكة اليونانية تحت حماية الدول المشتركة ، فقد جاء في
المعاهدة : « تكون اليونان حكومة ملكية مستقلة دستورية
تحت سيادة الامير غليوم الدنمركي وتحت حماية الدول الثلاث . »
(بند ٢ و ٣)

وايجاب المذهب الارثوذكسي على خليفة الملك جورج
ليكون الملك على مذهب الاغلبية . . .

وقد جاء مثل ذلك في معاهدة سنة ١٨٦٠ الخاصة
ببلقان حيث نصت المادة الاولى بوجوب « مسيحية » الحاكم
وجرى مثل ذلك في البلغار حين اعتنق الامير بوريس

المذهب الارثوذكسي سنة ١٨٩٦

وبعد ان اوجدت الدول مملكة اليونان الحديثة
مهرتها انكثرتا بالجزر اليونانية وارغمت تركيا على التخلي لها
عن مقاطعة تساليا ، فضلاً عما واصلتها به اوربا من العناية

حتى اليوم تأييداً لاستقلالها التام وتوسيعاً لحدودها، ذكرًا
لفضل ائتنا على العلوم والمعارف والاداب ...

*

اما سائر الشعوب البلقانية فقد تكفلت معاهدات باريس
وسان ستفانو وبرلين بتأييد امتيازاتها وايصالها الى
الاستقلال التام:

معاهدة باريس في ٣٠ اذار سنة ١٨٥٦

جاءت معاهدة باريس على اثر الحرب التي شرتها
انكلترا وفرنسا سنة ١٨٥٤ على روسيا انتصاراً لتركيا وانتهت
بقهر جيوش القيصر تحت اسوار سبستبول .. وكان قطبُ
السياسة الدولية يومئذٍ في باريس فعقد المؤتمر الدولي فيها..
وقد اعتنى نابوليون الثالث بامر البلقان عناية خاصة
مجردة عن كل غاية ومصالحة فحوت معاهدة باريس فلاحيا
وملدافيا الى امارتين تحت سيادة الباب العالي الاسمية. وقطعاً
لتدخل روسيا او غيرها في امور الامارتين قررت المعاهدة
انهما تكونان تحت حماية الدول المشتركة وانه لا يجوز لواحدة

منهن ان نستأثر فيهما بحماية خاصة او تتدخل في شؤونهما الداخلية (مادة ٢٢). ونصت المعاهدة انه لا يكون في الامارتين من الجند الاّ الجندية الوطنية وانه اذا دعت الحال الى ادخال الجيش العماني اليهما فلا بدّ من موافقة الدول على ذلك . (مادة ٢٧)

وكما جعلت المعاهدة فلاحيا ومدافيا «تحت حماية الدول» وقررت ان الجندية فيهما تكون وطنية لا غير، هكذا هي وضعت اماره صربيا «تحت حماية الدول المشتركة» وحظرت ادخال جيش تركي او سواه الى ارضها، ما لم تتفق الدول على الامر (مادة ٢٨ و ٢٩).

وكان هذا النص الخاص بالعسكرية ضرورياً، لعدم اتفاق الاستقلال مع بقاء جيش تركي او روسي او سواه في البلاد. وعملاً بالمبدأ ذاته قررت معاهدة سنة ١٨٦١ ان الجند اللبناني يكون وطنياً، بل هي ايدت مبدأ الاستقلال للبنان من هذا القبيل اكثر مما ايدته معاهدة باريس لفلاحيا ومدافيا والصرب، فنصت المادة ١٤ من معاهدة سنة

١٨٦١ انه اذا قضت الضرورة باستدعاء عسكر الدولة فيرجع في الامر لا الى الدول ، كما في فلاخيا وملدافيا وصربيا ، بل الى مجلس ادارة لبنان نفسه ٠٠٠ وهو نصٌ اضمن للاستقلال وأبقى للحريه الوطنية كما لا يخفى

وبقطع علاقة الباب العالي الفعلية مع فلاخيا وملدافيا وصربيا ، وبمنع تدخل اي دولة كانت في شؤونهن ، حققت معاهدة باريس لتلك الامارت الشروط الاساسية التي من دونها لا يمكن ان يُنال استقلال ٠٠ وأعدتهن بتحقيقها الى نيله حتماً كما حصل لهن فعلاً بعد ذلك بضع سنوات .

معاهدة سان ستيفانو ١٩ شباط ٣ اذار سنة ١٨٧٨

اُتمت معاهدة سان ستيفانو العمل الذي وضعت قواعده معاهدات بخارست وآق كرمات وادرنه وباريس ، فاعترف الباب العالي نهائياً بامارة الجبل الاسود ، وباستقلال صربيا التام ، وباستقلال رومانيا ، وكانت لا يزال في البلقان شعبٌ يتطلع الى خلع نيرتركيا عنه ونيل ماناله اخوانه

البلقانيون من الاستقلال وقد وضع اماله بروسيا راقباً
ما تمنحه اياه معاهدة الصلح بينها وبين الباب العالي ، فلم
تخيب الروسيا ظنّ البلغاريين ولم تهمل المعاهدة امرَ بلغاريا
فجعلتها امارة ذات استقلال داخلي تدفع جزيةً للباب العالي
ويكون لها حكومة مسيحية وجندية وطنية ، وقد جعلت
المعاهدة انتخاب الامير على بلغاريا على القاعدة التي وضعتها
معاهدة لوندرا لانتخاب امير اليونان بمعنى ان البلغار
ينتخبون اميرهم بالحرية التامة على شرط ان لا يقع الانتخاب
على امير من عائلات الدول الكبرى المالكة في اوربا . وقد
عملت المعاهدة فيما خص بلغاريا ايضاً بمبدأ الاستقلال
العسكري الذي قرره المعاهدات السابقة لفلاخيا وملدافيا
وصربيا ضماناً للاستقلال السياسي .

معاهدة برلين ١٣ تموز سنة ١٨٧٨

كان قطب السياسة يومئذٍ قد انتقل من باريس

الى برلين واصبحت اوربا بعد «حرب السبعين» ترجع
في مهامها الى المانيا بدلاً من فرنسا حتى ان المؤتمر الدولي
عقد في برلين سنة ١٨٧٨ معارضةً للمؤتمر الذي عقد في
باريس سنة ١٨٥٤

وكان مصيرُ البلقان قد تقررُ معظمه في المعاهدات
السابقة فاصبحت اليونان وصرىيا ورومانيا اماراتٍ وممالك
مستقلة ولم يبق الا البلغار والجيل الاسود .

فاعادت معاهدة برلين النظر في معاهدة سان ستفانو :
فأيدت استقلال الامارة الصربية واستقلال الامارة الرومانية
(بند ٤٢ و ٤٣)

واهتمت بأمر بلغاريا ٦ لكنها بدلا من ان تتركها
امارة واحدة كما جاء في معاهدة سان ستفانو شرطتها شطرين :
فجعلت القسم الشمالي بلغاريا واقربتها على امتيازاتها ٦ والقسم
الجنوبي الروم ايلي الشرقية على ان تكون هذه الولاية تابعة
للدولة سياسياً وعسكرياً بشرط ان تتمتع باستقلال الادارة
الداخلي ويكون لها وال مسيحي . (بنود ١٣ الى ٢٢)

وكان هذا التقسيم غير طبيعي فلم تلبث ان اتحدت
الولايات سنة ١٨٨٥ كما رايت في القسم التاريخي .^١

ومن مميزات معاهدة برلين فيما خص بلغاريا انها بعد
ان وافقت على استقلال الامارة البلغارية وعلى طريقة
انتخاب الامير فيها بحسب نصوص معاهدة سان ستافانوا
قد استدركت كيفية الحكم في الفترة التي تنقضي قبل تولية
الأمير فقررت اقامة حكومة مؤقتة واسناد ادارتها الى مفوض
رومي يعمل بالاتفاق مع مفوضين يُسمون خصيصاً لهذه
الغاية من قبل الباب العالي والدول .

وفي هذه الفترة تهتم جمعية من اعيان البلغاريين باعداد
القانون الاساسي مع حفظ حقوق الاقليات في الجهات التي
يحتلظ فيها البلغاريون مع الترك والرومان واليونان وغيرهم حتى
اذا تم وضعه يُشرع بانتخاب الامير وتنتهي مهمة المفوضين .
وقد تحدد لانها هذه الاعمال مدة لا تزيد عن

التسعة اشهر (بنود ١ الى ٧)

ونظرت المعاهدةُ الى وجوب توحيد الحكومة وتعزيز
الرابطة القومية إعداداً للامة الى الاستقلال المطلق فقررت
في بندها الخامس ان يكون اساسُ الحكومة والادارة على
قاعدة الاهلية والكفاءة لا على قاعدة العناصر والطوائف
كما فعلت معاهدة سنة ١٨٦١ في لبنان .^١

١ نصت المادة الاولى من معاهدة برلين: « تجعل بلغاريا اماره ذات
استقلال داخلي وتدفع جزية وتكون تحت سيادة جلاله السلطان ويكون لها
حكومة مسيحية وجنديه وطنية . »

المادة ٢ « تعطى اماره بلغاريا الاراضي الاتية » وهنا تذكر
المادة حدود بلغاريا

المادة ٣ « يصير انتخاب امير بلغاريا بمعرفة الاهالي بالحرية التامة ويقره
الباب العالي بموافقة الدول . لا يجوز انتخاب امير على بلغاريا من افراد العائلات
المالكة بين الدول الكبرى الاوروبية »

المادة ٤ « تدعى جمعية من اعيان بلغاريا الى « تيرنوفو » وهي تهيء قبل
انتخاب الامير نظام الامارة الاساسي . في الاماكن التي يختلط فيها البلغارون
باهال من الاتراك والرومان واليونان وسواهم ، ينظر في حفظ حقوق
ومصلحة هؤلاء الاهالي فيما خص الانتخابات وتحضير النظام الاساسي . »

المادة ٥ « تكون المبادي الاتية قاعدة للقانون الاساسي في بلغاريا: لا يكون
اختلاف المذاهب الدينية والطائفية سبباً في حرمان احد من التمتع بالحقوق
المدنية والسياسية ومن تولى الوظائف العامة والمناصب والترتب ومعاطاة الحرف
والصنائع على انواعها في اي بلدة كانت .

ولم تهمل معاهدة برلين أمرَ الجبل الاسود فاعترفت
باستقلال امارته وجعلت فيه ايضاً الاهلية والكفاءة قاعدة
للحكومة لا الدين والمذهب (بند ٢٦ و ٢٧)
وقد كانت معاهدة برلين مرقاةً لبغارييا والجبل الاسود
الى الاستقلال كما كانت المعاهدات السابقة اساساً قام عليه
استقلال اليونان والصرب والرومان .

ان حرية الاديان واقامة الطقوس الخارجية مضمونة لكل اهالي باغارييا
وللاجانب على السواء »

المادة ٦ « يتولى مفوض روسي الادارة الموقته لبغارييا حتى يكون انتهى
سن قانونها الاساسي . ويساعده في الاشراف على سير هذا النظام الموقت
مفوض عثماني وقناصل تنديهم لهذه الغاية سائر الدول الموقمة هذه المعاهدة . اذا
حصل اختلاف بين القناصل المندوبين فالراي للاكثرية ، واذا اختلفت هذه
الاكثرية مع المفوض الروسي او المفوض العثماني فعمدوا الدول الموقمة الموجودون
في الاستانة يجتمعون في « مباحثة » ويفصلون في الامر . »

المادة ٧ « لا يجوز ابقاء هذا النظام الموقت اكثر من تسعة شهور تبدي
من يوم تبادل التصديق لهذه المعاهدة . »

« ومتى تم وضع القانون الاساسي يعمد حالا الى انتخاب امير بلغارييا . ولدى
تنصبيه يشرع حالا في تنفيذ التشكيلات الجديدة وتمتع الامارة بكافة حقوق
استقلالها الداخلي . »

يتحصل من درس قانون البلقان تيجتان ، نتيجة خارجية
ونتيجة داخلية :

النتيجة الخارجية :

اخضعت تركيا لسلطانها فيمن اخضعت من الشعوب
أمم البلقان من يونان ورومان وصرب واهالي الجبل الاسود
ولم تستطع واحدة من تلك الامم ان تخلع نير تركيا
عن عاتقها بغير معونة اوروبا فلم تبخل الدول عليهن بالمساعدة
الفعلية سياسياً وعسكرياً . وقد افتتحت اوروبا مهمة تحرير
البلقان بالمملكة اليونانية فارسلت انكلترا وفرنسا وروسيا قواتها
البحرية والبرية لنصرة اليونان على تركيا وما زالت حتى
طردت الاتراك وضمنت لليونان حريتها التامة .

واسدت مثل تلك اليد الى المملكة الصربية فاصبحت
المملكتان بفضل اوروبا تتمتعان باستقلالهما المطلق بعد ان
رزحت اجيالاً تحت ائقال الحاكم التركي

ولم تعتبر الدول المحسنة ان ما بذلته من المعونة لليونان
والصرب يخولهما حق السيطرة عليها بنوع من الانواع بل رأت

ان عملها هو من قبيل الواجب في نصرة الحق على القوة
واكتفت من اليونان والصر ببالثناء ومعرفة الجميل . . .

الا ان الروسيا لم تفعل مثل ذلك مع الرومان

فهي لما اتاحت لها الظروف ان تساعد رومانيا على
تركيا، زين لها حب التوسع والاستعمار ان تساوم رومانيا
على استقلالها فلم تقلص ظل تركيا عن رومانيا حتى ادعت
لنفسها الحق بالحلول محل العثمانيين معتقدة ان الرومان يحسبون
سيادتها عليهم ونزولها في بلادهم نعمة وسعادة .

فلم يتفق ذلك مع اماني الرومان وهم انما يتطلعون
الى خلع نير تركيا للتمتع باستقلالهم المطلق لا لبدل سيادة
بسيادة مهما كان نوعها واية كانت تلك الدولة السائدة ولا
فرق عندهم بين تركيا وروسيا اذا هم فقدوا نعمة الاستقلال

ولذلك لم يلبث ان تحول كره الرومان الى الروس حتى
انفجرت ثورة سنة ١٨٤٨ كما رايت في ملخص تاريخ البلقان
السياسي في القسم الاول وادى انشقاق الرومان على
الروس الى تحرير رومانيا الفعلي من اية سيادة كانت واعترفت

الدول باستقلال رومانيا في معاهدة باريس كما مر.^١
وقد كانت مسألة رومانيا امثلة كافية من هذا القبيل
فاستفادت منها بلغاريا يوم اعتقت من ربة تركيا ونالت
استقلالها الفعلي التام بدون تدخل الاجنبي في ارضها .

وهذا ما حدا بالدول في معاهدة برلين الى تفويض
لجنة دولية بادارة الحكومة الموقته في بلغاريا حتى تم
انتخاب الامير واستلم مهام الحكم بحسب قانون بلغاريا
الاسامي وانسجبت اذ ذاك اللجنة الدولية وسارت الامارة
البلغارية من الاستقلال النوعي الى الاستقلال المطلق
على ما رأيت .

فالنسجة الخارجية من تطور المسألة البلقانية هي ان
المساعدة الخارجية لا تروق في اعين الامة الضعيفة الا اذا
كانت تلك المساعدة مجردة عن كل غاية منزهة عن كل
مصلحة ... والا فالمسألة عملية تجارية يعملها الفرد وتتعاظها

الشركات وتقدم عليها الدول جرّاً لمنفعة وسعيّاً الى غم فلا
فاضل اذ ذاك ولا مفضول ولا سبيل الى حسن الشاء ...

التسيجة الداهلية

يوم عزمت اوروبا على تحرير البلقان لم يفتها ان
للاستقلال شروطاً اذا توفرت لامةٍ فهي تبلغه حمّاً ان
آجلا او عاجلاً .

فحققت الدول للبلقان تلك الشروط فلم يلبث ان
كلل النجاح مساعيها ونالت ممالكه الاستقلال الواحدة
تلو الاخرى .

ومن اهم تلك الشروط ان يكون الحاكم وطنياً كما حصل
في صربيا والجبل الاسود ...

اما اذا دعت الحاجة الى تولية حاكم اجنبي فلا مندوحة
من تصيره وطنياً بجعله حاكماً لمدى الحياة وجعل الحكم
لورثائه من بعده فتصبح البلاد والحالة هذه بلاده ومصالحها
مصالحه كما لو كان وطنياً صمياً ، وهو ما حصل في اليونان
ورومانيا وبلغاريا .

وتنتيجة كون الحاكم وطنياً او مستوطننا هي انه يعمل على
توسيع حقوق البلاد التي وُكِّلَ اليه امرها وعلى ترقية
شؤونها مادياً وادبياً وسياسياً حتى يبلغ بها الى الاستقلال
المطلق كما حصل فعلاً في البلقان

اما اذا كان الحاكم في بلد مسود اجنبياً، وتوليته لمدة معينة
ومرجعه الى الدولة صاحبة السيادة، فهو يعتبر نفسه غريباً عن
البلاد لا تضامن بين مصالحه ومصالحها فيتكلم في خدمتها
ولا يهمه الا بما فيه مصلحة الدولة صاحبة السيادة فيقصر ما
امكن من حقوق البلاد المسودة .

وبدلاً من السير بها الى الاستقلال، يعمل جهده
على تضييقه وتقليص ظله . وهو ما حصل للبنان في عهد
المتصرفية.

وهناك ايضاً مسألة « القومية الوطنية » . فلا تصل
امة الى استقلالها ما لم يكن اساس الحكم فيها على الاهلية
والكفاءة لا على العنصرية والطائفية .

ان في كل امة من امم البلقان عناصر مختلفة وطوائف
متعددة لا يقاس اختلاف الطوائف الظاهري في لبنان
بما بين عناصر البلقان وطوائفه من الحزازات والاحن
المتأصلة في النفوس، ومع ذلك فقد قررت قوانين البلقان
الاساسية ان اختلاف العناصر والمذاهب لا دخل له في
الحكومة والادارة، ولعلّ الدول اعتبرت بما خبرته في لبنان
من تناخ الطائفية فافادها اختبارها هذا يوم وضعت معاهدة
برلين سنة ١٨٧٨ فصرحت فيها ان قاعدة الحكم في بلغاريا
تكون الاهلية والكفاءة رغم اختلاط البلغاريين في جهات
عديدة بالترك والرومان واليونان وغيرهم (مادة ٥)
فترتب على ذلك تمكين الرابطة القومية في البلاد
والسير بها سيراً حثيثاً الى الاستقلال المطلق.

بعكس ما حدث في لبنان على اثر تقسيم البلاد وتنظيم
الحكومة وتشكيل المحاكم بحسب الطوائف مما أدى الى
تفكيك عرى «القومية اللبنانية» وتقطيع اوصال «الوحدة

الوطنية « فلم يعد اللبنانيون لبنانيين بل اصبحوا موارنة ودرروز وملكيين وارثوذكس ومتاولة الى آخر ما شاء النظام من مذاهب واديان ، فباتوا والحالة هذه لقمة سائغة للالكلين فاستبد بهم المتصرفون ، ولعبت بهم ايدي السياسة ، واستفادت تركيا من انقساماتهم واختلافاتهم ما لم تستفده جيوشها في محاربتهم اجيالاً طويلاً .

وهناك شرط ثالث للاستقلال لاغنى عنه للامة وهو ضمان حياتها الاقتصادية باعطائها حدوداً تكفيها للمعيشة ، فاذا ضيقوا الخناق على شعب وحصره ضمن حدودٍ قاهرة ، ارغم خير من فيه من اهل العلم والعمل على المهاجرة سعياً الى الرزق ، وماتت الحمية الوطنية في صدور البقية الباقية في البلاد ، وظهر الاستقلال للجميع بمظهر حقير ، فيصبحون وهم ينظرون اليه نظراً الى عدو مصلاحتهم المادية وقاتل حياتهم الاقتصادية فيتحقق بذلك الغرض الذي يكون قد سعى اليه اولئك الذين ضيقوا على الشعب حدوده ، ويكون هذا الشعب المسكين قد خدم عدوه من حيث لا يدري

باعتقاده ان الاستقلال افة بلاده ، والاستقلال براء من
آفاتها ومصائبها .

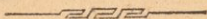
فقضاء حاجة البلاد اهتمت الدول باعطاء الممالك
البلقانية حدوداً تكفل لها الحياة الاقتصادية ، بعكس ما جرى
في لبنان يوم ضرب عليه نطاق خائق بسلخ سهوله ومراقته
الطبيعية عنه ،

وعليه فوطنية الحاكم او على الاقل اميتطانه ، وقاعدة
الاهلية لا الطائفية في الحكومة ، وتوسيع الحدود الجغرافية ، تلك
هي الشروط الاساسية التي تكفل اللامة التدرج الى الاستقلال
المطلق : فتوفرها للبلقان ساعدها على التطور الى الاستقلال ،
وحرمان لبنان منها كان السبب الاكبر في جموده السياسي .
ان في الماضي لبرة للحاضر في اعداد المستقبل وإقامته
على قواعد تكون عوناً للبنان على النهوض ، لا ثقلاً يجره
متعباً فيعيق خطاه في سيره الى قمة الرقي في عهده الجديد .

انتهى القسم الثاني

القسم الثالث

لبنان بعد المعاهدة



ابواب القسم الثالث



الباب الاول : موجز تاريخ المتصرفية

الباب الثاني : لبنانه جغرافياً

الباب الثالث : لبنانه اقتصادياً

الباب الرابع : لبنانه في العهد المجريد



الباب الاول

موجز تاريخ المتصرفية

ملحة اجمالية

افاق لبنان من حوادث ١٨٦٠ مقطع الاوصال مشنت
القوى دامي الجراح عرضة للاضطراب والمؤثرات ، فوجه
اللبنانيون يومئذٍ جل اهتمامهم الى مراقبة العقوبات التي يحكم
بها على الجانين ، والى تقدير الخسائر التي نزلت بالمصايين ،
ولم يكن عندهم من السكينة واطمئنان النفس ما يكفي
للاهتمام بمسألة المسائل وهي سن قانون البلاد الاساسي .

فاغتنت تركيا فرصة غفلتهم وتضعضهم فلعب الداهية
فواد باشا دوره المعروف فتساهل مع مندوبي الدول ما شاؤوا
في امر العقوبات والتعويضات ، محولاً كل قواه ودهائه الى
القواعد التي تبني عليها الحكومة في لبنان ، على علم منه ان
ذلك هو الجوهر وما سواه عرض لا يؤبه له :

وضع نصب عينه ان يهدم صرح الاستقلال في لبنان
بتقويض اركانه من اساسها : فلا عائلة مالكة ، ولا قومية
وطنية ، ولا حدود اقتصادية كافية ، حتى اذا تم له ما اراد لم
يعد للبنان من الاستقلال الا أثر ، وتصبح البقية الباقية
شراً ووبالاً على اللبنانيين سياسياً واجتماعياً واقتصادياً الى
ان يأتي يوم يكون فيه اللبنانيون اول الناقمين على ذلك
الاستقلال حاسبين انه هو علة مصائبهم وبلاياهم ، ناسين
اصل الداء وجاهلين حقيقة الدواء ، وهكذا كان : فالغيت
العائلة المالكة ، وبطلت الوحدة القومية ، وحرم لبنان
حدوده الجغرافية ، فكان كانه طفل خنق في المهد
وهو رضيع .

رأيت في القسم الثاني ان النظام لم يوجب جعل الحاكم
وطنياً فكانت النتيجة ان الحاكم كان دائماً غريباً وبهذه
الصفة كان يعتبر نفسه ماموراً عثمانياً، جلُّ اهتمامه واقصي
امانيه ارضاء الدولة العاملة على نحو استقلال لبنان، فكان
عهد المتصرفية شوط مسابقة وزحام بين المتصرفين الى
تحقيق رغائب تركيا. وقد ساعدهم على ذلك شطرُ البلاد
مذاهب، حتى فاق عهد المتصرفية عهد القائمقامية من
هذا القبيل: فبدلاً من الاكتفاء بقسمة الشعب الى دروز
ونصارى، تفتنوا بتشطيره الى طوائف عديدة، فاصبحت
كلُّ طائفة قائمة بنفسها لا تضامن ولا تآزر بينها وبين
سواها من الطوائف، ففقد اللبنانيون ميزة القوة والمنعة
التي كان يضمنها الاتحاد والاتفاق لآبائهم وجدودهم، فاصبحوا
العوبة بين ايدي ذوي المصالح المختلفة، وتقتسى فيهم داء
التوظيف سعيّاً من افراد كل طائفة منهم الى استلام زعامة
طائفتهم باستلام الوظيفة الخاصة بها، مما لم يكن وجود مثله
قبل النظام.

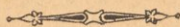
وفوق هذا وذاك كان حصرُ لبنان بين الصخور والوهاد
والانجاد عاملاً كبيراً في حمل الناس على المهجرة حتى ساوى
اللبنانيون النازحون عددَ اللبنانيين المقيمين ، وهو امر
لم يحصل في غير لبنان من بلاد العالم .

وبهذه الطريقة تمَّ للدولة ما ارادت : فمزقت شمل
اللبنانيين وقطعت اوصالهم سياسياً واجتماعياً واقتصادياً حتى
اصبحوا اليوم وقد ضعفت وطنيتهم وهزلت قوميتهم ونزح
خيرةُ شبانهم وانشطُ رجالهم وهم يكادون يظنون ان
استقلالهم هو اصلُ شقايتهم وتأخرهم ، ولعلَّ البعض اذا خيروا
حسبوا انهم يخدمون بلادهم اذا هم لم يتشبثوا به .

ولم يُعَدِّم لبنانُ بعد تشكيل النظام من افراد دعوا
قومهم الى تفكيك السلاسل وتكسير القيود ، وقد كان
يوسف بك كرم أولَّ اولئك الداعين فلم يجد من الدول
تأييداً ، فاضطر الى هجر البلاد مرغماً . . . وكان بعده
يتصاعد في لبنان من حين الى اخر صوتُ داعٍ الى النهوض
فلا تتجاوب الارضاء اصداءه ، حتى ضرب على البلاد سرادق

كثيف من اليأس والخمول ٠٠٠ واذا بلغ اليأس من شعب
مثل هذا المبلغ فصعب^ه على افراده مهما عظمت وطنيتهم
واشدد اخلاصهم ان يقلوه من كبوته ٠٠٠

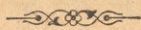
غير ان « العناية » التي صانت هذا الشعب منذ
العصر الاولي وحفظت كيانه واستقلاله رغم تقلب الغزاة
والفتحين في سوريا ، لقديرة^ه ان تنفخ فيه روحاً جديدة
وحياة ناهضة : ان في السويداء لقوة كامنة ، وبين اللبنانيين
المقيمين والنازحين لرجالا^ا اكفاء ، اذا زعق بوق الوطنية
في وادي سباتهم العميق تغلغل دوي^ي صده الى مكامن
صدورهم فافاقوا من ضجعتهم وزحزحوا الجنادل عن مناكبهم
ونفضوا الاكفان عن اجسامهم ونشطوا الى الحياة يجمعون
اشتاتهم ويستعيدون مجد اجدادهم حتى كان^ا الله نشر
الاموات من قبورهم ، انما الله^{يحيي} العظام وهي رميم فلا
يهمل لبنان الباسل الدامي صوتاً وحرمة لارزه المقدس .



الفصل الأول

داود باشا (١٨٦١ — ١٨٦٨)^١

ويوسف بك كرم



اتفقت الدول غلى تولية داود باشا في ٩ حزيران سنة ١٨٦١ فصدر فرمان بتنصيبه حاكماً عاماً على لبنان لمدة ثلاث سنوات وبمنحه رتبة المشيرية^٦ ولعلها اول مرة منح فيها مسيحي هذه الرتبة الرفيعة. وقد غادر داود باشا الاستانة

١ هو داود جرايد ارتين ولد في الاستانة سنة ١٨١٨ من عائلة ارمنية كاثوليكية وتلقى العلوم في مدرسة ازميز الافرنسية ثم درس الحقوق واللغات وعين مدرساً للغات الاجنبية ثم دخل في سلك السياسة وكلف بمهمة لتركيا في برلين حيث وضع كتاباً في تاريخ القوانين الجرمانية وقد منحته ا카데미ة العلوم في برلين لقب عضو شرف سنة ١٨٤٥ ومنحته كلية ايانا لقب دكتور

في اواخر حزيران فبلغ بيروت في اوائل تموز حيث قدمه
فؤاد باشا الى مفوضي الدول ، ثم اقيمت حفلة رسمية فخمة
لتلاوة الفرمان في حرش بيروت حيث نصبت السراقات
والخيام وتلي الفرمان السلطاني بحضور وكلاء الدول
ووجهاء البلاد . وقد روى شاهد عيان لتلك الحفلة انه
راى فيها يوسف بك كرم وهو واقف متكاً على سيفه وعلى
وجهه سيماء السكابة والتامل ٢٠٠

وفي اواسط تموز غادر دولته بيروت الى دير القمر
حيث استلم مقاليد وظيفته . وقد لقي صعوبات جمة في اداء
مهمته لاسباب عديدة منها عدم توفر المال اللازم فان
مبلغ ٣٥٠٠ او ٧٠٠٠ كيس المنصوص عنه في النظام لم
يكن كافياً لاقالة البلاد من عشرة السنة الستين ولاجراء

في الحقوق سنة ١٨٥٣ ثم دعي بمدها الى تولي ادارة البوستة والتلغراف في
الاستانة فنجح في وظيفته نجاحاً باهراً ومنها انتقل الى تولي حكومة لبنان .
ويقال انه لم يطلع على نظام لبنان الاساسي الا وهو على ظهر الباخرة التي
اقلته الى بيروت فقال انه لو اطلع عليه قبل توليته لما قبل الوظيفة الجديدة لما
في النظام من النقص .

الاصلاح فيها كما تقتضيه الحال . ومنها ان النظام فرق الشعب اللبناني في كل المصالح الى طوائف ومذاهب لاسيما في اقامة مجلس وكلاء عن الطوائف الست لدى الحاكم . فاضطر دولته الى عدم تنفيذ كل نصوص النظام لتعذر تنفيذ بعضها ولعدم ملاءمة تنفيذ البعض الاخر

ومما كان يزيد في حرج الحال وفي نفور اللبنانيين من الترتيبات الجديدة تولية حاكم اجنبي . فاللبنانيون لم يتعدوا ان يروا على بلادهم حاكماً غريباً ، ولما ولت الدولة عليهم عمر باشا قاموا في وجهه قومة واحدة فاضطر الباب العالي الى اقالته كما مر في القسم الاول .^١

ولم يكد يستقر المقام بداود باشا حتى شعر الوطنيون بما في تعيين الحاكم الاجنبي من خفضة لشأن لبنان ، وراوا ان الاصلاح والرقى لا يتفقان مع وجود حاكم غريب لاتضامن ولا تآزر بين مصلحته ومصلحة البلاد ، فحرت في البلاد حركة نفور من شكل الحكومة الجديدة .

وقد ظهرت بوادر تلك الحركة في جهات الشمال على يد فتاها الباسل « يوسف بك كرم »^٦ فثار القوم هناك كما ثار اباؤهم من قبلهم سنة ١٨٤٢ على عمر باشا والغرض واحد في الحالين: اعادة الحكم الى الوطنيين .

ولم تكن ثورة كرم لتتجح الا اذا ايدته الدول كما فعلت سنة ١٨٤٢ اذ ساعدت اللبنانيين على عمر باشا ، ولم يكن يجهل « كرم » حاجته الى ذلك التأييد . لكنه بدلاً من ان يناله طلب اليه ان يخلد الى السكينة على ان يعاد الحكم الى الوطنيين لدى انتهاء مدة داود باشا سنة ١٨٦٤ . فاذعن كرم وهجر البلاد في اواخر سنة ١٨٦١ منتظراً اتمام الوعد في حينه .

ولما انتهت مدة داود باشا سافر دولته الى الاستانة وترك الحكم في البلاد لوكيل رئاسة مجلس الادارة^٦ وهو يومئذ الشيخ عيد حاتم .

وقد جرت العادة بعد ذلك أنه كلما خلي مركز الحاكم العام لسفر او لمرض او لوفاة كان يقوم مقامه وكيل رئاسة

المجلس ، فاصبح الامر تقليداً متبعاً عمل به في كل عهد
المتصرفية ، فكانت الحكومة اللبنانية في تلك الفترات حكومة
وطنية بحتة وهو تقليد تحسن مواصلة العمل به في العهد الجديد
ولما وصل داود باشا الى الاستانة طلب من الدول
بالحاج تعديل مواد النظام واعطاء لبنان حدوداً تمكنه من
الحياة الاقتصادية ، ولج في وجوب دفع الخزينة فرق الميزانية
للبنان . فاجيب الباشا الى بعض طلباته ، وامضي النظام
الجديد في ٦ حزيران سنة ١٨٦٤ ، لكنه لم يزد على حدود
لبنان شيئاً

واتفقت الدول في الوقت ذاته على تجديد المدة لداود
باشا لخمس سنين اخرى فكان قرارهم في مسألة التجديد
مخالفاً للوعود التي وعد بها « كرم » ومخيباً لامال اللبنانيين .
فلما علم « يوسف بك » بما كان ، عاد الى لبنان سنة ١٨٦٥
فشارت معه البلاد ثانية ، وفي هذه المرة ايضاً تغاضت عنه
الدول ولم تؤيده فرنسا فاضطر الى الرجوع الى منفاه سنة

١٨٦٧ وتوفي في نابولي سنة ١٨٨٨ .

واليك بعض ما رواه المؤرخون عن حوادث « كرم »
في لبنان :^١

راى « كرم » ان الجيل بعد الانظمة الجديدة لم يعد على هيئة
عظمته الاولى فقام في وجه داود باشا لا طمعاً بوظيفة ، وقد عرض
عليه داود باشا ما يريد فأبى ، بل قام دفاعاً عن استقلال لبنان
واشفاقاً من ان يتولاه حاكم اجنبي خلافاً للمعتاد من قديم الزمان . «
» وقد توسط البعض من قناصل الدول لدى « كرم » وأكدوا
له ان تعيين الحاكم الاجنبي على لبنان مسألة وقتية تنتهي بانتهاء مدة
داود باشا بعد ثلث سنوات ، وانه يحسن به ان ينتظر ريثما تنتهي هذه
المدة فتعود البلاد الى استقلالها ويولى عليها حاكم لبناني «

» وقد مكر فواد باشا « يوسف بك » فدعاه الى بيروت زاعماً
انه يريد مباحثته ، وهو في الواقع يريد ايقافه ، فوقع « البك » في
الشرك واكره على مغادرة لبنان الى الاستانة .

» وكان سفره اليها في اواخر سنة ١٨٦١ ، ومنها انتقل الى
برنابا بجوار ازمير منتظراً نهاية مدة الثلث سنوات . وعند نهايتها لم

١ عن الدبس ج ٨ عد ١١١٩ والمقاطعة الكسروانية ص ٣٦٥
وجوبلان ص ٤٨٣ ودي لاجونكيار ج ٢ ص ٢٨ الخ ...

يتم ما كان أمل به « كرم » بل جدد الحكم لداود باشا . ولما عرف « يوسف بك » بذلك افلت من منقاه وعاد مسرعاً الى البلاد فوصل الى ميناء طرابلس في منتصف ت ٢ سنة ١٨٦٤ وسار منها خفية الى زغرنا فدخلها ليلاً حين لم يكن احد ينتظر وصوله . وفي صباح اليوم الثاني ذهب الى المقبرة يصلي على قبر والدته وقد كانت توفيت اثناء هجرته ، فابصره الزغرناويون جائياً يُصلي على القبر فعرفوه فبادروا اليه مهلين ، وذاع خبر قدومه في البلاد فاهتز له لبنان وامه الناس افواجاً من كل انحاء البلاد .

« وبناءً على وساطة البطريرك ووجهاء البلاد لم يحصل بين الباشا وكرم ما يعكر صفو السكينة في بادي الامر . غير ان دولته بعد ذلك ادخل الى لبنان عسكر الدولة خلافاً لمنطوق النظام فعاد الاضطراب وقام يوسف بك في وجهه ثانية . »

« فرأى داود باشا انه لا يستقيم له الامر في لبنان « وكرم » فيه فسافر الى الاسطانة سنة ١٨٦٥ مستنجداً .

« وفي تلك الاثناء ارسل قنصل فرنسا الى الاساقفة والاكليروس الماروني يبلغهم ان حكومة الامبراطور لا تؤيد « كرم » ابدأ . »^١

« وفي آخر السنة المذكورة عاد داود باشا على الباخرة الحربية « لبنان » بعسكر عديد . وقد جعل مركز المتصرفية في شتاء سنة

١٨٦٦ في جونية بالقرب من بكركي لاتهامه البطريك بولس مسعد
بمبالأة « كرم » .

« وقد كان لدواد باشا مع « كرم » مواقع مشهودة لا يزال
ذكرها يملاً لبنان حتى الساعة ، منها ان داود باشا سير عليه في
اوائل سنة ١٨٦٦ ثلاثة الاف مقاتل من جنود الدولة وعليهم
القائد الفرنسي « الطاب » . فقام « البك » من زغر تا الى بنشي
ومعه نحو اربعمئة رجل فاضطرت نار الحرب بين الفريقين ساعات
واسفرت الموقعة عن انتصار « كرم » ، فرجع عسكر داود باشا
مدحورين الى طرابلس وغنم « الكرميون » شيئاً كثيراً من سلاحهم
فاستعانوا به على حربهم في مواقع اخرى . »

« واحتاطه مرة في نبع جوعيت نحو الف رجل فأنحدر امامهم
في وادي النهر لجهة مزيارا واتبعه الرجال على ضفتي الوادي . فلما
بلغ الكمين وايقن ان لا مناص له صاح باصحابه وكانوا نحو
خمسة عشر رجلاً : « سيوفكم يا ابطال » ، واستل سيفه ومشى على
القوم المشتبكين في الطريق وحوله رجاله فارتاع الكامنون وانحسروا
عن طريقه واجتاز بينهم ومضى . »

« وفي سنة ١٨٦٧ خرج « كرم » في البلاد داعياً قومه الى
النهوض فتالت اليه الجموع الغفيرة فسار برجاله الابل زاحفاً على
بيت الدين . وقد مر في جبة بشري وبلاد البترون وجبيل وكسروان

والجماهير تهتف له ونخبة الشبان الأشداء ينضمون اليه حتى بلغ بكفيا في اواسط كانون الثاني فدخلها ليلاً وبات فيها مع معظم رجاله .
« وفي صباح اليوم الثاني كان يسمع القداس في كنيسة مار عبداً فاذا باحد رجاله مسرعاً يخبره ان القتال انتشب في وادي الصليب بين رجاله والعسكر النظامي . وروي الذين كانوا جاثين بقربه من اهالي بكفيا ان البك لشدة تعبده لم يشأ ان يترك الكنيسة قبل نهاية القداس فقال للكاهن المصلي : « عجل » ، وظل جالساً ريثما انتهى القداس فخرج من الكنيسة وامتطى جواده فانضم الى رجاله شبان من بكفيا وساروا جميعاً الى ملاقاته العساكر . وما لبثوا ان شارفوهم فجرت بينهم « وقعة وادي الصليب » فاستبسل فيها « كرم » ورجاله استبسال الاسود ولم تل منهم العساكر منالاً ، وبينما القتال على أحمره وصل الى « البك » الشيخ صليبي كنعان الخازن موفداً من قبل قنصل فرنسا فوقف القتال وخلا الشيخ صليبي « بالبك » وقال له « ان فرنسا تريد منه ان يكف عن القتال والافهي قد عزمت العزم الاكيد على تايد داود باشا ، وان القنصل متفق على ذلك رأياً مع البطيرك وهو ينتظره في بكركي عند غبطته ويطلب موافاته الى الكرسي حالاً »

« فلما نظر يوسف بك الى الاحوال المحيطة به وعلم ان من كان يعتمد عليهم قد تخلوا عنه ، أيقن انه يضحي برجاله الابطال على غير

جدوى ، حَقْنًا لدمائهم واشفاقاً عليها من ان تُتَظَلْ هَدْرًا ، راي
ان يُغْمَد سيفه مكرهاً وبؤمن رجاله ، على ان لا يقيم بعدها في
بلاد فقدت استقلالها وهو قد عجز عن استعادته لها . . .

وفي ١٨ ك ٢ سنة ١٨٦٧ اجتمع يوسف بك بالقنصل والبطيرك
في كرسي بكركي فاسفرت تلك المقابلة عن تسليم يوسف بك
للاسباب المتقدمة»

قد لا يُعرف يوماً ما جاش في صدر «يوسف بك» في
تلك الساعة من عواطف الحق والغضب واليأس ، وما
قد يكون جاهر به من التعب والتعنيف ، وما أسرَّ به الى
محدثيه عن واجب يُقضى وعن أمل يُرجى

في ذمة الله ما أعلن وما أسرَّ في تلك الساعة الخطيرة . . .
وعلى كلِّ فلم يخرج «كرم» من تلك المقابلة الا وقد مُقضى
الامر . . على ان لبنان لا يزال يهتَزُّ لاسم «كرم»
ويقدِّسُ اهلُ الشمالُ رفاته وذكره . . .

لم يفعل «كرم» في لبنان غير ما فعله كارا جورج في
الصرْب ، واييسيلنتي في اليونان : ' هنا وهناك ثار الوطنيون

سعيًا الى الاستقلال ، وهنا وهناك تدخلت اوربا في الأمر ،
غير ان تدخلها في البلقان اسفر عن استقلال ممالكه ،
وتدخلها في لبنان أفضى الى ضياع استقلاله : ان لله في
خلقه شؤونًا ، وللامم كما للأفراد حظوظًا وجدودًا .^١

أثرت تلك الحوادث في مركز داود باشا تأثيرًا
سيئًا فشرع بعدها بأحرف الناس عليه ونفورهم منه في حين

١ في اليوم الثاني (١٩ ك ٢ سنة ١٨٦٧) نزل يوسف بك كرم الى
بيروت فخرجت الجماهير الى لقاءه يشق عنان السماء دعاؤهم له ، وقد روى
من حضر ذلك الملقى انه لم يسبق حصول مثله في بيروت . . .
اما « البك » فلم يقيم فيها طويلا في اوائل شباط غادرها الى مرسيليا
ومنها البحر الى الجزائر ثم جاء باريس حيث قابل وزير خارجية فرنسا وتحدث
معه مليا ، غير انه خرج من تلك المقابلة غير راض . . . فقادر فرنسا ولم يعد
اليها . . . ومنها سار الى بلجيكا ثم الى رومة وكورفو ، واخيرا اتى نابولي فتوطنها
الى آخر ايامه . وقد زاره في نابولي سيادة « الدبس » وعرض عليه باسم كامل باشا
الصدر الاعظم اصلاح ذات البين بينه وبين الدولة على ان يكون « يوسف بك »
قائمًا قامًا او متصرفًا على احدى مدن سورية خارجا عن لبنان ، فابى « كرم » كل
وظيفة مؤثرا ان يقضي ما بقي من حياته في الغربية ، وهكذا كان فانه توفي
في نابولي سنة ١٨٨٨ ودفن في احدى مدافنها ولم يحنط . وبعد ١٥ شهرا
تقريبا ارسل البكوات ابناء اخيه من أتي برفاته الى وطنه فجاؤوا بها الى اهدن
حيث لا تزال موضوع اجلال الناس يحجون اليها ويتبركون منها .

انه لم يكن بوسعه ايقاف ذلك التيار باجراء الاصلاح في
البلاد وتحويل الافكار الى المنافع العمومية والرقى الاجتماعي
ولبنان على ما هو عليه من عجز في المالية ، وضيق في
الحدود ، وحواجز بين الطوائف تساعد على الانشقاق
والاختلاف ، فطلب من الباب العالي طلبات تمكنه من
معالجة الداء والحل في طلب منافذ لبنان الطبيعية الى البحر
كطرابلس ويروت وصيدا ، فابت عليه حكومة الاستانة
كل مساعدة ، جارية في ذلك على سياستها القديمة
القاضية بالتضييق على لبنان ما امكن ، وما زالت به حتى
اضطرته الى الاستعفاء سنة ١٨٦٨

وفي مدته جرى نظام التسجيل في المحاكم اللبنانية ،
وحصل لبنان على ايراد البقاع من اصل المطلوب له من
خزينة الدولة ، وجرى فتح ٧٠٠٠ متر من طرق العربات ،
واشترت الحكومة سراي دير القمر من ورثة الامير يوسف
الشهابي ، ثم سراي بيت الدين بمبلغ ١٢٠٠ كيس من
ارملة الامير بشير ، واصبحت بيت الدين منذ ذلك الحين

مركز الحكومة الرسمي صيفاً .
وكان معاش داود باشا ٧٥٠٠٠ غرشاً شهرياً .



الفصل الثاني

من فرقو باشا الى اوهانس باشا



تمتع لبنان في هذه المدة بكثير من الراحة والسلام .
غير ان اللبنانيين شهدوا فيها خرق الامتيازات في مواطن
عديدة ، وركود التقدم والرقى من الوجهة الاقتصادية ،
فكانوا من حين الى آخر يرفعون اصوات الاحتجاج ثم لا

١ ايس من مجال الان للتبسط في تاريخ التصرفية وقد يعود المؤلف الى
تدوينه باسهاب في فرصة اخرى

تلبث ان تخفت أصواتهم لعدم وجود من يؤيدهم ، فيخيم
السكوتُ على البلاد بينما المهاجرة تنهش أحشاءها وتجلي
عنها ما فيها من علم ونشاط ، حتى اصبح سكوتُ هذا
العهد أشبهَ شيءٍ بالاستسلام . ولعل ذلك عقبى طبيعية لهده
الاضطرابات السابق . او بالأحرى عاقبة يأس اللبنانيين
بعد جهادٍ طويلٍ غير مُجدٍ ، ونتيجةُ فساد النظام
الاساسي ونقصه .

منذ الفتح العثماني ترى لبنان يسعى الى الاستقلال
فتذهب مساعيه سُدى : ففي اوائل الجيل السابع عشر
ثار نحرُ الدين على الدولة وحاربها زهاء ربع قرن ،
وفي آخر الامر خانهُ الدهر ، وحالت الظروف دون إنجاز
حلفائه في اوربا له ، ففضى ولم يبلغ « الغاية » .
وبعد مضي نحو من مئتي سنة أعاد الاميرُ بشيرُ
الكبيرُ عملَ نحر الدين معتمداً هو ايضاً على حلفاء اقوياء ،
فلم يرد عنه محمد علي مقدراً ، ولم تدفع عنه فرنسا مكروهاً ،
فانتهى الى حيث كانت نهايةُ نحر الدين من قبله .

وجرّب اللبنانيون يومئذٍ ان يسعوا الى استقلالهم
من طريق أخرى فحوّلوا قواهم الى الدولة على ابرهيم باشا
بناءً على الوعود والتعهدات التي أعطوها ، وبعد ان تمّ
النصرُ للدولة على يدهم ، ذهبت كلُّ تلك الوعود والتعهدات
ادراجَ الرياح ...

وقام اخيراً « يوسف بك كرم » حاسباً ان الوقت قد
حان لانصافِ لبنان ، فلم يكن أسعدَ حظاً ممن تقدّمه
نخابُ فأله وكسر سيفه ، وكسرت معه قلوبُ اللبنانيين
بعد ما راوا ان في كلِّ مرة ينقلب جهادهم وبالاً عليهم .
وكأن سلسلة تلك العبر المفجعة لم تكن كافية حتى بلوا
بذلك النظام الاساسي فأجهز على وحدتهم ورقبهم ...

تلك امورٌ اذا طرأت على بلاد تكفلت باخماد أعلى
الهمم وإضعاف اقوى الشعوب ، فخدوشها في لبنان يشفع
به لدى المفكر المنصف اذا شاء ان يُصدر حكمه على هذا
نصف القرن الاخير ، بل يُفسر في لبنان جموداً ما كان
ليتفق مع ذكاء اهليه ونشاطهم . . . ان هي الالهجة وتنقضي ،

فلأهم ضجعات تفتيق منها وتنشط الى تحقيق غايتها
بهمة أمضى وعزم اشد، وفي بوادر النهضة القومية والحركة
الفكرية التي ظهرت في اواخر المتصرفية لفال^١ يبشر بحسن المآل.

١ فرنقو باشا (١٨٦٨ — ١٨٧٣)

بعد استعفاء داود باشا تم الاتفاق بين الدول والباب العالي على
تولية فرنقو باشا لمدة عشر سنوات ، ووقع البروتوكول الخاص به في
٢١ تموز سنة ١٨٦٨ ، وقد انضم يومئذ معتمد ايطاليا في الاستانة
الى معتمدي الدول الخمس الكبرى وامضى معهم البروتوكول المذكور
فكان ذلك فاتحة دخول ايطاليا في مصاف الدول الاوربية الكبرى ،
واصبح نظام لبنان الاساسي في ضمانه الدول الست .

ومما يروى عن فرنقو باشا انه يوم استلامه فرمان التولية تعهد
للسلطان عبد العزيز بالعمل على الغاء نظام لبنان .^٢

وقد بدأ اعماله بان تنازل للدولة عن ايراد البقاع .
وقبل نهاية مدته توفي في لبنان في ١١ شباط سنة ١٨٧٣
ودفن في الحازمية ، قرب بيروت على طريق الشام .
وقد عمل في مدته ٥٩٥٠ متر من الطرقات ، وأنزل معاشه الى
٥٠٠٠٠ غرشاً شهرياً .

١ هو فرنقو نصري كوسا اصل عائلته من حلب

G. CHARMES, Voyage en Syrie, p. 264.

رستم باشا (١٨٧٣ - ١٨٨٣) ١

امضى مفوضو الدول ومفوض الباب العالي برتوكول رسم باشا في ٢٢ نيسان سنة ١٨٧٣ ورأت الدول ان اطالة المدة للباشا خير من تقصيرها حتى يتسنى له التفرغ للاعمال النافعة ولا يكون بعد مدة وجيزة تحت رحمة الباب العالي، فحصل الاتفاق على توليته لعشر سنوات ايضاً.

اراد رسم باشا ان يعفي خزينة الدولة من دفع فرق الميزانية للبنان فحفض جعل الموظفين بادئاً بنفسه فانزل معاشه الى ٢٣٠٠٠ غرشاً شهرياً، لكنه زاد معاش الجنديّة، ولم يكفّ تنزيل المعاشات لسد فرق الميزانية ففرض على البلاد ضرائب عديدة، مما ادى الى اضطراب الافكار وافضى الى الاختلاف الشديد الذي وقع بينه وبين سيادة المطران بطرس البستاني على اثر وضع ضريبة ورق التمغة

وقد قامت البلاد بتؤيد المطران بطرس في طلب المحافظة على النظام، غير ان رسم باشا عمد الى استعمال القوة بعد ان أمن معارضة سفير فرنسا، وفي ٣١ ايار سنة ١٨٧٨ ارسل من القبط

١ هو الكونت مارياني من عائلة ايطالية شريفة كان قبلاً سفير الدولة في روسيا ثم اصبحت سفيرها في لوندن بعد مغادرته لبنان.

خفيةً على المطران فثار من علموا بالامر وارادوا ان يتعرضوا للعسكر
بالهوة فحشي سيادته وقوع ثورة قد لا تحمد عقباها لاسيا وفرنسا
توؤيد الباشا ، فالح عليهم بالاخلاق الى السكينة وقبل ان ينتشر
الخبر كان سيادته غادر البلاد الى القدس حيث نزل ضيفاً مكرماً في

بطيركية اللاتين . اعتقد لم يأت هناك بطيركية للاسم

وقد اضطرت البلاد لهذا الحادث وثارَت الافكار في كل مكان
ثم بذلت المساعي فعدت الحكومة الافرنسية رايها وقبل مضي
سنة اشهر صدر الامر برجوع سيادته فقام من القدس الى يافا حيث
اقلته بارجة افرنسية الى جونه فوصلها في ٩ تشرين الثاني من السنة
ذاتها (١٨٧٨) فاستقبله الناس باحتفال كبير ومن هناك صعد الى
المقام البطريركي في بكركي حيث قضى ثلاثة اشهر ثم عاد الى كرسيه
في بيت الدين باهة واجلال نادرين .

وقد توصل رسمه باشا بما احده من الضرائب الى اغفاء الدولة
من دفع فرق الميزانية لصندوق لبنان .

ومنذ سنة ١٨٧٧ جعل مركز المتصرفية في غزير شناء .
وسنة ١٨٨١ بنى جسر نهر الكلب ، وهو على طريق قاطع بكفيا ما
بين طاحون دير مار عبدا وطاحون دير مار الياس الراس .
وفتح طرقات تقدر بحو ٩٥٢٢٠ متراً .

واصف باشا (١٨٨٣ — ١٨٩٢) ^١

وقعت الدول والباب العاب بروتوكول تصييه في ٨ ايار سنة ١٨٨٣ وجعلت مدة حكمه عشر سنوات ايضاً .

الغى واصه باشا نظام الحاكم اللبنانية وربطها بعدلية الدولة، وفي ايامه تفشت الرشوة في لبنان واصبحت آفة البلاد، وفيها كثر التدخل في امر الانتخابات لمجلس الادارة واشتدَّ الضغط على القضاء في اصدار الاحكام مما حمل اللبنانيين على تقديم الاحتجاجات الشديدة الى الدول الحامية وظهرت نتائجها في بروتوكول نعوم باشا وما يُذكر له انه اعار التفاته الطرقات فعمل منها في عهده ١٩٤٠٦٠ متراً .

وقد توفي في اواخر حزيران سنة ١٨٩٢ قبل نهاية مدته ودفن في الحازمية ايضاً بجوار مدفن امراته وبنته اللتين توفيتا في لبنان اثناء حكمه

نعوم باشا (١٨٩٢ — ١٩٠٢) ^٢

خلف نعوم باشا واصه باشا بمقتضى بروتوكول تاريخه ١٥ آب سنة ١٨٩٢ وقد حددت مدته لخمس سنوات وجددت له في ١٤ آب

١ واصه باشا الباتي الاصل من قبيلة المردنيقي لاتيبي المذهب .

٢ نعوم باشا زوج بنت فرنقو باشا وحلي الاصل مثله .

سنة ١٨٩٧ لمجلس سنين أخرى.

وعلى أثر احتجاج اللبنانيين على خرق النظام في مسألة انتخاب المجلس وتغيير نظام العدلية والتدخل في المحاكم، احتج سفراء الدول على ذلك ودونوا احتجاجهم في بروتوكول تولية نعوم باشا حيث جاء ما ترجمته :

« وعلما ما تقدم ، رأى ممثلو الدول أنهم مضطرون ان يلفتوا نظر الباب العالي الى بعض تعديلات ادخلت على نظام لبنان ويطلبوا منه ان يتعهد في المستقبل بتنفيذ نصوصه مع السهر خصوصاً على مايلي :

١ ان تجري انتخابات مجلس الادارة بكل ضمانات الاستقلال المرغوبة وان تحترم حقوق هذه الهيئة .

٢ ان تنظم القضاء المشكل في نظام سنة ١٨٦٤ والذي غيره حکام لبنان بغير موافقة الدول ، يجب ان يعاد على قاعدة المواد ٦ و ٧ و ١٠ من النظام المذكور .

٣ ان تحترم الضمانات المعطاة للقضاة في المادة ١١ من النظام ذاته فلا ينقل هولاء الموظفون ولا يعزلون الا بعد تحقيق يتم بمعرفة مجلس الادارة .

اعلن دوثلو سعيد باشا ان الباب العالي يعتمد الطلب المذكور وانه سيوصي الحاكم باحترام نظام لبنان وتنفيذ كل نصوصه بامانة «
ورغم ما جاء في البروتوكول المذكور لم يغير نعوم باشا نظام المحاكم

بل ابقاه مرتبطاً بعدلية الدولة .
ويؤثر عنه ان كان مولعاً بانشاء الطرقات فقد شغل منها في
مدته ما يقدر بنحو ٤٨٠٨٨٠ متراً .

وبنى سنة ١٨٩٧ سرايات الحكومة في جونية وجزين وبجنس
والبترون ، وبنى سراي اميون سنة ١٨٩٨

مظفر باشا (١٨٩٢ — ١٨٩٧) ١
١٩٠٢ ١٩٠٧

ولي مظفر باشا حكومة لبنان بمقتضى بروتوكول تاريخه ٣٧ ايلول
سنة ١٩٠٢ وجعلت مدته خمس سنوات فقط

اثبت مظفر باشا باعماله ومظاهره الرسمية انه يعتبر نفسه اميراً
مستقلاً ، ويريد ان يعمل لمصلحة لبنان لا لسواها ، وقد نشر في البلاد
على اثر وصوله بيان الأعمال الآتية : ٢

١ تعميرات وتشكيلات جديدة في مركز المتصرفية ، وانشآت
جديدة ومدت خط تليفون في الدوائر . ٢ وضع حدود فواصل
بين الجبل والولايات . ٣ انشاء أساكن بحرية على الشواطئ اللبنانية
تسهيلاً لدخول المراكب التجارية . ٤ تدابير لمنع المقامرة . ٥ مصوّر
(خارطة) لكل قرية في كل ناحية وفي كل قضاء ميين فيها الاملاك

١ مظفر باشا اصله بولوني ومنهجه لاثيني من عائلة تشايكوفسكي

٢ عن جريدة الاهرام الصادرة في ٢٤ ت ٢ سنة ١٩٠٢

واسماء اصحابها ومقدار مساحتها. ٦ تدابير لمنع التهريب. ٧ تدابير
لاصلاح المالية. ٨ تدابير لايقاف المهاجرة الى البلاد الاجنبية.
٩ اصلاح معاملات الانتخاب. ١٠ اعلان ميزانية الحكومة في كل شهر.
١١ اصلاح وتحسين الجندرمة. ١٢ اصلاح وتحسين المحاكم والمجالس
على نمط خاص. ١٣ تعميم اصول للتقاعد وتأسيس صندوق في
المتصرفية. ١٤ اصلاح ما يتعلق بواجبات الدوائر والمأمورين.
١٥ تعيين خطوط المرور للطرق الجديدة اللازمة. ١٦ استخراج
المعادن. ١٧ توسيع الصنائع والحرف. ١٨ الاعتناء بالتحريج.
١٩ بناء بيت سكن للمتصرف

وقد يكون نغذ بيانه او بعضه لو لم يبله الله بخاصة
وحاشية اضاعت اتعابه وافضت به الى الداء الذي اودى
بحياته ٦ نخاب ما كان علق عليه من الامال.

وقد توفي في صيف سنة ١٩٠٧ قبل انتهاء مدته بشهرين
تقريباً فنقلت جثته الى الاساتنة.

وفي عهده كثر انشاء الجمعيات السياسية.

وبنى سراي الشويفات سنة ١٩٠٢ ٦ وسراي انفة

وغزير سنة ١٩٠٤ ٦ وسراي الجديدة سنة ١٩٠٥ ٦ وفتح من

الطرق ما يقدر بنحو ٦٧٠ ٢٢٢ متراً

يوسف باشا (١٩٠٧ - ١٩١٢)

على أروفاة مظفر باشا اتفقت الدول والباب العالي على تولية يوسف باشا ابن فرنقو باشا وجعلت مدته خمس سنوات ايضاً. وفي ايامه نشر الدستور العماني قسرب التحمس به من الولايات الى لبنان حتى خطر على بال بعضهم ان يطلبوا ضم لبنان الى سوريا وارسال مبعوثين الى مجلس المبعوثان ، ولم تكذ تظهر تلك الفكرة حتى اختفت امام هياج اللبنانيين في البلاد وفي الخارج ، متشبثين بكيانهم وامتيازاتهم لا يرضون بحال من الاحوال ، ان يتنازلوا عن مركز لبنان الخاص ، اسوة بما فعله اجدادهم سنة ١٨٤١ .

وقد امتازت مدة يوسف باشا بكثرة ما ادخل على لبنان من الانظمة والقوانين المخالفة للنظام اخصها قانون المطبوعات مما ادى الى احتجاج الصحافة اللبنانية واضراب اصحابها عن العمل مفضلين اقفال مطابعهم والغاء جرائدهم على الخضوع لقانون يخالف امتيازات لبنان ، وفي تلك

الثناء عمده شهيدا لبنان فيليب وفريد الخازن بعد
ان اوقفا جريدتهما الارز ، الى خدمة القضية اللبنانية من
طريق أخرى فعنيا بتعريب « المحررات السياسية والمفاوضات
الدولية عن حوادث سوريا ولبنان من سنة ١٨٤٠ الى سنة
١٩١٠ » فطبعا منها ثلاثة مجلدات ضخمة تتناول الحوادث
حتى اذار سنة ١٨٦١ . وقبل ان يوفقا الى تعريب الجزء الرابع
دهتهما الحرب فكانا من اول شهدائها واعزهم ، ولا شك في
ان نشرهما لتلك المحررات كان من اكبر العوامل على قتلها .
ولم تذهب تلك الحركة الوطنية سدى فهاجت افكار
اللبنانيين في لبنان والمهجر وانشأوا الجمعيات السياسية العديدة
للدفاع عن امتيازات لبنان وقدموا مذكرات الى الدول
الحامية يطلبون فيها بالحاح المحافظة على النظام واعادة لبنان
الى حدوده الطبيعية وفتح مرافقه للبواخر التجارية مما ظهرت
نتيجته في بروتوكول اوهانس باشا .

وقد عمل في عهد يوسف باشا من الطرقات

١١٨١٨٠ متراً .

او هانس باشا (١٩١٢ - ١٩١٦) ^١

وُقِعَ بررتوكول تنصيبه في ١٥ ك ١ سنة ١٩١٢ وجعلت
مدته لخمس سنين .

واهم ما فيه ان الدول فهمت اخيراً ان طريقة الانتخابات
لمجلس الادارة لا تتفق مع أسباب الرقي فقر قرارهم على
تعديلها شيئاً « فاضافوا على شيوخ القرى مندوباً عن كل مئة
مكلف في كل بلدة يزيد عدد مكفيها عن المئة » . والغرض
من ذلك ان لا ينحصر حق الانتخاب في هيئة مشايخ
القرى بل يتعداه نوعاً الى الاهالي لما كان في الاقتصار
على المشايخ من المحذورات . ولم يكن هذا التعديل سوى
علاج مسكن ، اما الدواء الوحيد فإطلاق حرية الانتخاب
للشعب . ^٢

« واعطى البرتوكول دير القمر حق انتخاب مندوب
عنها ، ونقل عضو جزين الدرزي الى الشوف »
وقد خطا البرتوكول خطوة في سبيل الحكم النيابي

١ هو او هانس قيوجيان الارمني
٢ راجع ص ٢٨٣

فقرر « احترام حقوق مجلس الادارة بان حذرا يقاف عضو من
اعضائه الا اذا اجرى المجلس تحقيقاً أسفر عن استذئاب ذلك
العضو » . وقرر « وجوب عمل ميزانية باتفاق الحاكم مع المجلس »
ومن حسنات هذا البروتوكول ايجابه على الحاكم « ان
يقدم قبل نهاية مدته بعشرة اشهر تقريراً عن مالية لبنان حتى
تتمكن الدول والباب العالي من اعادة النظر في المادة الخامسة
عشرة من النظام الاساسي ، وفي هذه المناسبة تعمل تصفية
نهائية عن حسابات السنين الماضية . » فالباب العالي اعترف
صريحاً في هذا البند ان بين الخزينة وبين صندوق لبنان
حسابات قديمة معلقة وانه يجب تصفيتها نهائياً . فللحكومة
اللبنانية اليوم بمقتضى هذا البند ان تطلب تصفية الحسابات
القديمة ودفع ما هو مستحق للبنان على الدولة^١
وقرر ايضاً « ان القضايا التجارية تنظر في لبنان اذا
كان المتقاضون كلهم لبنانيين . »

واخيراً نص على زيادة عدد الجنديّة وجعلها ١٢٠٠ نفر

واناطة تدريبيهم بمعلم خاص .

ولما كان الباب العالي يخشى دائماً زيادة المصروفات في لبنان خوفاً من تحميل اعباء الفرق لحزينة الدولة جاء في البروتوكول انه « يجب الاهتمام حتى لا تكون المصاريف الجديدة حملاً ثقيلاً على ميزانية السلطنة . »

وقد نفذت بعض بنود هذا البروتوكول واهمل تنفيذ البعض الاخر كعمل ميزانية وتعليم الجندية ، وقبل انتهاء مدة اوهانس باشا وتصفية الحسابات القديمة مع الدولة ، شهرت الحرب بين تركيا والحلفاء وخرقت الدولة امتيازات لبنان واحتلته عسكرياً ، ثم عزلت اوهانس باشا سنة ١٩١٥ وعينت مكانه علي بك منيف ، ثم استبدلته باسماعيل حقي بك في اواخر سنة ١٩١٦ .

وقد ذاق لبنان الامرّين في هذه المدة سياسياً واقتصادياً فقتل الاتراك من خيرة ابناءه من قتلوا ونفوا من اكليرورسه ووجهائه من نفوا ، وضيقوا الخناق على البقية الباقية فيه فسدت عليها المسالك من كل الجهات فدخل الجوع منازل

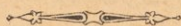
الاغنياء كما قبض على رقاب الفقراء وتفتشت الامراض
والاوبئة بينهم ونزلت بهم المصائب والبلايا على انواعها
حتى باد على اقل تقدير نصف سكان لبنان ، وهي نسبة لم
يُفجع بمثلها شعبٌ من شعوب الدول المحاربة .

ولئن قيس الجزاء والتعويض بمن فقدته الشعوب من ابنائها
وبما خسرت من مرافقها فلبنان في طليعة الشعوب الشهيدة
ينظر الى الحلفاء حماة الحق والعدل ونصرء الضعيف والمظلوم ،
ولا يذكرهم ان نصف قومه بادوا في سبيلهم فهم له ذكرون ،
بل يامل منهم ، وقد وضع النصرُ مستقبلَ العالم بين ايديهم ،
ان يُصفوه مما ألمَّ به قديماً وحديثاً انصافهم لسائر الشعوب
الصغيرة ، فيسدلوا بمنحه الاستقلال ستارَ الظلمة والسلام
على آخر فصل من تلك المأساة الدامية التي مثلها على مر
الاجيال صوتاً لكيانه .

واذا اعتمد لبنان على الحلفاء في نيل الاستقلال فان
أعناق بنيه تطالُّ بنوعٍ خاص الى فرنسا لما بين الشعين
من العلاقات القديمة المخصصة في الفصل التالي .

الفصل الثالث

لبنان وفرنسا



يرجع تاريخ العلاقات بين لبنان وفرنسا الى عهد الصليبيين ويمتد مستحكما للحقات حتى اليوم . وقد بدأت تلك العلاقات بانجاد الموارنة للصليبيين ، ثم بمساعدة اللبنانيين عموماً للفرنسيين في مراقبتهم التجارية على عهد نخر الدين ، ثم بمنحهم الاوقاف الكثيرة لانشاء المدارس وتشيد الاديرة في لبنان ، فضلاً عن ان اللبنانيين كانوا ولا يزالون يفتشون كل فرصة تسنح لهم فيثبتون تعلقهم بفرنسا وحبهم لها ، في حين ان فرنسا كانت تبادلهم الودّ الحميم والجميل الجزيل فراسلهم ملوكها وخصوصهم بانعامات وفيرة وعنايات جليّة ، حتى اصبح تبادل المحبة والمعروف

تقليداً مرعياً بينهم لم يكن تبدلُ شكل الحكومات في فرنسا ولا تقلبُ الدهر على لبنان ليغير فيه شيئاً بل زاد رسوخاً على كروور الاجيال حتى اصبحت برهةً هذه الثمانية قرون عبارةً عن مبادلة متواصلة للولاء الخالص وللخدمات المجردة كل على نسبة مقدرته .

واليك بعض ما دونه الكتبة والمورخون في هذا الشأن :^١
قام الصليبيون في ربيع سنة ١٠٩٩ من انطاكية^٢ متجهين جنوباً الى اورشليم^٣ حتى بلغوا جبال لبنان حيث كان يقيم معظم الموارد وهم متحصنون في الجهة الشمالية منه .^٢
فلما وصل الصليبيون الى طرابلس هبط اليهم الموارد من مشارف لبنان لنجدتهم والترحيب بهم .

١ عن رستلهوبر : تقاليد فرنسا في لبنان . ولا مرتين رحلة الى الشرق ج ١ ص ٤٥٨ وفولني رحلة الى سوريا ج ٢ ص ١٧
٢ يخص الفرنجة الموارد بالذكر لان سكان لبنان الذين بدأت علاقات الفرنجة معهم كانوا ينتمون الى هذه الطائفة^٤ والذي يهم الباحث اللبناني هو ان يجمع ما للبنان من المائر سواء اتته على يد هؤلاء او اولئك : فيذكر فخر الدين ومدبريه من مشايخ بيت الخازن كما يذكر الامير بشير الكبير وشاعره كرامة^٥ . بصرف النظر عن اتهامهم الى هذه الطائفة او تلك ما دام الجميع لبنانيين وما زال الوطن هو المقصود لا الطائفة .

وكان الصليبيون يجهلون تلك الطرقات الوعرة فأنبأهم
الموارنة ان هنالك طرقاً ثلثا توصل الى اورشليم : طريق
دمشق وطريقاً تشق لبنان وطريق الساحل ، فاختار
الصليبيون طريق الساحل حتى يظلوا على اتصال مع باوخرم ،
فسار فيها الصليبيون والموارنة معهم فمروا جميعاً بالبتروت
وجبيل واقاموا ثلاثة ايام على ضفاف نهر ابرهيم ، ثم واصلوا
السير حتى نهر الكلب ومنه الى بيروت وصيدا وعكا ومنها
نكبوا عن الساحل متجهين نحو المدينة المقدسة فحاصروها
وسقطت في يدهم في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩

ولم يكتفِ الموارنة بان يكونوا هداة للصليبيين بل
تطوع منهم في الجيش عدد وفير فلم يلبثوا ان اشتهروا ببسالتهم
وحسن رمايتهم وصبرهم على المكاره حتى شهد مؤرخو
الصليبية انه كان لاولئك المتطوعين يد تذكّر في كثير من
انتصاراتهم كفتح طرابلس واورشليم وغيرها .

ولما وصل الملك لويس التاسع الى قبرس وجد فيها
جالية مارونية كبيرة فبادر رجالها الى فعل ما فعله اخوانهم

في لبنان في الحملة الصليبية الاولى ، فانضموا الى جيش الملك
ثم اتاهم نجدة من موارنة لبنان فبلغوا جميعا عدداً لا يقل
عن ٣٠٠٠ مقاتل .

وقد تقدم مطران الموارنة في قبرس الى الملك لويس
فنصحه بالسير الى سوريا ، ففضل الملك ان يزحف على مصر
فكانت حملته عليها وبالاً .

ولما رجع الى سوريا لاقاه الى عكا الامير سمعان
بالرجال والهدايا والخيول الكريمة مما حمل الملك القديس على
ارسال كتاب شكر الى امير لبنان . وقد يكون تطرق الزلل
الى ذلك الكتاب بتوالي النسخ والترجمة غير ان انجاد اللبنانيين
للملك امره لا شك فيه .

وبعد ان تضععت قوات الصليبيين في سوريا لجأت
البقية الباقية منهم الى لبنان حيث انزلهم اهلوه على الرحب
والسعة ووهبهم الاراضي والمنازل فتوطن كثيرون منهم
لبنان حيث كانوا في مأمن من طوارئ الدهر .

وقد نوه الباباوات في رسائلهم الى بطاركة الموارنة

بالمساعدات الجلي التي بذلها اللبنانيون للصليبيين خلال ثلاثة قرون، كما ذكرها «الدويهي» في كتاب أرسله الى المسيو «بونكورس» قنصل فرنسا في صيدا، بتاريخ ٢٦ ت ١ سنة ١٦٧١، والكتاب محفوظ باصله العربي في المكتبة الاهلية في باريس رقم ٤٦٢٢^١

وقد عرف الصليبيون اللبنانيين صدق ولائهم فكانوا اثناء اقامتهم في سوريا يولونهم^٦ في وضع القوانين والانظمة^٦ عناية خاصة اقراراً بجميلهم. وفي ذلك يقول المسيوريه في تاريخه عن الصليبية: «ان الشارع يعيرهم التفاتا لا يعيره سواهم من الوطنيين^٦ فهم دائماً نصب عينه وموضوع اهتمامه فيوليهم مركزاً خاصاً لا يوليه غيرهم من اهل البلاد» ولما تقلص ظل الصليبية عن سوريا بقيت علاقات اللبنانيين مع الفرنسيين على اتصال دائم وولاء مقيم. وفي اوائل الجيل السابع عشر كان الامير نخر الدين الكبير قد اعاد الى صيدا بعض زهوتها القديمة^٦ وكان

للفرنسيين فيها جالية فمنحها الامير « خانا » هو عبارة عن
بناية كبيرة متسعة الارحاء جعل فيها القنصل الافرنسي داره
والتف حواليه تجار الفرنسيس ومعهم متاجرهم ومستودعاتهم
واقيم فيها ايضاً للمرسلين دير وكنيسة .

ولم يقل ما عمله اللبنانيون للمرسلين عما عملوه للتجار
فان للموارنة فضلاً يذكر في انشاء الرسائل الافرنسية في
لبنان .^١ ففي سنة ١٦٥٢ وهب الشيخ ابو نوفل الخازن اليسوعيين
محللاً في عين طوره وبنى لهم فيه ديراً ومعبدًا . وهناك
انشئت مدرسة عين طوره الشهيرة التي آلت بعد الغاء
اليسوعية الى الاباء العازاريين . وقد اثبت الاباء اليسوعيون
ذلك في « رسائلهم البانية » حيث جاء ما ترجمته : « ان
السفينة التي ركبها الاب فرنسيس لمبرمع رفيقيه هاجت عليها
ريح شديدة فالقتها في ناحية قرية من قرية عين طوره .
فلما ابصر سكان هذه القرية ان السفينة تقرب من جهتهم
ظنوا ان فيها لصوصاً بحرية فاسرعوا بدون ان يفحصوا عما

كان من امرها وقبضوا على الاب لمبر ورفيقه واخرين
غيرهم من المسافرين وجاؤوا بهم الى والي البلاد. وكان الوالي
وقتيئذ السيد ابو نوفل الخازن الماروني المشهور. وكان ذا
استقامة طارصيتها في الافاق حتى ان لويس الرابع عشر
اختاره ليكون قنصلاً على شعبه الافرنسي وبعث اليه بالفرمان
المؤذن بذلك.

فامام هذا السيد مثل الاب لمبر ورفيقاه وبعد السؤال
علم انهم ليسوا لصوصاً بحرية بل هم مرسلون بعثت بهم العناية
الالهية اليه. فانزلهم عنده واكرم ضيافتهم ووهب لهم محلاً
من املاكه في احدى جهات لبنان المدعوة كسروان وامر
ببناء بيت ومعبد في ارض مناسبة لذلك وقد انفق هو نفسه
ما اقتضاه هذا العمل

وما زال السيد ابو نوفل مدة حياته اعظم محامٍ عنا
واجلاً متفضل علينا حتى ان رسالتنا في عين طوره لا تنسى
ابداً ان تأسيسها منة منه «

وما فعله الشيخ ابو نوفل الخازن في اواسط الجيل السابع عشر فعل مثله الامير بشير الكبير والامير حيدر المعني وغيرهما من اللبنانيين في اواسط الجيل التاسع عشر . وقد اثبت ذلك الاب جوليان اليسوعي في كتابه « رسالة اليسوعيين الجديدة في سوريا » فذكر هبة الامير بشير لهم في المعلقة كما مر . وذكر عن منحة الامير حيدر ما ترجمته : « ارسل الامير حيدر في طلب الاب ريكادونا فجاءه المرسل الى جوار الحوز في ١٦ حزيران سنة ١٨٣٣ فقال له الامير : طف املأكي واختر فيها المحل الذي تريده لاقامة الدير وانا ابنيه واقف عليه الاوقاف . وفي اليوم الثاني كلف الامير كاخيته بمرافقة الاب ريكادونا ، وكان كاخية الامير الشيخ ميخائيل الحاج نصار (وكلمة كاخية في التركي معناها المستشار والمدير الاول للاشغال) وهو من اسرة تقطن بكفيا .

وبعد البحث وصل المرسلان الاب بلانشه والاب

ريكادونا حيث تقابلا مع رئيس الرهبانية الانطونيانية المعروفة
بالبلدية التي كان لها محبسة هناك ، فرضي الرئيس ببيع المحل
وطلب ثمنه شيئاً زهيداً قائلاً : انه كان يود لو استطاع
اهدائه بلا ثمن . وفي اليوم التالي جاء الشيخ ميخائيل نصار
ومعه عقد البيع والمخالصة

« وبعد ان تم كل شيء شرع الاب ريكادونا ببناء
الدير (في بكفيا) بينما الاب بلانشه كان مهتماً باقامة الدير
الآخر الذي تفضل به الامير بشير الكبير في الجهة الاخرى
من لبنان (في المعلقة) »

وقد تأصلت محبة اللبنانيين للفرنسيين حتى انهم كانوا
يستقبلون كل افرنسي يزور لبنان كما تستقبل العائلة فرداً من
ابنائها ، وقد شهد بولائهم وسمو اخلاقهم كل من زار
لبنان من رحالاتهم قديماً وحديثاً ، نكتفي بايراد بعض ما
ذكره فولني ولامارتين في هذا الصدد :

زار فولني لبنان سنة ١٧٨٣ فذكر فيما ذكره عن
الموارنة: « ان حق التملك مقدس في بلادهم شانها في
اوروبا ، فلا تجدهم ما تجده عند الاتراك من الظلم
والتعديت . ويسافر المرء ليلَ نهاراً بامن غير معروف في
بلاد السلطنة ، ويجد الغريب في بيوتهم الضيافة الطيبة .
» ان الجميع من مشايخ واهالي يمشون مسلحين ببندقية
وخنجر حتى اصبحوا يحسنون استعمال السلاح في الاوقات
اللازمة كساعة يضطرون الى الدفاع عن بلادهم من الاتراك .
ولما لم يكن في البلاد جيش منظم فهم ملزمون جميعاً بالتجند
اذا وقعت حرب ، ولو اتيج لهؤلاء الجنود قيادة ماهرة لفاقوا
معظم جيوش اوربا . وتدل الاحصاءات الاخيرة ان عدد الرجال
القادرين على حمل السلاح لا يقل عن ٣٥٠٠٠ مقاتل »
وما لقيه فولني في الجيل الثامن عشر من حسن الضيافة
عند اللبنانيين وخبره فيهم من مضاء العزيمة ووجده في البلاد
من أمن وراحة ، لقي مثله لامارتين حين زار لبنان على
ايام الامير بشير الكبير . فقد جاء في « رحلته الى الشرق »

عن الموارنة اللبنانيين ما ترجمة بعضه :

« ان الرجال عندهم طوال القامة حسان الطلعة ذوو
نظر ينم على الحرية والاباء ، ولهم ابتسامة تدل على الذكاء
والانس اذا مررت في بلدة ورايت الشيخ جالسا على
باب داره ذات الشرفات ، وقد رُبُطت في باحتها الجياد
المطهمة مشكولة ، ورايت وجوه البلدة عنده وقد ارتدوا
الفراء الثمينة تشد اوساطهم زنانير من الحرير الاحمر وقد
شكت فيها خناجرٌ وتدلّت منها سيوفٌ مقابضها من فضة ،
وعلى رؤوسهم عمامٌ كبيرة مختلفة الالوان وعلى اكتافهم
شالات من الحرير الارجواني ، اذا رايت كل ذلك خيل
اليك انك ماثلٌ امام شعب من الملوك .

« وهم يحبون الاوربيين كاخوة لهم . . . ويعتقدون
اننا نحميمهم من الاتراك بواسطة قناصلنا وسفرائنا . . .
واذا اتاهم منا مسافرون او مرسلون او تراجمة لدرس اللغة
العربية تراهم يستقبلونهم في قراهم كما تستقبل العائلة اقرباءها
البعيدين فيصبح المسافر والمرسل والترجمان ضيف البلدة المحبوب

فيزلونه في الدير او في بيت الشيخ ويقدمون له الهدايا
ويصطحبونه معهم الى الصيد ويدخلونه في العائلات كأنه
فرد منها فلا تحتجب عنه النساء .

ولقد طابت للامارتين الاقامة في لبنان حتى قال انه لا
يجد في العالم بلاداً يمكن ان يعتاض بها عن وطنه مثل لبنان
قال : « اذا اضطرت يوماً الى هجر بلادتي فلا ارى خيراً
من الاقامة في قرية مارونية قائمة في وسط لبنان او منبسطة
على سواحله ، فاعيش بين ظهرائي ذلك الشعب الممتاز بصفاء
سريرته وشدة تدينه ورحابة صدره ، وامتع من ثم الطرف
بمشاهد تطل على البحر او تبلغ به الى الثلوج العالية ، في
ظلال اشجار مشمرة وسط حدائق غناء تزين هاتيك الديار...
» اما الأمان فسائد في كل انحاء البلاد التي يسكنها
الموارنة ، ومرجعهم ليس لقوة القوانين بل لحاسات تدينهم
وسمو اخلاقهم ، فاذا سافرت منفرداً وبغير دليل ليلاً او نهراً
فانك لا تحذر سرقة ولا تخشى اعتداءً فالجنايات تكاد تكون
غير معرفة عندهم .

« اما عن الضيافة فحدث ولا حرج . ان الضيف مقدس عند العربي المسلم وهو مقدس اكثر عند العربي المسيحي (الوطني) فهو يفتح بابه للضيف في اية ساعة طرقه وينحر جديه ليقوم بواجبه ويتنازل له عن حصيرته . »

وقد عرف لامارتين اللبنانيين على اختلاف طوائفهم فعاشر الدروز كما عاشر النصارى ولقي عند هولاء ما لقيه عند اولئك من الادب والمعروف . قال : « ان الضيافة مقدسة عند الدروز وليس من وعد او وعيد يُغري الدرزي على تسليم ضيفٍ احتسى به ولو كان طالب تسليمه نفس الامير . في ايام موقعة نافرين خشي الاوروبيون الساكنون في مدن سوريا انتقام الأتراك منهم فلجأوا الى بلاد الدروز حيث اقاموا بامان تام شهوراً عديدة »

ثم نظر الى الدروز والنصارى من الوجهة الاجتماعية فرأى ان اخلاق الطائفتين خير مساعدٍ لهما على ان يصبحا

١ نافرين من بلاد اليونان دمرت فيها العمارة الاوروبية العمارة المصرية العثمانية انتصاراً ليونان .

أمةً واحدةً في لبنان تتمشى باتفاق واتحاد على طريق التقدم
والعمران ، قال : « وللدروز في آدابهم شرعة مثلى وهي ان
الناس كلهم اخوة ٠٠٠ وقد اعتادوا السكنى مع الموارنة
واصبحوا واياهم على شيء من الاخوة ، ومن اسهل الامور
ان يصبحوا والشعبُ المارونيُّ أمةً واحدةً يسرون سويةً
في سبيل الحضارة والرفي . »

وقد طاف لامارتين كثيراً من بلاد الشرق فزار مصر
واليونان وسوريا والاسطوانة وخبر الناس والبلاد وختم كلامه
في هذا الفصل بما ترجمته مما ينطبق على اللبنانيين عموماً :
« ان الموارنة شعب باسل وهو حربي من طبيعته ككل سكان
الجبال ... اذا دعاهم الامير بشير لحمل السلاح لبوا نداءه
يربون على الاربعين الف مقاتل ، واذا كان هذا الشعب
متفقاً فلا يجسر الاتراك على دخول لبنان ٠٠٠٠
« قد يُنخيء الدهر لهذا الشعب مستقبلاً كبيراً ٠٠٠٠
فهذه البلاد هي بلاد المستقبل اكثر من مصر : ان مصر فيها
رجل (يريد محمد علي) اما لبنان ففيه شعب »

وقد استمرت تلك العلاقات بين لبنان وفرنسا بل
زادت استحكاماً بتوالي الازمان حتى وقعت هذه الحرب فظهر
اللبنانيون من التعلق بفرنسا ما حمل الاتراك على الانتقام
منهم وهو امر اصبح مشهوراً لدى الخاص والعام . ولم تقصر
فرنسا في مبادلة اللبانيين الولاة والجميل ومد يد المعونة
اليهم في كل طارئة ، وقد بلغ استخلاصها اياهم انها اقامت
منهم قناصل لها في بيروت مدة قرن وربع قرن من سنة ١٦٦٢
الى سنة ١٧٨٨ فتولى تلك الوظيفة العالية المشايخ ابو نوفل
وابوقنصوا وحصن ونوفل الخازن ثم خلفهم فيها الشيخ
غندور الخوري ، فكان اولئك القناصل اللبانيون خير عونٍ
على قضاء مصالح فرنسا وتوسيع نفوذها ، وقد شهد كتاب
الفرنسيس وقناصلهم أن علاقاتهم المتواصلة مع لبنان هي التي
جعلت لهم مركزاً في سوريا يُحسدون عليه ، وأن لبنان
كان الاساس الذي بُني عليه صرح نفوذهم في تلك البلاد ،
فقد جاء في كتاب المسيورستلهوبر قنصل فرنسا سابقاً في
بيروت عن «تقاليد فرنسا في لبنان» ص ٢٨٠ ما ترجمته :

« ان هذا الارث لا يقع تحت وزن او قياس غير ان له من
المكانة والسلطان مالا ينكر ، وهو الذي جعل لنا في سوريا
مركزاً لا يستهان به »

ولا ينسى اللبنانيون ان فرنسا سنة ١٨٦٠ خدمت لبنان ،
ان لم يكن في انالته الاستقلال التام واعطائه حدوده الطبيعية
لاضطراب السياسة يومئذ ، فهي ولا شك قد خدمته في
حفظ كيانه وصون امتيازاته ، وهي منه لا يزال ذكرها حياً
في صدور اللبنانيين ايها وجدوا ٠٠٠٠

وقد أعلنت فرنسا يومئذ انها تسعى الى صون لبنان
مجردة عن كل غاية سياسية ومنفعة استعمارية ، متبعة في ذلك
سياستها التقليدية في لبنان بل في سائر اقطار المسكونة حيث
لها في كل بلاد مائة مجردة جعلت لفرنسا في العالمين
مركزاً اديبياً لا ينازعها فيه منازع : هكذا فعلت لاميركا على
يد لافايت وروشامبو ، وهكذا فعلت لليونان في موقعة
نافارين وبلاد المورة ، وهكذا فعلت لتركيا تحت اسوار
سباستوبول ، بل هكذا فعلت بالامس حين تسابقت فيا القها

الى سالونيك محافظةً على صربيا ، والى بخارست استبقاءً
لرومانيا ، وهي في كل ما فعلت لم تسع الى كسب ولا طمعت
بمغنم : ففي اميركا واليونان وتركيا وصربيا ورومانيا آثاره
خالدات تحدث الاجيال الحاضرة والمقبلة عن نبالة فرنسا
وشرف مبادئها . وقد اولاها هذا المركز الادبي الفريد من
القوة والسطوة مالم تؤهلها اياه جيوشها الجرارة واساطيلها الضخمة
مع ما هي عليه تلك الجيوش والاساطيل من البسالة والمنعة .
وقد ظهرت نتائج ذلك في هذه الحرب الطاحنة يوم التفت
برايها الامم ، فلا يغالي من قال ان فرنسا لو خسرت الحرب
لخسرت كثيراً لكنها اذا فقدت مركزها الادبي في العالم
فهي تفقد كل شيء .

تلك حقيقة عرفها اقطاب الفرنسيين وعملت بموجبها
حكوماتهم المختلفة ، والى هذه الحقيقة اشار نابوليون الثالث
في خطابه الذي نشره على حملة سوريا في معسكر شالون
بتاريخ ٧ آب سنة ١٨٦٠ حيث جاء ما ترجمته :

« ايها الجنود:

انكم مسافرون الى سوريا . فرنسا تحيي بسرور حملة
غايتها الوحيدة نصر حقوق العدالة والانسانية
ستقومون بواجبكم في هذه الارض السحيقة الغنية
بتذكارات مجيدة فتبرهنون انكم اولاد اولئك الابطال الذين
حملوا علم المسيح في تلك البلاد بعزٍ وشرف .
ان عددكم قليل وانما انا واثق بان بسالتكم وسطوتكم
تغنيانكم عن كثرة العدد لان الشعوب تعلم انه حينما يجتاز
علم فرنسا فهناك غاية نبيلة تتقدمه وشعب عظيم يتبعه . «
ولم تدخر فرنسا يومئذ وسعاً لصون الامارة اللبنانية
ولانالة لبنان حدوده الطبيعية مع توسيع استقلاله السياسي ،
فلم تصادف التأييد الكافي من اوروبا بل لقيت في ذلك
معارضةً شديدة لم يكن سببها الرغبة في التضيق على لبنان
كرهاً بلبنان ذاته وانتقاماً من اللبنانيين انفسهم ، بل كانت
سببها الحذر من ان يكون لبنان في يد دولة قوية تمتد منه

على سواء ٠٠٠٠ كما تثبت ذلك محادثة^ه جرت بين المسيو
غيزو سفير فرنسا في لوندرا واللورد بلمرستون وزير خارجية
بريطانيا في ٤ اذار سنة ١٨٤٠ على ذكر حوادث مصر وسوريا
والبحر المتوسط عموماً قال اللورد: « لا شك في ان فرنسا
ترى بعين الارتياح قيام مملكة جديدة نشيطة مستقلة في
مصر وسوريا تكون حليفة لها حتماً ٠٠٠٠ ان لكم السيطرة
على الجزائر فلا يبقى ما يعترض بينكم وبين حليفتكم مصر سوى
تينك الحكومتين الضعيفتين تونس وطرابلس فتصبح كل
سواحل افريقيا وقسم من سواحل اسيا على البحر المتوسط
من مراکش الى خليج الاسكندرونة في قبضتكم وتحت
سيطرتكم ٠٠٠٠ ان ذلك لا يمكن ان يوافقنا »
اما وقد تغيرت احوال الزمان والمكان واصبح نظراء
الامس حلفاء اليوم فقد دقت ساعة التعويض للبنان ولم يبق
ما يحول دون استقلاله ٠٠٠

ولئن كان لحذر السياسة يومئذٍ قد حلَّ ما حلَّ بالامير
بشير كما قال لامارتين في مجلس النواب^١ ومن اجل ذلك
جرى ما جرى في معاهدة سنة ١٨٦١^٢ ولدواع سياسية حصل
ما حصل في عهد المتصرفية من حوادث « كرم »^٣ الى حادثة
المطران بطرس البستاني الى سواها مما لا مجال لذكره^٤ فيها ان
الفرصة اليوم سانحة لتعويض مافات بعد ان زالت العقبات^٥
وفرصة مثل هذه لا تسنح مرتين في تاريخ امة ...

.....

تلك التقاليد القديمة والطيبات المتبادلة بين لبنان
وفرنسا تحمل اللبنانيين على الآمال الكثيرة والاماني الكبيرة^٦

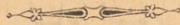
١ راجع ص ٢٢٨ و ٢٣١

٢ اثناء بحثي فيما يختص بالمسألة اللبنانية علمت ان « يوسف بك كرم »
اصدر في منقاه يوم كان في روما مذكرة رفعها الى الدول الحامية سنة ١٨٧١ بسط
فيها اسباب حوادثه واتى فيها على خلاصة القضية اللبنانية. فسمعت كثيراً منذ اوائل
سنة ١٩١٧ الى الحصول على هذه المذكرة وكلفت في باريس وروما من تفضل
بالبحث والتفتيش عليها ، ولاسباب لا محل لذكرها لم تصل اليّ تلك المذكرة
الا وهذه الملزومة تحت الطبع بعد ان فات الوقت . . ان في مذكرة « كرم »
الى الدول من المستندات ما يميط اللثام عن امور كثيرة وسأرجع اليها متى
سمحت الظروف .

لا سيما وتاريخ فرنسا في لبنان وفي كل مكان سواء يشهد
أنها لم تفعل يوماً ما حاولت روسيا فعله في رومانيا سنة ١٨٢٩ ،
فيكون الماضي حجة لارتهان الحاضر وامتلاك المستقبل
ان اللبنانيين يتطلعون الى الحلفاء عموماً والى فرنسا
خصوصاً لتقرير استقلالهم وللحصول على حدود بلادهم
الطبيعية ، وقد يكون لفرنسا اليوم القول الفصل في امر
لبنان : فيما استقلاله قولاً وفعلاً وإما غير ذلك ، والغد
القريب كفيلاً بان يمزق الحجب عن حقيقة حال لا يُغني
عنها اذا وقعت تسميق مقال ولا يُغير هويتها تزويق آمال ،
فيعلم اللبنانيون عندئذ اذا كان قد غرهم توهم آل في
افق الصحراء .

الباب الثاني^١

لبنان جغرافيا



إذا طالب اللبنانيون باستقلال لبنان فهم يعنون لبنان الجغرافي كما أوجدته الطبيعة، لا لبنان المتصور كما شدّته المعاهدة. وما دام الحلفاء قد أخذوا على انفسهم تشييد عالم جديد على اتقاض العالم القديم ونفي ما أنزلته المؤتمرات السابقة بالشعوب الصغيرة من الظلم والحيف، فاحرر بهم ان يصلحوا في لبنان ما افسدته فيه معاهدة سنة ١٨٦١ اسوة له بتلك الامم الضعيفة العديدة التي ازالوا الاجحاف عن بعضها واتشلوا البعض الآخر من دياجير الماضي الكثيفة فصيروها جميعاً ممالك ودولا مستقلة وضمنوا لها حدوداً تكفل لها الحياة والعمران.

١ عن كينه: سوريا ولبنان وفلسطين. «لبنان» مباحث علمية اجتماعية

الفصل الاول

لبنان المبتور

ان لبنان بحسب تحديد النظام يمتد غربي ولاية سوريا من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي على مسافة طولها ١٤٥ كيلو متراً وعرضها ٤٥ كيلو متراً على وجه التقريب، يحدهُ شمالاً متصرفية طرابلس من ولاية بيروت، وشرقاً قائمقامية بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا من ولاية الشام، وجنوباً قائمقامية صيدا من ولاية بيروت، وغرباً بيروت وضواحيها والبحر المتوسط.

وهو مقسوم ادارياً الى سبع قائمقاميات، ومديرية تابعة للحكومة المركزية رأساً، وهي: الكورة والبترون وكسروان والمتن وزحلة والشوف وجزين ومديرية دير القمر.

قائمقامية الكورة وفيها ثلث مديريات: الكورة الشمالية والكورة الوسطى والقويطع. مركز القائمقامية في اميون صيفاً وفي انقه شتاءً، وعدد سكان القضاء ٢٣٩٩٠ نسمة.

قائمقامية البترونة وفيها تسع مديريات : البترون السفلى
والبترون الوسطى وتورين والبترون العليا وقنات وحصرين وبشري
واهدن والزاوية والهرمل .

مركز القائمقامية البترون ، وعدد سكان القضاء ٦٤٣٣٨ نسمة .

قائمقامية كسروان وفيها تسع مديريات : جليل السفلى وجيل
العليا والمنيطرة وجراد جليل والفتوح وغوسطا وجونية والزوق
وجراد كسروان ومامور خاص لقرية شمسطار .

مركز القائمقامية جونية شتاءً وغزير صيفاً ، وعدد سكان

القضاء ٧٩٦٨٥

قائمقامية المتن وفيها خمس مديريات : المتن الاعلى وبسكتنا
والشوير والقاطع والساحل .

مركز القائمقامية بحنس صيفاً والجديدة شتاءً ، وعدد سكان

القضاء ٩٢٧٧٢ نسمة .

قائمقامية زحلة وهي خلو من المديريات مركزها زحلة ،
وعدد سكان القضاء ١٦٦٧٤ نسمة .

قائمقامية الشوف وفيها اثنتا عشرة مديرية : الشوفين واقليم
الخروب والعرقوب الاعلى والعرقوب الشمالي والعرقوب الجنوبي

والمناصف والجرد الشمالي والجرد الجنوبي والغرب الاعلى والغرب الشمالي والغرب الاقصى والشحار.
مركز القاقمائية الشوفيات شتاءً وبعقلين صيفاً، وعدد سكان القضاء ٩٥٤٢٦ نسمة .

قاقمائية هزيمه وفيها مديرتان : اقليم التفاح وجبل الريحان
مركز القاقمائية جزين ، وعدد سكان القضاء ٢١٧٤٣ نسمة .

مديرية دير القمر وهي تابعة رأساً للمصرفية .

مركز المديرية دير القمر ، وعدد سكان المديرية ٥٣٧٢ نسمة
وقد ذكر الاب لامنس في رسالته « استقلال لبنان الداخلي
في اربعين سنة » ان احصاء سنة ١٨٦٤ اثبت وجود ٩٩٨٣٤ رجلاً
قادرين على حمل السلاح ، وقدر سكان الحيل بنحو ٤٠٠٠٠٠ بحسب
التعداد الآتي :

موارنة ٢٣٠٠٠٠ ، روم ارثوذكس ٥٤٠٠٠ ، دروز ٥٠٠٠٠
مليكون ٣٤٠٠٠ ، متاولة ١٧٠٠٠ ، اسلام ١٤٠٠٠ ،
بروتستنت ١٠٠٠ ، لاتين ١٥٠ ، سريان وارمن كاثوليك ٦٠



نهر لبنان

نهر البارد (بروتس) : يخرج من جبال عكار ويصب في البحر على مسافة ١٣ كيلومتراً شمالي طرابلس .

نهر ابي علي او نهر قاديشا : يخرج من لطف جبل الارز ويصب في البحر من سهول طرابلس . طول مسيره ٣٨ كيلومتراً . ويمكن الارتفاع بمياهه لري ناحية الكورة والزاوية على مساحة الف هكتار ، وقياس مياهه في اول الخريف ٣٠٠٠٠ متر مكعب في ٢٤ ساعة .

نهر الجوز : يخرج من ينابيع عديدة من قصبه تنورين ويصب في البحر شمالي البترون بعد ان يجري مسافة ٢٥ كيلو متراً ، وهو يكاد ينضب في الصيف فاذا عمل له سدّ على علو ٨ او ١٠ امتار يخزن ٢٠٠٠٠ متر مكعب للري الصيفي .

نهر ابراهيم (ادونيس) : يخرج من مغارة اققا بالقرب من العاقورة ويصب في البحر على مسافة ٧ كيلومتر جنوبي جبيل بعد مسيرة ٢٠ كيلومتراً . تبلغ مياهه في فصل الصيف مئة الف متر مكعب في ٢٤ ساعة . اذا عمل له سدّ بعلو خمسة امتار يسقي الفي فدان .

نهر الكلب (ليكوس اي الذئب) : يخرج من مغارة جمعيتا
وتجتمع اليه مياه نبعي اللبن والعسل ووادي الصليب وفي الضيعة تحجز
مياهه شركة مياه بيروت لتوصلها الى المدينة

نهر انطلياس : يخرج من فوارتين بقرب مغارة انطلياس
ويصب في البحر بعد مسيرة كيلومترين . اذا صنع له حوض عند
مصبه في البحر ودفعت المياه بالمضخات الى الاملاك الواقعة على علو
عشرين او ثلاثين متراً لسقت ما لا يقل عن ٣٠٠ فدان .

نهر بيروت : يتكون من مياه نهرين يخرج احدهما بقرب
ترشيش في المتن الاعلى وكفر سلوان ويخرج الثاني بقرب فالوفا وحمانا
فيلتقيان في اسفل راس المتن ويصب في البحر قرب خليج مار جر جس
بعد مسيرة عشرين كيلومتراً .

نهر الدامور (تاميراس او داموراس) : يجتمع في جهات
عين زحلتا ودير القمر من اربع نهيرات وهي الغابون والصفاء والقاعة
وعين دارا فتلتقي هذه الانهر عند جسر القاضي ويصب هذا النهر في
البحر جنوبي معلقة الدامور .

نهر الاولي (يوسترينس) : يتكون من ثلاثة ينابيع تندفع
في الاودية باسم نهر الباروك وعند سهل بسري ينضم الى نهر الباروك

نهر جزين ذو الشلالات المشهورة ويصب في البحر على مسافة ٥ كيلو مترات شمالي صيدا بعد مسيرة ٣٥ كيلومتراً .

نهر الزهراني : اصله من عدة ينابيع في سفح تومات نبحا ويصب في البحر بين راس صرقند وصيدا على مسافة ساعتين جنوبي هذه المدينة .

نهر الليطاني : يخرج من المنحدر الشرقي من نبع العليق في شمالي البقاع فتجتمع اليه انهار كثيرة ، منها من جهة الغرب نهر البردوني ونهر شتورة ومياه قب الياس . ومن جهة الشرق نهر زعير ويصب في البحر المتوسط على مسافة ٧ كيلومترات شمالي صور حيث يسمى نهر القاسمية بعد مسيرة ١٦٠ كيلو متر .

نهر العاصي (اورونت) : يخرج من نبعين اولهما نبع البوبة شمالي بعلبك وثانيهما عند مغارة الراهب او مغارة مار مارون قرب الهرمل ويمتاز على نحو ٩ كيلومتر جنوبي حصن بحيرة حمص (قدس) ويخرج منها صافياً غزيراً ويصب في البحر تحت السويدية جنوبي راس الخنزير بعد مسيرة ٤٠٠ كيلومتر .

الانهار الشتوية وهي تجري في الشتاء وتجف في الصيف :
نهر العصفور شمالي راس الشقعه . نهر المدفون بين البترون وراس عمشيت . نهر الحلوة ونهر قرطوش شمالي جبيل . نهر الفيدار

جنوبي جبيل . نهر المعاملتين . نهر الموت بين انطلياس والدورة .
نهر الغدير تجتمع فيه مياه الامطار عند قرية كفر شيا ويخترق صحراء
الشويفات ويصب في البحر شاليها . نهر شحيم شمالي صيدا .
نهر البرغوت جنوبي صيدا . نهر الحيصراني جنوبي راس صرقد .

ينابيع لبنانه

الكورة : لا يوجد في قضاها ينابيع تذكر واكثر الشرب من الآبار
البترون : ان قضاء البترون غني بالينابيع في اعاليه فقير بها في
السواحل . ومن ينابيعه عيون عشاش ونبع اردو وعين المقدم ونبع
رشعين ونبع الخالديه (في الزاوية) ونبع جوعيت (في جهة بشرّي)
ونبع مار سركيس (راس اهدن) ونبع التدامة (قزحيا) ونبع الغار
(تحت قزحيا) ونبع كفر صغاب ونبع الفراديس ونبع طرزا ونبع
مار سمعان (في بشرّي) ونبع حدشيت ونبع قاديشا (تحت الارز)
ونبع ابو فرّاعه ونبع الصريط بقرقاشه ونبع قنات ونبع نيحا وسبعة
ينابيع حوب (قرب تاورين) ونبع وطا تاورين ونبع كفر حلدا
(ومنه نهر الجوز) ونبع مغارة الراهب (قرب الهرمل) وعين الجامع

في غاب مار شحين

كسروان : غني بالينابيع في اعاليه فقير بها في السواحل :
نبع حريش (بمفوق) ونبع طورزيا ونبع الشرين (فوق قرطبا)
ونبع افقا ونبع العاقوره ونبع الحديد وعين التنور (في طرف ميروبا)
ونبع المغارة (بالقرب من حراجل) ونبع اللبن ونبع العسل ونبع
القطين ونبع قرح (فوق غزير) ونبع بطحا ونبع حراش ونبع
مغارة جعينا (ومنه جُلبت المياه الى يروت)

المتن من ينابيعه : نبع قنابكيش (فوق بسكتنا) ونبع صنين
وثلاثة ينابيع المنبوخ ونبع بقلع ونبع القشقوش وينابيع النعص
(بكفيا) ونبع الشاغوو (حمانا) ونبع قبيع ونبع الدلبه ونبع الديشونه
ونبع انطلياس ونبع العرار

الشوف من ينابيعه : نبع الصفا ونبع القاع ونبع الباروك
ونبع الشالوط ونبع كفر نبرخ وينابيع رشميا ونبع ياتر ونبع الحمام

جزين : نبع جزين هو في اعلى البلدة ومنه يتكوّن شالوف
جزين ويصب في واديها من علو سبعين متر. ونبع الغريه
وعين الزرقاء (تحت قيتولي).

زحلة : نبع قاع فرين وعين حزير ونبع عين عابد ونبع

قب الياس وعين شتوره ونبع عيناتا
قاس حضرة الاب روشه اليسوعي درجة حرارة الينابيع فكانت،
وحرارة الجو عندئذٍ ٢٦ بميزان سننغراد، كما يلي :
نبع اللبن ٥٠،٥ ونبع العسل ٦ وعيناتا ٧ ونبع الحديد واليمونه
٨ ونبع اققه ٩ وبقليّع ١١،٥ .
واقع ينابيع لبنان نبع العسل ونبع الحديد وينابيع القلوق .
ومعظم هذه الينابيع لا يُنتَفَعُ منها فاذا جرت مياهها بمصرفٍ
زهيد اصبحت البطاح الجرداء جنات وبساتين زاهرة .

ذلك هو لبنان المبتور، وهو كما رايت في القسم الثاني لا يكاد
يتجاوز ثلاثة احماس لبنان الجغرافي، فكأن الدولة قصدت في ما سعت
اليه من تضييقه ان تقتل اللبنانيين في جبالهم اقتصادياً توصلاً الى
القتل السياسي غاية الغايات في سياستها التقليدية في لبنان .

ولولا ان اللبنانيين شعبٌ باسل لبادوا على بكرة ايهم عوزاً
وفاقة، غير ان همّة في النفس ونخوة في الصدر توارثوها عن الاباء
والجدود نشطت بهم الى معالجة الصخور وتحرير الجبال فاستمرا كل
شبرٍ من ارض بلادهم واستغلوا كل اُتْمَلَةٍ منها
ولما ضاقت بهم اسباب المعيشة في حدود بلادهم الخائقة هاجروا

الى اقصى الاقطار وجدوا واجتهدوا حتى نالوا جزاء تعبهم وجهادهم
ولم تنسهم الغربية جبلهم المحبوب فكان مرجع اتعابهم الى
وطنهم يرسلون الاموال الطائلة الى ذويهم والمساعدات الجمة للمشاريع
الخيرية والعلمية فلم تخلُ قريةٌ في لبنان من جمعية خيرية ومن
مدرسة وطنية .

وكان كلُّ منهم يحافظ على قيد اسمه في لبنان ويدفع امواله
الاميرية فيه احتفاظاً منه ببلانيته. وكان منتهى آمال الواحد منهم تشييد
منزل في مسقط رأسه حفظاً لذكره وذكر بيته في لبنان وهو يعتبر
انه اذا احتفظ ببلانيته وابقى ذكر بيته حياً في بلده فقد نال كل
السعادة

تلك الوطنية النادرة المثال جعلت لبنان على شيء من سعة العيش
والعلم الاولي رغم المعاكسات السياسية والتضييق الاقتصادي في حين ان
الحكومة لم تُفققْ غرساً واحداً على مشروعٍ خيري ولم تنشئ
مدرسةً واحدة في لبنان لضيق ذات يدها .

المعارف

حاولت الحكومة اللبنانية في اوائل المتصرفية ان تهتم بالتعليم
فانشأت بعض المدارس في لبنان وعينت مفتشاً للمعارف ، غير ان فقر

الصندوق حملها أخيراً على إهمال هذه المصلحة فلأت ذلك الفراغ
وطنية اللبنانيين وميلهم الفطري الى اقتباس العلم على قدر الامكان
فانشأوا المدارس الحرة في كل مدن لبنان وقراه حتى انه لم يبق في
البلاد قرية او مزرعة خالية من مدرسة تعلم الاولاد على الاقل
القراءة والكتابة ومبادئ الصرف والنحو .

ولا يكتفي في بلد وجود مدرسة ومدرسين بل يجب ان يكون للاهالي
رغبة في تعليم اولادهم وللاولاد اجتهاد لتحصيل العلم فاذا نظرت الى
المسألة من هذا القيل راعك ما ترى في لبنان من تراحم الاباء على
تعليم ابنائهم ومن تهافت البنين على مواثد العلم حتى ليصعب ان تجد فتى
لبنانياً يجهل القراءة والكتابة وهو امرٌ يسابق فيه لبنان ارقى بلاد
في العالم

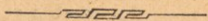
وقد احصت الحكومة المدارس في لبنان سنة ١٩٠٠ فاذا فيه
على وجه التقريب ٧١٠ مدارس اولية و٢٥ مدرسة ابتدائية و١٠
مدارس لاهوتية يتعلم فيها ما ينيف عن ٣٠٠٠٠ تلميذ . وقد لاحظ
اصحاب المدارس الاجنبية في سوريا ان تهافت اللبنانيين على العلم لا مثيل
له عند السوريين عموماً ، من ذلك « ان للاباء اليسوعيين في سوريا
١٨٠ مدرسة مجانية تضم ١٢٠٠٠ تلميذ منهم ٧٢٠٠ لبنانيون
تقريباً او ما يعادل الثلاثة اخصاس »^١

ولقد بلغ حب العلم باللبنانيين وتساوقهم اليه انهم غالوا في الامر فكان الكثيرون منهم يبيعون ارزاقهم والرزق في لبنان عزيز كالولد ويصرفون ثمنها على ارسال اولادهم الى المدارس العالية .

ولم يحيب الابناء النجباء ظناً أبائهم بل اثبت الطلبة اللبنانيون في كل مدرسة دخلوها ابتدائية كانت او عالية سواء في سوريا او في اوربا انهم اهل علم فائق وذكاء غريب .. وكفى المرء ان يحيل الطرف في عالم الاحياء ويستعيد بالخيالة ذكر الاموات فيروعه ما اثبت لبنان من علماء وكتاب وشعراء واطباء ومحامين ومهندسين وتجار ممن لا يحصرهم عدد.. وحسبك برهاناً على ما لهم من القوة الادبية ان معظم الصحافة العربية في العالم الغربي والشرقي وفي العالم الجديد اصحابها ومحرروها لبنانيون . وهم في كل ما بلقوه من علم وادب ورفق بلقوه بكدهم وجدهم الشخصي لا بفضل دولة تحميمهم وتسهل لهم سبل التقدم ولا بمساعدة مالين يقدمون لهم ما يحتاجون اليه من اسباب النجاح كما هي العادة في سائر الامم حيث تبذل الحكومات والشركات كل المساعدات اللازمة للافراد النابغين تنشيطاً وعوناً لهم على الاعمال الكبيرة ولو انصف لبنان باعطائه حدوده الطبيعية لبلغ رقي اهليه بازدياد مواردهم مبلغاً لا مثيل له في الشرق .

الفصل الثاني

لبنان الجغرافي



إذا القيت نظرة على الخارطة ظهر لك ان اقل ما يمكن الاعتراف به لبنان من الحدود الجغرافية التي اعطتها اياه الطبيعة يمتد من النهر الكبير شمالاً الى مصب اليلطاني جنوباً ومن العاصي شرقاً بشمال وسلسلة الجبل الشرقي شرقاً بجنوب الى البحر المتوسط غرباً . ذلك هو الحد الادنى للبنان الجغرافي : بحرٌ وجبلٌ وانهرٌ ثلاثة ، وهي حدود ظاهرة للعيان ثابتة على تقلب الحوادث وكرور الرمان

فاذا طالب لبنان بحدوده الجغرافية فهو يطالب باراض لبنانية بحتة لم يكن سلبها عن لبنان ادارياً وسياسياً لينزع عنها طبيعتها وصبغتها اللبنانية . فالارض ذاتها ارض لبنانية كما ان فرسوفيا ارض بولونية وباريس ارض افرنسية ، بصرف النظر عما يحوم حول هذه الحقيقة البديهية من الاعتبارات الاخرى .

وكل مرة عرض لمؤتمر ان بيت في امر بلاد كان يبدأ اعماله

بتحديد تلك البلاد اجمالاً ثم يقرر ما يراه من امرها.
والامثلة على ذلك كثيرة نكتفي منها بذكر ما عملته معاهدة برلين
بخصوص بلغاريا:

كانت بلغاريا ولاية عثمانية كسائر ولايات السلطنة، فاتفقت الدول
في مؤتمر برلين على جعلها امانة. فبدأ المؤتمر بوضع حدود عامة
للأمانة الجديدة فنصَّ ان بلغاريا تمتد من هذه النقطة شمالاً الى تلك
جنوباً ومن هذه الناحية شرقاً الى تلك غرباً. وبعد ان وضع المؤتمر
بلغاريا ضمن هذه الحدود قرر ان هذه البلاد بمحدودها المذكورة
تنتخب نواباً عنها فيلتمون في جمعية وطنية ويضعون دستور البلاد
وينتخبون اميراً لهم، الى اخر ما جاء في معاهدة برلين مما ترجم
معظمه في القسم الثاني^١

ولا شك في ان المؤتمر الحالي ينسج على هذا المنوال في ما خص
تحديد البلدان بوجه الاجمال تاركاً بعد ذلك للسكان، وقد حددت
مناطق مما لكهم، ان يضعوا قانون بلادهم الاساسي عملاً بمبدأ حرية الامم.
ولا يعني هذا المبدأ ان لكل مدينة ولكل قرية ولكل مزرعة
ان تقرر ما تريد فتضم او لا تضم الى البلاد التي هي داخلة ضمنها
جغرافياً او تستقل بنفسها، او تلتحق بدولة اخرى تختارها، انما

يطبق هذا المبدأ على الامم بوجه عام ، وللجغرافيه والتاريخ يدٌ في تكوين الامم لا يمكن الاغضاء عنها .

فاذا عرضت اليوم المسألة البولونية للمؤتمر عمد اولاً الى تحديد ما يعنيه بكلمة بولونيا جغرافياً بوجه عام ، ولئن جاز له الاختلاف على بعض قبلع لا تدخل حتماً في بولونيا من الوجهة الطبيعية الجغرافية فلا يمكنه مجال من الاحوال ان ينتزع فرسوفيا من قلب بولونيا . اما لبنان فحدوده الجغرافية لا تقبل الشك والتأويل فلا يستطيع المؤتمر ، والعدل رائده وإنصاف المظلوم غايته ، ان ينتزع بيروت من قلب لبنان ويسلخ اقصية البقاع وبعليك وحاصيا وراشيا عن جانبه ويتر صيدا وضواحيها عن يمينه وطرابلس وضواحيها عن شماله .

هذا في ما خص تحديد البلدان بوجه الاجمال .

اما مسألة السكان وامرٌ مصيرهم ففي القانون الدولي العام سوابق من هذا القبيل عديدة : فالمتفق عليه دولياً هو ان لسكان الاراضي التي تنتقل سياسياً من حكومة الى حكومة حق الخيار بين تابعة هذه او تلك . هكذا قررت معاهدة فرنكفور (١٠ ايار سنة ١٨٧١) فتركت لسكان الازراس والورين ان يختاروا بين فرنسا والمانيا فجاء في المادة الثانية : « ان لرعايا الحكومة الافرنسية الذين اصلهم من الاراضي المتنازل عنها والمقيمين فيها ، ان يحتفظوا بالجنسية الافرنسية على

شرط ان يعلنوا ارادتهم للسلطة المختصة في ميعاد لا يتجاوز اول ت ١
سنة ١٨٧٢ فينقلون محل اقامتهم الى فرنسا ، وهذا لا يجرمهم حق
الاحتفاظ باملاكهم السكّانة في الاراضي الملحقة بالمانيا .
وسيكون في المعاهدة المقبلة الكبرى امثلة كثيرة على
تطبيق هذه القاعدة.

فعملاً بهذا المبدأ يكون لسكان الاراضي المنضمة الى لبنان الحق
بان يختاروا بين الجنسية اللبنانية وبين سواها بشروط معينة
وقد يكون من العدل الاعتراف بحق مثله لسكان الاراضي
الجاورة فيختارون اذا شاءوا الجنسية اللبنانية بالشروط ذاتها .

وهكذا ينتفي عن الفريقين ما قد يُخشى وقوعه من الحيف
وفي الاراضي المسلوخة عن لبنان ما يبلغ ٢٦٥ الفاً من السكان
فاذا اضيفوا الى عدد سكان لبنان المبتور كان المجموع ٦٦٥ الف نسمة
تقريباً ، يقطنون ارضاً طولها ١٨٠ كيلومتر بعرض ٦٠ كيلومتر او
مساحة تناهز ١٠٠٠٠ كيلومتر على وجه التقريب . ولبنان الجغرافي
هذا هو دون ما بلغت اليه الامارة اللبنانية في التاريخ لاسيما على عهد
نجر الدين فقد جعلها من حدود حلب الى حدود القدس^١

١ انظر الخارطة في آخر الكتاب وهي مقتبسة عن خارطة ملحقة بكتاب
(لبنان بعد الحرب) لاديب باشا وفيها يمتد الحد الجنوبي الى ناقورة عكا بدلا
من مصب الليطاني ، وليس هذا بكثير اذا قيس بالامارة اللبنانية التاريخية .

ذلك هو الحق الصراح الذي يطالب به لبنان
جغرافياً وسياسياً. وهو حق مترابط لا انفصام فيه ولا تجزئة
فاما يناله كاملاً واما يحرم منه ولا وسط بينهما: فرد الاراضي
المسلوخة اليه حق طبيعي لا جدال فيه فضلاً عن انه
امر حيوي له فاذا حرم منها فقد حكم عليه بالاعدام اقتصادياً
وهو ما قصده تركيا سنة ١٨٦١ فلا يقدم الحلفاء على مثله اليوم
اما الاستقلال السياسي فهو حق تاريخي سجله لبنان
بدماء ابنائه على ممر الاجيال بل هو النتيجة اللازمة
لاستقلاله الداخلي الذي تمتع به ودافع عنه الاعصر الطوال
توصلاً الى الاستقلال التام.

ولا شك في ان اثبات هذا الحق للبنان كاف لانالته
اياه لانه حق بصرف النظر عما في خدمته من القوة ولا قوة
في لبنان هذا اذا صح ان هذه الحرب هي حرب الحق لا
حرب القوة. فعلاً بتلك المبادئ النبيلة التي اعلنها الحلفاء يقرر
المؤتمر مبدئياً ان المفهوم بلبنان جغرافياً انما هو تلك البلاد
التي حددتها الطبيعة من النهر الكبير الى الليطاني ومن البحر

الى العاصي والجبل الشرقي ، ثم يعترف لتلك البلاد بحقها
بالاستقلال التام وبوضع قانونها الاساسي ، وهكذا ينال
لبنان حقه جغرافياً وسياسياً كاملاً غير مجزء .

اما تخيير لبنان بين ان يظل مبتوراً ويستقل وبين
ان تعاد اليه حدوده ويحرم استقلاله ، فتخيير الحُرث بن ظالم
رسول المنذر لصاحب الابلق بين العُدر والشكل .



الباب الثالث

لبنان اقتصادياً

للبنان من المعادن والزراعة والصناعة والمصايف موارد رزق
اذا أُحسن استعمالها وقت بحاجات اهليه فضلاً عما يزداد عليها من
المرافق التجارية وايرادات الجمارك متى أُعيدت اليه حدوده الطبيعية

١ كينة : سوريا ولبنان وفلسطين . لبنان : مباحث علمية اجتماعية . الاب
لامنس : تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار

فيصبح اللبنانيون في سعة من العيش .

المعادن :

اخص معادن لبنان الوقود والحديد وادوات البناء .

الوقود : ان في لبنان كثيراً من مناجم الفحم الخشبي المتحجر منها في قرطبة ودوما والمنيطرة ومار يوحنا وقلوغا ويزبدن ومنها في قرنايل حيث كان اربعون معدّنا يستخرجون مئة قنطار في اليوم . ومن اصلحها مناجم قضاء جزين واهمها قرب تومات نبحا وحيطوره .

ان الثروة الكامنة في هذه المعادن لا يستهان بها فقد قدر ان كل مئة متر صالحة للاستعمال تخرج مليون طن من الفحم

الحديد : معدن الحديد كثير في لبنان لا سيما في افضية البترون وكسروان والمتن كجبهات دوما وبيت شباب والمشغرة والفرزل واودية الحاربي النهرية مثل نهر الكلب ونهر ابراهيم . فمن هذه المعادن كانت تؤخذ مواد المسابك والمعامل الحديدية المقامة في تلك الانحاء

وما يزيد اهمية المعادن البنانية جودة مادتها فانها تعطي اجود الحديد الذي يتخذ منه افضل الفولاذ واصلحه لادق الاعمال وارقتها كالات والمدافع وتصفيح المراكب . وقد اشتهر حديد لبنان بلدوته ومزوته ولا يبعد ان اسلحة دمشق الطائرة الشهرة كانت تعمل منه . . .

لوازم البناء : ان الحجارة كثيرة في لبنان ويمكن استثمارها طويلاً ونقلها الى البلاد الاجنبية . ومنها ما هو ممتاز بجماله وكثافته وصلابته كالحجر الذي يستخرج من مقالع قرنة شهوان وبيت مري . اما البلاط فهو كثير في لبنان ، وفي بلاد الحية مقالع رخام صالحة للصقل والجلي الحسن ومنها كثير في بيوت اهدن القديمة وفي الكرسي البطريركي في الديمان .

ومما يستحق الذكر مقالع الرخام الموجودة في جمهور ودير القلعة فرخامها ذو عروق سمراء ومن هذا المقلع اخذت اعمدة الكاتدرائية المارونية في بيروت واعمدة كنيسة الاباء اليسوعيين فيها . وفي دير القلعة ايضاً حجر صلب معتبر وفي تحوم من اعمال البترون مقالع حجرها صلب لونه ابيض يجعله الصقل لامعاً كالرخام ويؤخذ منه البلاط المصقول والاعمدة الصغيرة اللامعة (الشمعات) . . . ولا ريب ان مقالع لبنان لم تكتشف كلها لا سيما مقالع الحجر والرخام واذا سهلت سبل المواصلات في المناجم والمعادن ترتب على استثمارها ثروة طائلة .

لزراعة :

ان اهم ما يقدر اللبنانيون على الاستفادة من زراعته الغابات والفاكهة والدخان فضلاً عن مزروعات اخرى شتى

الغابات : كان جبل لبنان في قديم الزمان كغابة متسعة كثيرة الاشجار متكاثفة الاغصان لا يرى السائر فيها اديم السماء لظلمتها الوارف وقد كان للارز فيه شان خطير فكان الاشوريون والمصريون يتفاخرون باستعماله في ابنتهم ولم يجد سليمان الحكيم احسن منه لتزيين هيكله

وما يدل على وفرة اخشاب لبنان ان معاوية بنى منها عمارة ضخمة بلغ عددها ١٧٠٠ سفينة شراعية فاذا تدبر اللبنانيون امر الاحراج كان لهم من اخشابها تجارة واسعة .

وان في شمالي اوربا بلاداً معظم تجارتها واهم مواردها من الخشب مع ان تربتها لاتصلح كترية لبنان لنمو الشجر وذلك ان شجرة من الصنوبر لاتبلغ في بلاد اسوج وزوج عشرين متراً طولاً في دائرة متر ونصف الا بعد ١٥٠ الى ٢٠٠ سنة مع انها تنمو في لبنان بزمن اقل منه بستة اضعاف لحسن موقع هذا الجبل واعتدال هوائه، فيستطيع اللبنانيون ان يزاحموا اهل شمالي اوربا في هذه التجارة الربحية. وللصنوبر ايراد خاص من حبته فقد يباع الكيلو منه بفرنك .

ومع اهمال امر الغابات في لبنان لا يزال منها الشيء الوافر ففي مقاطعة الهرمل مثلاً كثير من الاحراج على مسافة ٢٥٠٠٠ هكتار تقريباً. وفي مقاطعة الضنية ومنعطف لبنان الشرقي بين الهرمل وعيناتا غابات حسنة ومن اخص اشجارها الشوح وهو شجر جبلي

يعيش في مشارف الجبل بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ متر
وفي لبنان كثير من مزارع الزيتون منها مزارع زغرتا
ومزارع الكوره وهي تمتد على طول خمسة كيلومترات في عرض
عشرة واوسع منها مغارس المختارة وعماطور. واهم كل تلك المزارع
صحراء الشويفات وطولها سبعة كيلومترات في عرض يختلف بين
كيلومترين وثلاثة واذا اشرف المرء عليها خالها بحيرة كبيرة من
الخصرة لتلاحم اشجارها...

وللزيتون غلة رابحة جداً فان معدل ما يُستغل من زيتونة
واحدة يساوي في السنة بين ١٥ و ٢٠ فرنكاً وهي تجارة يمكن
تصديرها بمكاسب وافرة لحاجة كثير من البلاد الاجنبية الى الزيتون
وهناك صنف اشجار الفاكهة وقد جرب اللبنانيون استثمارها في
المدات الاخيرة فكان لهم منها مورد ثروة عظيم وان شجر الفاكهة في
لبنان يعطي الذ الامار واطيبها فاذا عني اللبنانيون بامر تصديرها وعالجوا
طرق استثمارها العديدة كما تفعل جزر اليونان مثلاً وسويسرا لكنت
اسواق القطر المصري تستهلك منها بعشرات الالوف من الجنات سنوياً
وتستغني عن كثير مما تستورده من هذا الصنف من البلدان الاخرى
لانها ابعد مسافة من لبنان وفاكهتها دون فاكته نكهة وطعماً .
ولم يقتصر الاهتمام في العهد الاخير على الفاكهة بل تعداه الى زراعة
الدخان فكان لها رواج غريب في كل انحاء الجبل مما يدل على

اهمية هذا الصنف وما يضمن من الارباح الطائلة . ولا شك في ان زراعة الدخان في لبنان وطرق « توضيها » وترويح اسواقها امور قابلة للتحسين الكثير فاذا نالت منه نصيبها فقد يكون للبنان منها مورد رزق لا يقل في شيء عن اليونان وهي تكسب من الدخان اموالاً لا تحصى .

وهناك مزروعات شتى لا يتقصها الا العناية والانتباه حتى تدر على اصحابها الخير والمال منها : الصبّير وهو يعطي في السنة من ٣٠٠٠٠ الى ٣٥٠٠٠ كيلوغرام علف في كل هكتار . وهو ينبت في اي تربة كانت ويصلح ان يزرع على دوائر الاملاك فيكون لها سياجاً ويعطي في الوقت ذاته فوائده العظيمة .

ومنها شجر الخرنوب وقد كان في لبنان منه الشيء الكثير حتى ان اقليم الخروب دُعي به وقد كانت زراعته قديماً معدودة كاحد مرافق لبنان الجنوبي وهو ينبت عفواً في كل الامكنة القاحلة ولا يحتاج الى عناية خاصة كما ان قلة الامطار او كثرتها لا تؤثر به وهو علف نافع للمواشي وله محصول راجح فان محمول الشجرة يتراوح بين ٢٥٠ كيلوغرام بعشرة فرنكات الى ١٠٠٠ كيلو باربعين فرنكاً فاذا كان محصول كل شجرة من نصف ليرة الى ليرتين افرانسية فمحصول صحراء خرنوب في سنة واحدة ينيل صاحبها ثروة .

والبلاد الاجنبية تحتاج الى كثير منه فان فرنسا مثلاً تستورد

سنوياً ١٩٠٠٠ طن من الحرنوب .

ومن الاشجار التي تنبت في الاراضي اليابسة : التين واللوز ولهما محصول اخضر ومحصول ناشف وقد يُباع التين اليابس المكبوس بفرنك الكيلو وهو اكبر موارد الرزق عند اهل ازير وفي معاملهم نحو ثلاثين الف عامل يشتغلون بتعبئة التين وتجهيزها . وياع اليوم كيلو التين الناشف في الاسكندرية بخمسة فرنكات .

اما اللوز فزراعته في لبنان اسهل من سواها وهو على قلة ما يستلزمه من العناية والمصروف يعطي ايراداً وافراً فان محصول الشجرة يتراوح بين ١٥ و ١٠٠ كيلو ويبلغ سعر المئمة كيلو من ٤٠ الى ١٢٠ فرنك بحسب الجنس فيكون معدل ايراد الشجرة بين ستة فرنكات وستين فرنك وقد اكثرت زرعه الشركات الاسرائيلية في سواحل يافا لما فيه من المكاسب .

وخلاصة القول ان لبنان يقدر ان يستفيد كثيراً من الزراعة فاذا زادت الزراعة كثرت الماشية وعلى تكثير الماشية تترتب تجارات عديدة كتجارة الحين واللبن والصوف على انواعها .

ومن الزراعات الجليلة النفع شجر الفاكهة سواء خضراء او ناشفة وحسبك شاهداً ان معظم الجزر اليونانية يرتزق من تجارة الفاكهة وفي لبنان من اصنافها الفاخرة مالا يحصى كالتين والعنب وما يستخرج منه من الحمرة اللبنانية المشهورة والعرق والحل والزبيب والدبس ...

وكانفاح والكهثري (الاجاص) والمشمش واللوز والفسق والكركز
والخوخ والجوز، ناهيك عن موارد الزيت والزيتون ولا سيما الدخان
وهي محاصيل هائلة تعطي بقليل من العناية ثروات طائلة... ولم يفت
الحكومة اللبنانية ما للزراعة من التأثير على ثروة البلاد فعينت مفتشاً
للزراعة كما كانت عينت مفتشاً للمعارف ومفتشاً للعدلية، وهذه المصلحة
تقابل مصلحة الوزارة في البلاد النظامية. غير ان عجز الصندوق حال
دون اعطاء هذه المصالح ما تستحقه من العناية فلم تحصل منها الفائدة
المرغوبة، وخير ما تعمل الحكومة في العهد الجديد هو الرجوع الى
هذه المصالح وانشاء امثالها مع توسيع دائرة اختصاصها وفتح الاعتمادات
اللازمة لها لتؤدي في لبنان العمل الذي تؤديه الوزارات في البلاد الدستورية

الصناعة

لم تبلغ الصناعة في لبنان الدرجة التي يمكن الوصول اليها نظراً
لباقة السكان وصحة نظرهم واستعدادهم الفطري لاحسان الفن واهم
الصناعات الموجودة في لبنان تربية دودة القز وهي عامة في كل انحاء
الجيل الا انها غير مستكملة فنياً واذا اهتم اللبنانيون والحكومة
توصلوا الى حياكة كل محصول الشرائق في البلاد ولم يكتفوا
بحياكته بل تعدوه الى نسجه وكان للبنان من الحياكة والنسيج على
انواعه موارد لا يحلم بها اللبنانيون اليوم.

والحياكة مقتصره في الجبل على اصناف قليلة تحاك في بعض القرى
كزوق مكابيل وبيت شباب ودوما. وفي بكفيا (بساقية المسك) تحاك
الديما كثيراً. وقد احتكرت بيت شباب صناعة الاجراس وفيها صناعات
اخرى رائعة كعمل الاسلحة والفتخار على انواعها. ويوجد بعض
المصابن في لبنان منها في كفر شيا ووادي شحرور والحديث وبكاسين
والشويات.

وكان أنشيء في انطلياس معمل للورق وهي صناعة جليلة الفائدة
واقرة المكاسب اذا أحسن استعمالها

وفي جبيل والبترون يشتغلون بالاسفنج ويصدرون منه
سبواً كميات كبرى وارباحه كثيرة

وهناك صناعات عديدة يقدر اللبنانيون على معاطتها وينجحون
ولا شك فيها كصناعة الحديد على انواعه وقد عالجها بعض اللبنانيين
فكان صدق نظرهم ولباقة ايديهم وسهولة الاستنباط والاختراع عندهم
موضوع اعجاب اصحاب المعامل واصحاب الحاجات.

وصناعات الأجر والبلاط والحيس والكلس غير منتشرة في
لبنان مع شدة الحاجة اليها وسهولة الوصول الى استعمالها

ومما يسهل استثماره كثيراً في لبنان صناعة السكر فان اراضي
السواحل صالحة جداً لقصبه ولا يصعب انشاء معمل او معامل للسكر
تفي بحاجات البلاد ويزيد عنها ما يكفي للتصدير الى سائر الجهات ...

المصايف

إذا عرف اللبنانيون أن يستفيدوا من مواقع لبنان وجودة هوائه
وعذوبة مياهه وجمال مناظره لجعلوه « مصيف الشرق الأدنى » كما
هي سويسرا في أوربا .

وهو امر يمكن اخراجه الى حيز العمل في وقت لا يتجاوز السنتين
لا سيما وقد وصلت سكة الحديد ما بين سوريا ومصر فاصبح القطران
وهما كأنهما قطر واحد فلا غرو اذا تدفق تيار المصطافين من مصر
الى لبنان وانهاالت عليه الاموال سنوياً بما يقدر بمئات الالوف من
الجنيهات^١

لم يزر لبنان سائح من الاجانب الا واطرى جماله الفائق وذهب
الكثيرون الى تشبيهه بسويسرا وفضل البعض جباله على جبال الالب.
منهم رينان في كتابه « رسالة فينيقيا » حيث قال : « جبال لبنان
كجبال الالب الا انها ابهج منظرأ واعطر روائح من الالب . وكتب
لامرتين في وصف لبنان ما بملأ مجلدأ ويعجز قلم التعريب عن ايراد

١ ان عدد الذين سافروا من مصر في سنتي ١٩١٣ و ١٩١٤ لا يقل
عن مئة الف مسافر فاذا حسب ان نصفهم يقصد لبنان بعد تسهيل المواصلات
وتحسين المعدات وان كل مسافر يصرف فيه مئة جنيهه على اقل تقدير كان مجموع
ما يصرف كل صيف في لبنان قيمة خمسة ملايين جنيهه. فضلا عن المصطافين فيه
من غير مصر

Annuaire statistique de l'Egypte : 1913, 1914

بديع وصفه وطلاوة تعبيره وجمال تصويره واليك شيئاً من اقواله في كتاب رحلته الى الشرق .

« بيروت في ٧ ايلول سنة ١٨٣٢ :

« اقبلت اليوم قبل الصباح واقفيتُ نظرةً على البحر وعلى سلسلة الجبال المتلاذاة التي تمتد من بيروت الى راس البترون ...

فلم اشعر في حياتي لمرآى جبال شاهدها بما شعرت به اذ ذاك : ان للبنان خاصة لم اجدها في الالب او في جبال طوروس : جمع الجلال من حيث المنظر العام والقرن العالية الى الجمال في منظر كل شي على حدته وفي مختلف الالوان وتشكيلها ..

ان لبنان جبل العظمة كما ان العظمة في اسمه ايضاً . انه اشبه بجبال الالب لكن تحت سماء اسيا الصافية تغور قننه السماء في أفق بعيد القرار من سكونٍ رائع ورواقٍ أبدي... فكان الشمس مقيمة ابدأ على زوايا مشارفه المذهبة»

وله في وصف لبنان ومحاسن وديانه وجلال انجاده ما يدل على ما لتلك البلاد الجميلة من الوقع في نفوس الزائرين .

ان عدد الذين يصطافون في سويسرا سنوياً يربو على ٢٥٠٠٠ سائح تكسب منهم البلاد ما لا يقل عن اربعة ملايين جنيه وفيها اكثر من ١٤٠٠ فندق معد للمصطافين وهذه الفنادق على جانب عظيم من النظافة وفيها من معدات الراحة للمسافر من اكل طيب

وفرش فاخر وحمامات نظيفة مما لا يترك زيادة لمستزيد. اما الخدمة فيها وحسن الضيافة ولطف المعاملة فحدث عنها ولا حرج. ومع هذا فتوسط الاسعار فيها لا يتجاوز ١٠ او ١١ فرنك في اليوم بما فيه الاكل والحمر والنوم والغسيل

ولم يترك اهل سويسرا شيئاً من اسباب الثروة في بلادهم الا استفادوا منه. من ذلك « دور الاستشفاء » « ومحلات المياه » فقد اهتم الاطباء عندهم بدرس الاحوال الجوية وجودة الهواء وقوته كما اهتموا بفحص المياه ومعرفة خصائصها في كل بقعة من بلادهم فقسموها الى مناطق كل منطقة منها تصلح لفتة من المرضى وتوافق نوعاً من الامزجة فبات الاطباء في العالم يعرفون فوائد تلك المواقع وخصائص كل منها فيرسلون المرضى مئات والوفاء كل سنة الى هذه المنطقة او الى تلك بحسب جنس المرض ونوع المزاج ودواؤهم الوحيد في تلك المصايف استنشاق الهواء النقي او الشرب من مياه معينة والاستحمام فيها وفي لبنان مثل ما في سويسرا من المواقع الحمية والمياه الشافية فاذا حصل اهتمام بها وترتيب ونظام كما في سويسرا ترتبت عنها الفوائد ذاتها

وفي سويسرا شلالات عديدة لتوليد الكهرباء تجعل اصغر قرية فيها شعلة انوار كهربائية في الليل تخلب الباب الناظرين ولا تسكلف القرية عليها الا مصاريف الادارة

وفي لبنان مياه كثيرة في مرتفعات عالية تصلح لتوليد الكهرباء
بمصرف لا قيمة له في جنب الفوائد والارباح التي تنتج لبلد من
وجود النور الكهربائي فيها .^١

وكل هذه المعدات للاصطياف من فنادق ومستشفيات ومياه
معدنية وحمامات وشلالات يمكن عملها والاستفادة منها في قليل من
الزمن والمصرف، بمعنى انه لا تمر سنة او سنتان حتى يصبح لبنان
مثل سويسرا للمصطافين .

وليس اسهل من الوصول الى هذه الغاية اذا طلب لبنان من
سويسرا بعض الاختصاصيين في هذه الاعمال فيضعون في كل عمل
انموذجاً يأخذ عنه اللبنانيون وينسجون على منواله بما عُرف فيهم في
من الذكاء والاستعداد للتقدم والرقى ...

ولم تبلغ سويسرا هذا التقدم العجيب الا بفضل « النقابات » ،
فلسكل عمل فيها نقابة غرضها منع المزاومة السافلة وتحسين العمل
وتنظيمه على قواعد عامة تمري في كل البلاد فتضمن النقابة والحالة
هذه راحة الجميع سواء في ذلك الحكومة والادارة واحباب العمل
والمصطافين .

١ اذا كان النبع يعطي كمية ماء قدرها ٥٠ متراً مكعباً في الثانية تهبط من
علو ٧٠ متر فهو يؤدى قوة ٤٦ حصان بخاري او ما يوازي ٢٠٠٠٠ شمعة
اقتصادية. واذا قدرت لكل منزل ١٦٠ شمعة انارت هذه الكمية ١٣٠ منزلاً تقريباً

والتقابات غير موجودة في لبنان في حين انه يمكن انشاؤها والاستفادة منها في بضعة اشهر اذا صدق السعي وحسنت الثبات .
والثروة في بلد سلسلة مترابطة الحلقات فوسم الاصطياف ينشط الزراعة والزراعة تساعد الصناعة والصناعة توسع نطاق التجارة : فالاصطياف والزراعة والصناعة والتجارة قواعد مترابطة تبنى عليها ثروة البلاد .

ومتى حصلت هذه الحركة كل صيف في لبنان اوجدت في سائر الاشغال والاعمال وفي كل اسباب المعيشة حركة غير معروفة الا ان فان تجارة سويسرا تبلغ سنوياً ما يربو على المليارين فرنك واهم صادراتها الى الخارج : اخشاب للبناء وجلود وجبن ومواشي وحرير وقبعات وآلات زراعية والحمة على انواعها والمنسوجات والمكائنات للخطاطة والمجوهرات على انواعها والساعات ، واغلب هذه المحاصيل والمزروعات والصناعات يمكن استثمارها في لبنان والاتجار بها ولم يكتف اهل سويسرا بما منحتهم الطبيعة بلادهم من المحاسن بل بذلوا الجهد في تميمها حتى سدّت يدُ الانسان كل فراغ تركته الطبيعة ، بعكس ما في لبنان من هذا القليل

ومن مميزات لبنان على سويسرا انه يشرف على البحر وفي البحر ما فيه من جمال لا يعرف قدره الا من حرم منه ، في حين ان سويسرا مضطرة الى الاستغناء عن البحر بالبحيرات وبينها وبين البحر الابيض

المتوسط المتكسرة امواجه على سفوح لبنان بون عظيم
ومن ميزاته ايضاً ان الصيف في سويسرا يتراوح بين شهرين
وثلاثة لا غير: تموز وآب وايلول ويتخلل هذه الاشهر ايام كثيرة
يهطل فيها المطر مدراراً وغيوم متلبدة تحجب وجه السماء فيضطر
المصطافون الى ملازمة منازلهم اما لبنان فصيفه مستديم من
خمس الى ستة شهور من اواسط نيسان الى اواسط تشرين الاول
فترى مما تقدم ان لبنان لا يقلُّ في شيء عن سويسرا وانه
بقليل من العناية والاهتمام يصبح في الشرق ما هي سويسرا في الغرب،
على ان تكون شركائه واوراداته له لا لسواه ..

ان باب الاقتصاد واسباب الثروة في بلاد باب واسع جداً
لا يُلم به المرء في بعض صفحات يكتبها وليس القصد من طرق هذا
الموضوع ايفاء حقه من البحث والتنقيب، انما الغرض الوحيد هو
الفت الانتظار الى ما في لبنان من موارد للرزق لا يحلم المرء بخيراتها
الان، فضلاً عما يزداد عليها من ايرادات سهوله ومرافئه الطبيعية
فاذا شاء بعض من يخشى على لبنان شرَّ العوز والفاقة ان يمعنوا
النظر في هذه الموارد والاورادات فقد يجدون فيها ما يعني عن التفريط
في كيان لبنان واستقلاله، هذا اذا صحَّ ان الاستقلال والحرية عمليّة

١ وهي تقدر بمبلغ ٧٣٠٠٠٠٠ ليرة (لبنان بعد الحرب ص ١١٥)

تجارية لا يسعى المرء اليها الا اذا رآها كسبةً رابحة...
ومن حسن حظ العالم أن مستوى الانسانية الادبي
والاخلاقي لم يسقط الى هذا الحد وأنه لا يزال فيه امم تقول مع
بلجيكا: الدمار ولا العار!

سوريا ولبنان

ان بين سوريا ولبنان من المنافع الاقتصادية ما يحسن
شد روابطه بعقد اتفاقات بين الحكومة اللبنانية والبلاد المجاورة.
اما استقلال لبنان السياسي ففضية راهنة وواجب محتم
فلا محاباة فيه ولا تساهل.

قد تدفع المرء اهوأوه الى التغاضي عن حقوق غيره كما حصل
للدولة العربية الفتاة على عهد المردة يوم شاءت اخضاع لبنان
رغم تشبث اهليه بكيانهم واستقلالهم فاضطر الى مخالفة
الاجانب عليهم وتجدد الامر ذاته على عهد الصليبيين.
ولئن تعارض المتقنون في اصل المردة واختلف المؤرخون

في تقدير المساعدة التي بذلها اللبنانيون للصليبيين فالحقيقة التي لا نزاع فيها هي ان لبنان سواءً على عهد هؤلاء او اولئك ظل متشبثاً بكيانه القومي ذائداً عن امتيازاته حتى جرت هذه العاطفة في دم ابائه فتوارثوها خلفاً عن سلف .

وما حصل على عهد المردة والصليبيين جرى مثله على عهد الاتراك وافضى الامر الى تدخل اوروبا وهو عكس ما كانت ترجوه تركيا

ولئن سعى الساعون اليوم الى ادغام لبنان في سوريا فقد يقعون هم ايضاً في عكس ما يتوخون : ان للتاريخ عبراً تكاد تلمس وامائيل تكاد تتكلم ، وقد لا يستفيد المرء منها على ما فيها من جلاء وصراحة ، غير ان الاغضاء عنها لا ينفي وجودها ، واهمالها لا يدفع شر الوقوع في نتائجها .

ان تربة الارض في لبنان والدم الفائر الذي يغلي في عروق ابائه والارث المقدس الذي خلفه الجدود وديعة بين ايديهم ، كل ذلك يجعل الاستقلال عند اللبنانيين كالروح من الجسد . وما هي الا ان يروعوا في كيانهم ويهددوا في

استقلالهم حتى تراهم وهم أبناء آبائهم يهبون نائرين ويزأرون
غاضبين كأنهم لبوءة جائعة ريبت في أشبالها.

تلك حقيقة لا تغيرها تصريحات افراد ولا تعدلها
مساعي فئات مهما حسنت نيتهم وعزت مكاتبتهم . وخير ما
يسعى اليه الوطني الصادق ، لمصلحة الفريقين ، هو تمكين روابط
الالفة بين سوريا ولبنان على القواعد الاقتصادية ، على ان
يقيم لبنان على استقلاله السياسي التام .

وخير لسوريا ذاتها ان تصادق لبنان مستقلاً من ان
تدغمه بها سواءً مرغماً او راضياً : فلئن ارغم او رضى ابناء
اليوم فلا يرغم ولا يرضى ابناء الغد : فضعف اونة في شعب
او هوى ساعة في نفس فئة منه لا يححو تاريخ اعصر ولا
ينسخ تقاليد اجيال ، فتجدد اذ ذلك عبر التاريخ وتفتح
ابواب من مصلحة سوريا قبل سواها ان تظل مقفلة على ما
فيها من محذورات واسرار .

وليس من حسن السياسة في شيء ان يصدم المرء شعباً
في اعز ما لديه ، او يغم منه فرصة برق خلب ... بل من

الحكمة البليغة ومن النظر البعيد الصائب ان يهتم السياسي في ما بينه بالاجل اكثر من اهتمامه بالعاجل ، عاملاً في الحالين على تشييد بنيانه على قواعد وطيدة تتفق مع النواميس الطبيعية لاعلى اسس مائة تخالف سنن التاريخ والاخلاق والاجتماع فتكون كالرمال تمور فينهار ما بُني عليها من الصروح الشواهد .
وبالبلاد السورية الطامحة اليوم الى العلاء لآرب نفساً من ان يضيق صدر عقالها باماني جار كريم يريد ان يحتفظ بكيانه القومي وقيم على استقلاله السياسي على ان يكون في المصالح الاقتصادية المشتركة يداً واحدة مع سوريا فيعيش الشعبان اخوي صفاء شريكين في البؤس والنعيم حليفين على الطوارئ . ذلك ابقى للفريقين واسلم عاقبة . بل هو الاساس الوحيد الوطيد لعهد جديد لا يجد فيه السوريون والبنانيون ما يعكر جو سماءهم الصافية ويباغتهم بمخبات الاقدار ...
وليس بكثير على نجباء الشعبين وعلى الوطنيين المخلصين منهم ان يسيروا بقومهم في هذا السبيل هداة لهم الى شاطئ المستقبل الامين ...

الباب الرابع

لبنان في العهد الجديد

عقد النصر بالوية الحلفاء فباتوا قادرين على تنفيذ مبادئهم النبيلة باقامة العالم الجديد على قواعد الحق والعدل والحرية. وسيكون مقياس أعمالهم ما يُجرونه من العدل للشعوب الصغيرة وما يضمنونه من الاستقلال للامم الضعيفة ، لان الكبيرة والقوية منها قد كفلت حقوقها بالقوة ووسعت رحابها بحد السيف فهي في غنى عن سواه

ولبنان في مقدمة الشعوب الصغيرة التي قامرت بكيانها وعلقت مصيرها بمصير الحلفاء فاما الى الانتصار والذل وإما الى الغلبة والاستقلال . وقد كلفت لبنان تلك المقامرة فقد نصف ابنائه فهو لا قوة له الان فتنصفه ولا حجج يُدلي بها غير ما يستمدّه من قوة الحق المبني على تاريخه واستبساله

وعلاقاته وتقاليده . وكفى مافاتَه من فرصٍ سنحت له لنيل
الاستقلال اخصها سنة ١٨٤٠ و سنة ١٨٦٠ فخرم منه لحذر
السياسة المعلوم . وقد شاءت الاقدار ان يكون مصيره اليوم
في ذات الايدي التي كان فيها يومئذٍ فهي فرصة قد تكون
الاخيرة للتعويض عليه مما فات فلا تُجدد خيبته ولا تظل
تتقاذفه الايدي فيحرم اليوم ايضاً حقوقه ان لم يكن بفعل هذه
اليد فبفعل تلك ، والموتُ واحدٌ وان تنوعت اسبابه

وليس من ينكر على لبنان كفاءته واهليته للاستقلال
بعد ان اعترف به الحلفاء لشعوبٍ في الغرب وفي الشرق
ايضاً وهي قد لا تفضل لبنان بشيء .

واذا وُضع استقلالُ الشعوب الصغيرة في ذمة القانون
الدولي العام وأخذت كلُّ دولة على نفسها احترامه واجاباً
احترامه على سواها بات ذلك الاستقلالُ في مأمنٍ من طمع
الظالمين ولم يعد من ثمَّ مسوغٌ لُخوف الخائفين اِشفاقاً على
لبنان من ان يعجز عن صون استقلاله بنفسه .

اما اذا أُخرقَ القانونُ الدولي العام ولم تُصن حرمةُ

المعاهدات فالاستعانة للبنان بدولةٍ تحميه لا يدفع عنه
مقدراً، لان تلك الدولة تكون اذ ذاك معرضةً هي ايضاً
للحرب مع سواها فان حمت لبنان من جيرانه، اذا كان ثمة
داعٍ للحماية، فهي لا تحميه من جيرانها او من سواهم، ومتى
اشتبكت الدولة الحامية في حربٍ مع دولةٍ اخرى اصبح لبنان
مرسحاً للجيوش وهدفاً للبوارج. واقصى ما يخشاه اذا كان
مستقلاً هو دون ذلك شراً وعاقبة.

اما الضمانه الادبية المستمدة من المعاهدة الدولية فهي
تعني ان موقعي المعاهدة يحترمون الاستقلال الذي يعترفون به
لبلادِ كسويسرا وبلجيكا ويصونونه ممن يحاول مسه وخرق
المعاهدة، وهي لا تعني ان لتلك الدول الموقعة حق التدخل في
شؤون تلك البلاد بوجه من الوجوه، وهو مبدأ قانوني لانزاع فيه
وعلى اعتبار ان الحق يعلو ويسود وان لبنان ينال
استقلاله التام بحدوده الطبيعية وباعتراف القانون الدولي العام
وضماته، لا يرى الوطني بدأً من الاشارة الى القواعد التي
يحسن ان تشاد عليها حكومة لبنان في العهد الجديد:

اساسُ دستور الممالك احد مبدئين : حقٌ مستمدٌ من
الله وهو ما يسمونه الحق الالهي ، وحقٌ مستمدٌ من الشعب .
اما الحق الالهي فخلاصته ان الله أصلُ كلِّ سلطان
فهو يمنحه الملوكَ فلا يكونون مسؤولين الا امامه وحده لا حقٌ
للشعب عليهم بشيء ينهون ويأمرون ما بداهم في كبير
القوم وصغيرهم . وقد جمع لويس الرابع عشر كلَّ ذلك في قوله :
« الملكة هي انا » . وهو مبدأٌ قد خلقت جدته وكاد
يتقلص ظله وسار العالم على المبدأ الثاني وخلاصته ان كل
سلطان على الارض مستمدٌ من الشعب والشعبُ يقيم عنه
وكلاء في اجراء سلطانه فتتالف منهم هيئة تسن القوانين ،
ويسمونها السلطة الاشتراعية ، وهي تكلف هيئة ثانية باجراء
الاحكام وتسمى السلطة القضائية ، وتنيط بهيئة ثالثة امر
تنفيذها وتسمى السلطة التنفيذية وقوامها وزارة على راسها
حاكم عام يكون إما رئيس جمهورية إما ملكاً وإما اميراً :
تلك هي خلاصة شكل الحكم المتبع في اكثر البلاد الدستورية
وقوامه : سلطة تنفيذية مؤلفة من الحاكم والوزارة ،

وسلطة اشتراعية مؤلفة من مجالس النواب والشيوخ
وسلطة قضائية مؤلفة من القضاة والمستشارين .

اما لبنان فلا يخرج عن قاعدة الحكم الدستوري العامة .
وخير دستور يُسنُّ لبلاد هو ما كان اقرب ما يمكن الى
تقاليدها وعاداتها . واذا نظرت الى شكل الحكم في لبنان
قديماً وحديثاً ، قانوناً وتقليداً تبين لك منه خلاصة قوامها :
حاكم عام ، امير او متصرف في جنبه هيئة مدبرين او مفتشين ،
وهو ما يقابل الوزارة . ثم مجالس إدارة . ثم هيئة قضائية .

فترى ان في شكل الحكومة اللبنانية المعروف نواة
حكومة دستورية لا ينقصها الا توسيع الاختصاص وتغيير
الاسماء في بعض المواطن : فما الحاكم العام والمفتشون الا هيئة
السلطة التنفيذية ، وغاية ما يعدل في هذه الهيئة ان يكون
الحاكم منتخباً من الشعب لمدة معينة يحسن ان لا تزيد عن
سبع سنوات ، وان يكون وطنياً كما كان قبل المتصرفية وكما
جرى التقليد به اثناء غياب المتصرفيين ، ويصبح المفتشون
وزارةً مسؤولة امام المجلس كما هي الحال في البلاد الدستورية .

ويوسع اختصاص مجلس الإدارة ويعترف له بما للمجالس
النيابية فيصبح هو السلطة الاشتراعية المعروفة في البلاد
البرلمانية ، على ان يكون انتخاب اعضاءه عاماً من الشعب .
وليس من داعٍ الى مجلس شيوخ فالبلاد على صغرها
لا تستلزم مجلسين .

اما الهيئة القضائية فتبنى على قاعدة الكفاءة وتكون
كاملة مستقلة في لبنان لا مرجع لها خارجاً عنه .

ولما كان الشعب مصدر كل سلطان في الحكومة ولم
يكن للبنان قانون اساسي دستوري وجب بايدي ذي بدء ان
يرسل الشعب وكلاءً عنه لتأليف « الجمعية المؤسسة » وهي
تضع القانون الاساسي .

اما تشكيل « الجمعية المؤسسة » فيكون بطريقة الانتخاب
العام على ان يتوب واحدٌ عن كل ٤٠٠٠ مكلف ، واذا
اعتبرت ان عدد المكلفين في لبنان الجغرافي يبلغ ٢٠٠٠٠٠
مكلف كان عدد اعضاء الجمعية المؤسسة ٥٠ عضواً .

وبعد سنّ القانون الاساسي يشكل « مجلس النواب »

بطريقة الانتخاب العام ايضاً على تقدير نائب واحد عن كل ٥٠٠٠ مكلف فيتألف مجلس لا يقل عدده عن ٤٠ نائباً. ثم تُجمع «الجمعية الوطنية» لانتخاب الحاكم العام. وتؤلف هذه الجمعية من مجلس النواب ومن مندوبين تنتخبهم القائمات بالطريقة الانتخابية ذاتها وبمعدل خمسة مندوبين عن كل قائماتية فينضمون الى اعضاء المجلس. واذا حسبت انه سيكون في لبنان الجغرافي ١٤ قائماتية كان عدد مندوبي القائماتيات ٧٠ مندوباً فاذا ضموا الى اعضاء مجلس النواب بلغ عدد الجمعية الوطنية ١١٠ اعضاء.

ومتى وُضع القانون الأساسي وتم انتخاب مجلس النواب وانتخاب الحاكم العام، تشكل الوزارة على القواعد البرلمانية. وهكذا تتألف الحكومة اللبنانية على الشكل الآتي:

حاكم عام وطني منتخب من الشعب لمدة معينة، وفي جنبه وزارة مسؤولة امام المجلس

ومجلس نواب له السلطان الاعلى في البلاد لا سيما في الامور المالية وفي الاشتراع.

وهيئة قضائية كاملة مستقلة.

ويطلق على هذه الحكومة اسم جمهورية او امارة بحسب قرار الجمعية المؤسسة . وفي ظل هذه الحكومة الشعبية النيابية وفي حى الاستقلال اتمام يسير لبنان في سبيل الرقي الذي تؤهله له كفاءة اهليه ويستحقه تاريخه المجيد . حتى اذا نشرت راية الاستقلال أمن الوطني على كرامته من ان يتمهن ، وعلى قوميته من ان تضع ، وعلى لفته من ان تدبل ، وعلى اخلاق شعبه وآدابه من ان تُتلم ، وعلى عادات بلاده من ان تصدم ، وعلى مرافقه ومصالحه من ان تتسرب موارد الى الغير ، وعلى ارضه من ان تصبح ساحة للحروب بين الدول تبقرها سنابك الخيل وتنفض احشاءها القنابل . وتلقف المدافع خيرة شبانها اشلاء دامية ، وهي شرور يبلى بها لبنان اذا فقد الاستقلال وتاريخه اصدق شاهد على ذلك ،

١ وللحكومة اللبنانية المستقلة اذا رات موجياً لذلك ان تستعين في باديء الامر وُلدة معينة بموظفين اختصاصيين من الاجانب .

فاما استقلاله والحياة وإما حرمانه منه والموت .

لاسيما والعالم يخرج من هذه الحرب مقسماً الى قومياتٍ
تغار كل واحدةٍ منهن على حفظ كيانهن وصون هويتها
فتسعى الى تمكين روابط العنصرية واثارة نعمة الجنسية بين
ابنائها ، فتستقل في بقعةٍ من الارض لاسيادة فيها لسواها ،
فيكون لكل فردٍ من افرادها ان يقول : « هذا القوم
قومي وهذه البلاد بلادي » حتى اذا اغترب حماه علمه
حيث سار وكان مرجعه الى تلك البقعة مهما طال اغتراه .

ولبنان وهو منذ القدم مفرع الخائفين وحى اللاجئيين
اليه اُحكِم على بنيه ، وقد تنكرت عليهم معالم وطنهم كالخيل
مُجفلت من مرابطها والطير نُفرت من اوكارها ، ان
يظلموا يضربون في مغارب الارض ومشارقها غرباء اينما نزلوا
دخلاءً حيثما حلوا لا يُتاح لهم ان يقولوا كغيرهم من بني
الناس : « هؤلاء قومي وهذه بلادتي ! » في حين انهم
ليقتنعون بارضهم على ضيقها وطناً ومعاداً وبارزهم على ضعفه
حى وراية فلا تنام لهم عنها وعنه العيون ...

ان ذلك ، اذا كان ، لوصمة في جبين هذا العهد ،
بل هو حكم فظيع جار لم يستحقه لبنان !

لبنان وريث ايجاد فينيقيا سلطنة البحر الاولى
ومبعث انوار المدنية ، منبت الارز الخالد عمود الهيكل
ومفخرة اشور وبابل ، مجلس ابناءه على عرش روما ومانح
الامبراطورية الرومانية عصرها الذهبي ، لبنان موئل المردة
وحصنهم الحصين ، ترس الصليبية وملجأها الامين ، مجلى عظمة
نخر الدين وسطوة الامير بشير ، وطن يوسف بك كرم ،
منارة العلم والمدنية في الشرق ، لبنان الباسل الدامي
يتطال الى استقلاله ويشرب الى حريته فمن الظلم ان لا
تفك عنه القيود ولا تقطع السلاسل ...

لبنان ! اترى عيون ابناءك مشعل العدل على راس -
صنين يضيء في ليل ارهاقك البهيم فينير قم اجبالك السماء
وبطون وديانك البعيدة القرار . اسمع اذانهم صوت الحرية
يدوي في وادي قاديشا المقدس فتتهزله عظام الجبارة
ويحرق البخور على مذابح شهدائك الابطال حيث تختم

وثيقة الاخاء والوحدة القومية ..

أملٌ وطيدٌ في الصدر وإيمانٌ راسخٌ في النفس ان
« العناية » لا تهمل لبنان ، وان اللبنانيين ينهضون ويتحدون
ويثبتون للملأ انهم رجال هذه الساعة الخطيرة فتفتل الطيرُ
من اقصائها وتطلق الهمم من عُقلها وتطلع شمس العهد
الجديد ترسل اشعتها المحيية على ارض الميعاد فاذا في فضاءها
راية العلم والمدنية خفاقة الجوانح تنشر افياءها على مهد
الحضارة فتستعيد فينيقيا مجادها ويُجدد عهد حاملي لواء
العلم والادب في العالم ، فترتفع ارزتك يا لبنان « بهيجة الافئدة
غيباء الظل شامخة القوام .. تعشش في أغصانها جميع طيور
السماء وتسكن في ظلها جميع الامم الكثيرة » ويُسدل ستار
السلام على مأساة تاريخك المفجع ، ويُترك ابناءؤك
يعيشون في بلادهم آمنين ..





جدول عدد سكان لبنان البتور

الجموع	مختلفة	موارنة	ملاكيون	ارثوذكس	دروز	مناولة	مسلمون	القضاء
٢٣٢٩٠	٢	٣٦٤٠	١٦	١٧٨٩٢	—	٨٠	٢٣٦٠	الكورة
٦٤٣٣٨	٢٨	٥٣٨١٠	٨٧٢	٤٥٣٦	—	٤٣٥٢	٧٤٠	البترون
٧٩٦٨٥	١١٥	٦٨٨٣٠	١١٤٨	٢٠٤٤	—	٦٨٠٠	٧٤٨	كسروان
٩٢٧٧٢	٨٢	٥٦٣٠٠	٦٧٥٢	١٨١١٢	٩٦٦٨	١٥٩٠	٢٦٨	الذنين
١٦٦٧٤	٩٠	٢٦٧٦	١١٤٣٦	٢٢٦٨	—	٦٠	١٤٤	زحلة
٩٥٤٢٦	٦٠٠	٢٨٢٦٨	٧٣١٢	٩٠٠٠	٤٠٢٣٠	١٠٤٤	٨٩٧٢	الشوف
٥٣٧٢	٤	٤٦٦٤	٧٠٤	—	—	—	—	دير القمر
٢١٧٤٣	١٥	١١٨١٢	٦٢٣٢	٣٥٦	٦٤	٢٩٢٠	٣٤٤	جزين
٤٠٠٠٠٠	٩٣٦	٢٣٠٠٠٠	٣٤٤٧٢	٥٤٢٠٨	٤٩٩٦٢	١٦٨٤٦	١٣٥٧٦	الجموع

*

جدول سكان اراضي لبنان المسلموينة

الجموع	مخانة	موازنة	مليكون	ارتودكس	دروز	مناولة	مسلمون	الفضاء
٣٠٠٠٠	٦٠	٢٢٦٥	٦٢٠٠	٤٥٠٠	—	٦٦٣٠	٩٨٠٥	بملك
١٣٣٠٠	—	٣٠٠٠	٨٥٠٠	١٥٠٠	—	١٥٠	١٥٠	البقاع
١٤٠٨٨	٣٤٠	٢٠٢٠	١٦٢٨	٣٢٠٠	٣٤٠٠	—	٣٥٠٠	حاصبيا
١٤١٠٠	٣٠٠	١٠٠٠	٣٠٠	٥٥٠٠	٦٠٠٠	—	١٠٠٠٠	راشيا
٣٠٠٠٠	١٧٥	٣٣٦	٧٦١	٣٦٨	—	٩٢٢	٤٣٩	مراجميون
١١٠٣٠	٩٣٠	٥٠٠	١٥٠٠	١٠٠	—	٦٠٠	٧٤٠٠	صيدا وضواحيها
١٢٠٠٠٠	١١٥٢	٢٨٠٠٠	٩٠٠٠	٣٥٠٠٠	٤٠٠	٨٠	٣٦٠٠٠	بيروت
٣٨٩٣٧	٣٢٩	٢٥٠٠	١٠٣٠	٥٠٧٨	—	—	٣٠٠٠٠	طرابلس وضواحيها
٢٠٣٨٨	٢٠٧٧	٥٨٢	١١٢٩	٢٠٠	—	—	١٦٤٠٠	عكار
٣٦٤٨٤٣	١٦٢٧١	٤٠٢٠٣	٣٠٠٤٨	٥٥٤٤٥	٩٨٠٠	٨٣٨٢	١٠٤٦٩٤	الجموع
٤٠٠٠٠٠	٩٣٦	٣٣٠٠٠٠	٣٤٤٧٢	٥٤٢٠٨	٤٩٩٦٢	١٦٨٤٦	١٣٥٧٦	مجموع لبنان البتور
٦٦٤٨٤٣	١٧٢٠٧	٢٧٠٢٠٣	٦٤٥٢٠	١٠٩٦٥٣	٥٩٧٦٢	٢٥٢٢٨	١١٨٢٧٠	مجموع لبنان الجفرائي

جدول ارتفاع بعض الاماكن عن سطح البحر

المكان	متر	المكان	متر	المكان	متر
الارز	١٩٦٠	جزين	٩٠٢	فيترون	١٢٢٦
اقفا	١١٤٣	حدث الحية	١٥٥٣	القلوق	١٩٥٦
اهدن	١٤٤٥	حصرون	١٣٦٧	محطة ظهر البيدر	١٥٠٠
باتر	٧٦٠	حمانا	١٠٩٠	الختارة	٧٦٢
محمدون	١٠٨٢	خان مزهر	١٥٣٠	المروج	١٢٥٣
بحنس	١١٣٠	دير القمر	٧٧٤	المرجحات	١٢٠٥
برمانه	٧٠٠	ريفون	١٠٧٩	نبع اقفا	١٢٠٠
بعيدات	٦٤٠	زحلة	٩٦٦	نبع الباروك	١٠٨٢
بشري	١٤٩٠	سير	٩٦٠	نبع بقايع	١٤٣٠
بكفيا	٩٢٢	الشوير	١٢١٠	نبع الحديد	١٥٩٣
بيت الدين	٨٢٦	شمالان	٦٧٧	نبع صنين	١٦٧٦
تورين	١٠٩٣	صوفر	١٢٩٠	نبع العاقورة	١٤٢٠
تومات نيحا	١٧١٥	ظهر الشوير	١٢٥٠	نبع العسل	١٦٦٠
جباغ الخلاوى	٧٨٨	عاليه	٧٢٨	نبع قاديشا	١٤٩٠
جبل الباروك	١٩٨١	العاقوره	١٣٩٦	نبع قناكيش	١٨٦٠
جبل صنين	٢٦٥٥	عبيه	٧٢٠	نبع اللبن	١٦٩٠
جبل الكنيسة	٢١١٨	عجلتون	٨٨٥	نبع المنبوخ	١٤٦٥
جبل المعاصر	٢٠٠٩	عيناب	٧١٤		
جديدة الشوف	٧٥٢	عين زحلتا	١٢٠٢		

اصلاح اهم الاغلاط المطبعية

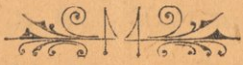
صفحة	خطأ	صواب	صفحة	خطأ	صواب
٧٥	٢٥	٩٤	١٤	٦	٦
٧٦	فنهض	١٠٠	١٥	«العرب»	٦
٧٦	السلطان	١١٠٦	٢	حسماً	٨
٧٧	ليفورنو	٣١٠٨	٥	الصليين	١٤
٩٣	الى	١١١٠	١	وَلِدَتْ	١٦
٩٥	٣٣	١٣١١٢	٢	الفيتيقيون	١٦
١٠٤	ليفورنو	٣١١٣	٦	وَلِدَتْ	١٩
١٠	تعينهم	١٢١٢٤	٨	تلاميذاً	٢٤
٢٣٩	بشراي	١٤١٢٤	١١	وَلِدَتْ	٢٨
٢٤٤	درء	٤١٢٧	٥	لخلفاء	٣١
٢٥٩	امورها	٥١٢٧	٧	هذه	٤٠
٢٦٨	عن	٥١٢٧	١٠	المردة الذين	٤٨
١٢٦	البابوية	١٠١٢٧	١٤	الفضل الاكبر	٥١
١٦٩٧	٢٦٩٧	١٥١٣٧	١٤	الفضل الاكبر	٥١
٤٤٥	نقسه	٢١٤٦	١٠	ابناؤه	٦٠
٤٤٦	يعتدرون	٥١٥٩	٧	حساباً	٦٢
	الاستقلال	٢١٦٠	٥	بدرا	٦٤
	واهمل	٢١٦٤	٨	وكان	٦٩
	البقاغ	٣١٦٦	٤	امتيازات	٧٥
	هذا	٥١٦٧	١٢	قسمة	٨٩

صواب	خطأ	صفحة	صواب	خطأ	صفحة
الموظف	الموظف	١٦٢٧٠	١٨٤	١٨١	١١١٧٥
منهم	منهم	١١٢٨٢	المقاطعات منه	المقاطعات	٥١٧٦
الطائفية	الطائفية	٨٣٠١	العمياء	لعمياء	١٠١٧٦
الولايات	الولايات	٣٣٠٤	شاهد	وشاهد	١٦١٧٧
الدول	الدولة	٥٣١٧	الطريقة	الطريقة	١٠١٩٣
قد	لقد	١١٣٢٧	البنانيين	البنانيون	٢١٩٥
بالاتفاق	بالاتفاق	٨٣٣٤	كسروان	كسيران	٦٢٠٤
الحكم	الحاكم	١٤٣٣٧	من	من	٣٢١٠
اقصى	اقصى	٣٣٤٩	يعين	تعين	١٢٣٩
منحته	منحته	١٢٣٥٢	مخالفهم	مخالفهم	١٢٤٤
يعطي	بعطي	١٧٤٣١	سليقتان	سليقتان	٢٢٥٩
وكلاء	وكلاء	١٠٤٤٣	الجميع	الجميع	١٢٦٨

١٢٦ ١٤ الثالث عشر ٤٣٨ ١٠ الانتصار الانكسار

٤٤٥ ١٤ وتاريخه اصدق - وتاريخه وتاريخ الامم اصدق

٤٤٦ ٧ بلاي بلادي



مختصر

صفحة

٥

مقدمة الكتاب

توطئة

﴿ القسم الاول ﴾

تاريخ لبنان السياسي منذ الفينيقيين الى السنة الستين

- ١٥ - الباب الاول : لبنان الفينيقي
- ٣١ « الثاني : لبنان على عهد الرومان
- ٤٢ « الثالث : لبنان على عهد المردة والعرب
- ٥٣ « الرابع : لبنان على عهد الصليبيين
- « الخامس : لبنان على عهد المعنيين
- ٦٧ تمهيد : الدولة العثمانية والبلقان ولبنان
- ٩٦ الفصل الاول : الامير نحر الدين الاول والامير قرقاس
- ٩٩ « الثاني : الامير نحر الدين الثاني الكبير
- ١٣٠ « الثالث : الامير ملحم والامير احمد
- الباب السادس : لبنان على عهد الشهابيين
- الفصل الاول : الامير بشير الاول. الامير حيدر. الخلة. الامير
- ١٣٣ ملحم. الاميران احمد ومنصور. الامير يوسف
- ١٥٢ الفصل الثاني : الامير بشير الكبير

صفحة	
١٨٨	الفصل الثالث : الامير بشير الثالث
١٩٧	» الرابع : عمر باشا في لبنان
٢٠٧	الباب السابع : لبنان على عهد القائمقاميتين بداية القائمقاميتين .
	الفصل الاول : اتفاق ٧ ك ١ ١٨٤٢ . الحركة الثانية ١٨٤٥
٢١١	شكيب افندي في لبنان
٢٢٣	» الثاني : حوادث لبنان في البرلمان الفرنسي
٢٣٨	» الثالث : الامير بشير احمد المعني . حركة ١٨٦٠
٢٤٨	» الرابع : تدخل اوربا في لبنان

﴿ القسم الثاني ﴾

لبنان والقانون الدولي العام

صفحة	
٢٥٩	بيان واجاز
	الباب الاول : شرح نظام لبنان الاساسي
٢٦٩	الفصل الاول : حاكم لبنان العام
٢٧٨	» الثاني : مجلس الادارة الكبير
٢٨٥	» الثالث : حدود لبنان
٢٩٩	» الرابع : القضاء في لبنان

صفحة

٣٠٦

الفصل الخامس : جنديّة لبنان

٣٠٨

» السادس : مالية لبنان

٣٢١

الباب الثاني : تطوّر اليلقان وجمود لبنان

﴿ القسم الثالث ﴾

لبنان بعد المعاهدة

صفحة

الباب الاول : موجز تاريخ المتصرفية

٣٤٧

الفصل الاول : داود باشا ويوسف بك كرم

٣٦٤

» الثاني : من فرقهو باشا الى اوهانس باشا

٣٨٠

» الثالث : لبنان وفرنسا

٤٠١

الباب الثاني : لبنان جغرافياً

٤٠٢

الفصل الاول : لبنان المبتور

٤١٤

» الثاني : لبنان الجغرافي

٤٠١

الباب الثاني : لبنان الجرافياً

٤٠٢

الفصل الاول : لبنان المبتور

٤١٤

» الثاني : لبنان الجغرافي

الباب الثالث : لبنان اقتصادياً : المعادن.

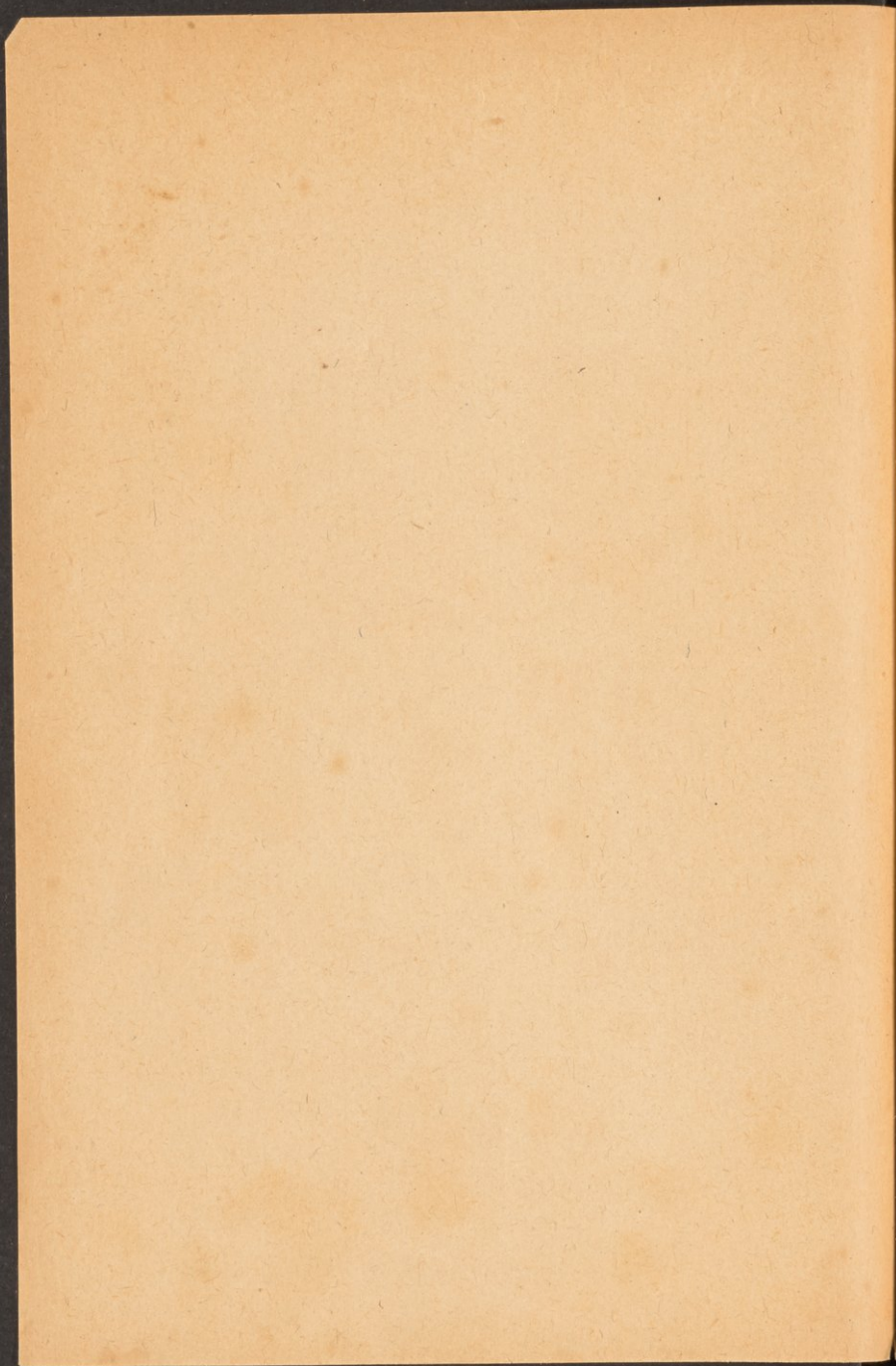
٤١٩

الصناعة. الزراعة. سوريا ولبنان

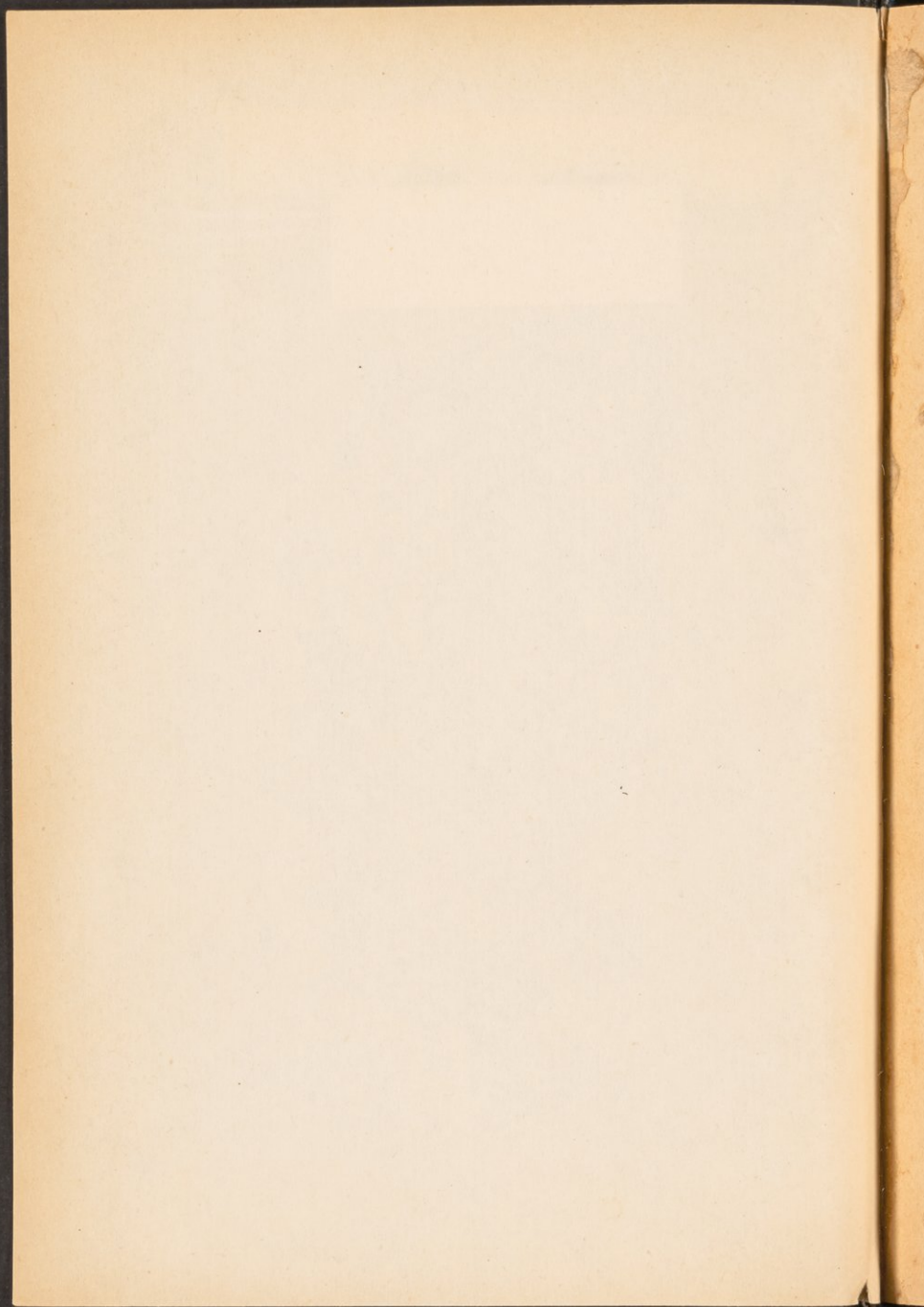
٤٣٨

الباب الرابع : لبنان في العهد الجديد

ملحق : خارطة. جداول بعدد السكان وارتفاع الاماكن. اصلاح خطأ



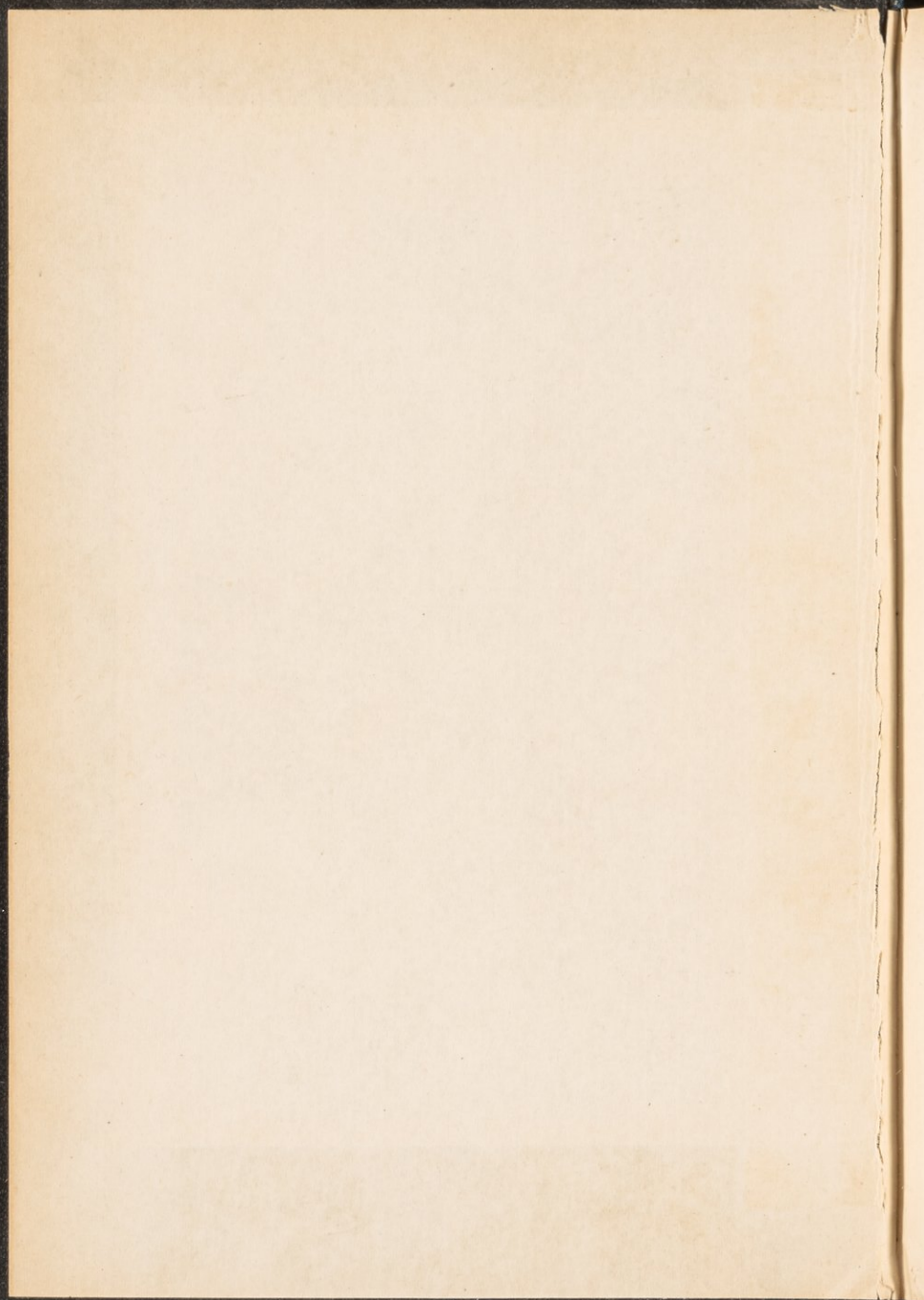
الزيت المطهر في ١٥ تموز ١٩٥٧



BOBST LIBRARY



3 1142 01911 2161



NYU - BOBST



31142 01911 2161

DS80.9 .S3

Fi sabil L